أحسن تفسير للقرآن الكريم في تاريخ الإسلام بفيض من الله عز وجل

معالم الإيمان في تفسير القرآن

الجزء الثاني والثلاثون

سورة البقرة الآيات (١٨٥-١٨٦)

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمـد لله الـذي نفـخ في آدم مـن روحـه مقدمـة لهبوطـه إلى الأرض وخلافته فيها، قال تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾[1].

ليتغشى اللطف الإلهي الإنسان في وجوده في الدنيا ويكون هـذا النفخ طريقـاً إلى الخلـود في النعـيم، وهـل هـذا الـنفخ مـدد للإنسـان في عمـل الصالحات وبرزخ دون فعل السيئات الجواب نعم، وتلك آية وفيض إلهي مصاحب لعمارة الإنسان للأرض.

ولقـد تفضـل الله عـز وجـل ببعـث الأنبيـاء وإنـزال الكتـب السـماوية لإصلاح الإنسان وليكون مدداً خارجياً ورفيقاً يقود الإنسان بروحه وعقله نحو سبل الهداية والفلاح، وتحقيق الغاية الحميدة من خلقه ، قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [2].

وتفضل الله وأنزل على النبي محمـد صـلى الله عليه آلـه وسـلم القـرآن حبلاً متصلاً بين السماء والأرض ليكون إماماً في الأرض إلى يوم القيامـة، والمدرسة الكونية الجامعة.

وكل آية منه مدرسـة قائمـة بـذاتها لـذا شـرّف الله عـز وجـل المسـلمين بخطابات الإكرام منها نعتهم بأنهم أرباب العقول، قـال تعـالى﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[3].

---

(١) سورة السجدة ٩.

(٢)سورة الذاريات٥٦.

(٣)سورة البقرة ١٧٩.

وتفضل الله عز وجل وجعل حبلاً ممدوداً في قوس الصعود وهو الدعاء أوله بيد الإنسان سعة وضيقاً وليس ثمة مسافة أو واسطة بينه وبين الوصول إلى الله عز وجل فضلاً وحجة من عند الله وشاهداً على ملكيته المطلقة للسموات والأرض وعظيم قدرته، وعبودية الناس له وحده سبحانه ، قال تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]،وهل في الآية أعلاه ترغيب بمناجاة الله بالدعاء والمسألة سواء بالدعاء الفردي أو الجماعي والتأمين من الآخرين ، الجواب نعم.

وهذا الجزء هو الثاني والثلاثون من معالم الإيمان في تفسير القرآن ويتضمن تفسير آيتين (١٨٥-١٨٦) من سورة البقرة وإبتدأ بآية (شهر رمضان) ثم الدعاء والترغيب فيه والحث عليه، ومن الإعجاز توجه الخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيان موضوعية التصديق بنبوته في إنشاء الدعاء وقصد القربة في المسألة بقوله تعالى﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾[2]، وليس في الآية ما يدل على أن الإستفهام إنكاري وأن وظيفة العباد لايسألون عن الله عز وجل فهو معهم حينما كانوا، قال تعالى﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[3].

لتكون كل آية التي يتضمن تفسيرها هذا الجزء كنزاً نازلاً من السماء ينهل منه الناس لحاجات الدنيا والآخرة من غير أن ينقص من ذخائره شيء.

ومن الإعجاز أن آية الدعاء جاءت وسط آيات الصيام ليكون شهر رمضان وعاء مباركاً لصعود الدعاء مثلما كان ظرفاً زمانياً مباركاً لنزول القرآن .

---

(١) سورة المجادلة ٧.

(٢)سورة البقرة ١٨٦.

(٣)سورة البقرة ١١٥.

قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآية ١٨٥.

الإعراب

شهر: مبتدأ مرفوع وهو مضاف، رمضان: مضاف اليه، وقال بعضهم يجوز ان يكون شهر مرفوعاً على اضمار مبتدأ والتقدير المفترض عليكم صومه شهر رمضان او ذلك شهر رمضان او الصوم او الأيام[1]،ولكن الآية في مقام بيان اهمية وعظمة شهر رمضان وما له من قدسية في تاريخ الإسلام.

الذي: اسم موصول في محل رفع خبر وقيل صفة لشهر، انزل: فعل ماض مبني للمجهول، فيه: جار ومجرور متعلقان بالفعل انزل.

القرآن نائب فاعل: مرفوع، والجملة الفعلية صلة الذين، هدى: حال منصوب.

للناس: جار ومجرور، وبينات: الواو حرف عطف، بينات: معطوف على هدى منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة، من الهدى: جار ومجرور، والفرقان: الواو حرف عطف، الفرقان: اسم معطوف على هدى.

([1]) اعراب القرآن للنحاس ٢٣٨/١.

فمن: الفاء إستئنافية، من: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ.

شهد: فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، منكم: جار ومجرور، الشهر: مفعول به منصوب بالفتحة، وقيل(منصوب على الظرفية، وأنه لايكون مفعولاً به لأنه المقيم والمسافر كلاهما شاهد للشهر) [1]، ولكن المراد هو المقيم، وعلى فرض الإطلاق فانه ليس علة تامة لمنع إعرابه مفعولاً به.

فليصمه: الفاء رابطة لجواب الشرط، اللام: لام الأمر حرف جزم، (يصم) مضارع مجزوم بلام الأمر والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

الهاء: في محل نصب مفعول به ومجموع جملتي شهد ويصمه في محل رفع خبر للمبتدأ من، ومن: الواو حرف عطف، من: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ.

كان: فعل ماض ناقص، مريضاً: خبر كان منصوب واسمها ضمير مستتر، او: حرف عطف، على سفر: جار ومجرور.

فعدة: الفاء رابطة لجواب الشرط ولا عمل لها، عدة: خبر مرفوع.

من أيام: جار ومجرور، أخر: صفة.

يريد الله: فعل مضارع، واسم الجلالة فاعل، بكم: جار ومجرور، اليسر: مفعول به منصوب بالفتحة، ولا يريد: الواو حرف عطف لا: نافية لا عمل لها.

يريد: فعل مضارع، مرفوه بالضمة اسم الجلالة: فاعل،

---

(١)إعراب القرآن٢٣٦.

بكم: جار ومجرور متعلقان بيريد، العسر: مفعول به، ولتكملوا: الواو حرف عطف، اللام: للتعليل، تكملوا: فعل مضارع منصوب بـ(ان) المضمرة بعد لام التعليل، العدة: مفعول به.

ولتكبروا: الواو:حرف عطف،اللام:للتعليل.

تكبروا:فعل مضارع منصوب بان المضمرة بعدها، والواو: فاعل.

اسم الجلالة: مفعول به منصوب بالفتحة، وقيل أنه نصب على نزع الخافض أي: لله، والأول أصح، بدليل على التكبير وهي الهداية وليكون التكبير نوع شكر لله.

على ماهداكم:على: حرف جر، ما:مصدرية، مؤولة مع مابعدها بمصدر مجرور بعلى، والتقدير:على هدايته إياكم.

ولعلكم: الواو: حرف عطف، لعل: حرف مشبه بالفعل والضمير الكاف إسمها.

تشكرون:جملة من فعل مضارع وفاعل هو الواو، والجملة خير(لعل).

اللغة

الشهر جزء من اثني عشر جزءاً من السنة، وهو في الشرع المدة الزمنية المحصورة بين هلالين، ويجمع في القلة على اشهر وفي الكثرة على شهور وسمي الشهر شهراً لإشتهاره وظهوره بالهلال واطلاع اهل الأرض ومعرفتهم باوانه، وشهر رمضان هو التاسع من الشهور العربية ويأتي بين شعبان وشوال، وهو الشهر الوحيد الذي ورد اسمه في القرآن وبهذه الآية وفي ذلك اشارة لما له من اهمية خاصة وامتياز عن غيره من الشهور بضميمة كونه وعاء زمنياً

لفريضة عظيمة من فرائض الإسلام وفرعاً اساسياً من فروعه، وفيه ايضاً دلالة على قدسية هذا الشهر وحث على استثماره في العبادة والصلاح.

والنزول يأتي بمعنى الهبوط والقرآن مصدر كالغفران يقال: قرأ فلان قرآناً حسناً أي قراءة صحيحة، والقرآن اسم لكتاب الله خاصة الذي انزله على صدر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون شريعة ومنهاجاً للمسلمين، ويعتبر هذا الاسم الآن مدرسة عالمية جامعة واصطلاحاً دولياً خاصاً بكتاب الله تعالى وبذلك تعرفه جميع شعوب العالم بما يتضمنه من فيض سماوي مبارك، ولما ينبعث منه من اشعاعات عقائدية واخلاقية تخترق شغاف القلوب.

وقد اولى الفقهاء والمفسرون موضوع نزول القرآن وكيفيته على ضوء مدلولات هذه الآية المباركة اهتماماً وعناية خاصة وافردوا له مباحث مطولة ومن وجوه وصيغ التنزيل ، وفي الآية مسائل :

الأولى : القرآن انزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا جملة واحدة وبالذات الى البيت المعمور منها، وكان شهر رمضان وعاء زمانياً مباركاً لهذا النزول ثم نزل من بعد ذلك منجماً أي على مثل مواقع النجوم ومساقطها وعلى نحو تدريجي وليس دفعياً خلال مدة الدعوة في عشرين او ثلاث وعشرين سنة، ففي خبر حفص بن غياث في الكافي قال: سألت الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وانما انزل في عشرين سنة بين اوله وآخره، فقال الصادق عليه السلام: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمور ثم نزل في

طول عشرين سنة[١]، كذلك اخرج الحاكم والبيهقي عن عكرمة عن ابن عباس قال: انزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم انزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٢] ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾[٣].

الثانية: انه نزل في ليالي القدر من سني الدعوة البالغة عشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين سنة على اختلاف عددها.ففي كل ليلة من ليالي القدر ينزل كل ما يخص تلك السنة، ولم يرد هذا القول والعلم عند الله عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم او الأئمة او الصحابة ولكنه مبحث عقلي ذكره الرازي وقال باحتماله[٤].

الثالثة: المراد بنزوله هو بداية نزول آيات القرآن وسوره ثم نزل بعد ذلك نجوماً طيلة تلك السنين واثناء ايامها وبذلك قال الشعبي، ولا مانع من احتمال الجمع بين القولين الأول والثالث لأنه من الممكن عقلاً بالإضافة الى عدم خروجها عن نص الآية، عن السدي باسناده عن ابن عباس وروى الثعلبي باسناده عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: نزلت صحف ابراهيم عليه السلام لثلاث مضين من شهر رمضان وفي رواية الواحدي اول ليلة منه وانزلت توراة موسى لست مضين من شهر رمضان وانزل انجيل عيسى لثلاث عشر خلت من رمضان وانزل زبور داود عليه السلام لثمان عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وانزل الفرقان

---

(١) الوسائل ١٦٨/٢ طبعة حجرية.

(٢) سورة الفرقان ٣٣.

(٣) سورة الإسراء ١٠٦.

(٤) مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) ٩٣/٥.

على صدر محمد لأربع وعشرين مضين من شهر رمضان ورواه العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

والهدى: الرشاد والسداد والبصيرة في سبل الخير والصلاح، ومن اسمائه تعالى الهادي وهو الذي تفرد بالهدى بمعناه الخاص من التوفيق والتأييد، والبينات: جمع بينة وهي الأمر الواضح والظاهر والمعروف، والفرقان: كل ما فرق بين الحق والباطل لذلك يرد القرآن باسم الفرقان وفي الكافي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام القرآن جملة الكتاب، والفرقان الحكم الواجب العمل به[٢].

وشهدت الشيء: اطلعت عليه وعاينته فانا شاهد، وشهدت الواقعة: حضرتها وقولهم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، أي الحاضر يعلم ما لا يعلمه الغائب، والمقصود في الآية المكلف المقيم والحاضر اثناء الشهر غير المسافر، اليسر: السهولة والتخفيف والتوفيق لعمل الخير وضده العسر الذي يعني الحرج والصعوبة الشديدة، وكمل الشيء كمولاً والاسم الكمال: التمام وانعدام النقصان، والعدة: عدد ايام شهر رمضان، والشكر: الثناء بالجميل يقال شكرت له شكراً، وشكر العباد لربهم هو الإعتراف بنعمه واتيانهم اوجه الطاعة وشعب العبادة مع ترك المعصية والشكر نقيض الكفران.

□

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن٢/٢٧٦.
(٢) المصدر السابق٢/٢٧٦.

في سياق الآيات

بعد ان بينت الآيات السابقة تشريع فريضة الصوم والتحديد الإجمالي لوعائها الزماني وموارد التخفيف فيها، جاءت هذه الآية لتبين فريضة شهر رمضان وتحديده على نحو قاطع وجازم وعاء زمانياً لهذه الفريضة المباركة.

صلة هذه الآية بالآيات المجاورة على شعبتين:

الشعبة الأولى: صلة الآية بالآيات السابقة لها، وفيها وجوه:

الأول: صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ﴾[1].

الصلة بين بدايتي الآيتين

وفيها مسائل:

الأولى: إتحاد موضوع الآيتين، وجاءت كل واحدة منهما بخصوص فريضة الصيام، وفيه وجوه:

الأول: إنها آية في البيان القرآني، وكيف أن آياته يفسر بعضها بعضاً.

الثاني: تأكيد فضل الله عز وجل على المسلمين بذكر الوعاء الزماني لفريضة الصيام على نحو التعيين والحصر.

الثالث: دعوة المسلمين والمسلمات للتقيد بأحكام الصيام، وعدم التفريط بها.

الرابع: بعث المسلمين للإستعداد لشهر رمضان وإستقباله بأسباب التقوى، وهو من أسرار إنفراد شهر رمضان بالذكر

(١)الآية ١٨٤.

بالاسم في القرآن من بين أشهر السنة قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (١).

الخامس: منع الإختلاف والفرقة بين المسلمين بخصوص أوان شهر رمضان، وزجر الفرق المتعددة في إختيار أوان مخالف لأوان الفرقة الأخرى إستقلالاً عنها، وتأكيداً لهوية الطائفة، ورغبة من الرؤساء بتثبيت مقاماتهم ومنافعهم الخاصة، ليكون هذا المنع آية ومدداً في وحدة المسلمين، وسبيلاً لتعاهد أخوتهم في باب العبادات وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٢)، وذكر أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثائر الرأس فقال : يا رسول الله أخبرني بما فرض الله عليّ من الصيام؟ فقال : شهر رمضان إلا أن تطوّع . فقال : أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الإسلام . قال : والذي أكرمك لا أتطوّع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق(٣).

الثانية: تقدير الجمع بين الآيتين هو:شهر رمضان أياماً معدودات) بتقدير صوموا شهر رمضان.

وفيه تخفيف عن المسلمين والمسلمات في أداء فريضة الصيام، ومدد سماوي لهم عند حلول شهر رمضان، فقد يفكر المسلم في نفسه عند حلول شهر رمضان بأنه يمتنع عن الأكل والشرب لمدة شهر، وهو كثير وتكون أيامه طويلة

---

(١)سورة التوبة٣٦.

(٢)سورة آل عمران١٠٣.

(٣)الدر المنثور١/٣٦٨.

خصوصاً في أيام الحر، فجاءت آية السياق عوناً له، وتنفذ إلى جوانحه وقلبه، وتخبره إنما هي أيام معدودة سرعان ما تنقضي، لتكون آية السياق كالوعد الإلهي يتجلى مصداقه العملي كل شهر، وعلى نحو الإنحلال عند كل مسلم ومسلمة.

فقبل أن يحل شهر رمضان يتقدم قوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ وعندما ينقضي تكون مصاحبة للمسلمين، وتذكيراً للمسلمين بأن ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[1]، وأن أيام الصيام مرت سريعة، ولم يبق منها إلا الثواب العظيم.

وأخرج البيهقي والأصبهاني عن جابر بن بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

وأما الثانية فإنه خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة.

وأما الرابعة فإن الله يأمر جنته فيقول لها استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي.

وأما الخامسة فإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعاً.

فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر؟ فقال : لا ، ألم تر إلى العمال يعملون ، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم[2].

---

(١)سورة يونس٥٥.

(٢)الدر المنثور١/٣٦٩.

الثالثة: إذا كان شهر رمضان أياماً معدودات، فكل شهر له ذات المعنى والخصوصية، فكيف تكون آية السياق وعداً كريماً من عند الله، والجواب من وجوه:

الأول: جاء البيان بتعداد أيام شهر رمضان بخصوص فريضة الصوم، ووجوب أدائها بذات الشهر على نحو الحصر والتعيين لأن الآية التي قبل آية السياق تقول ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1]، وليس من جوع وعطش في غير شهر رمضان لإباحة الأكل والشرب في أشهر السنة الأخرى.

الثاني: بشارة أداء المسلمين لفريضة الصيام وقهر النفس الشهوية والغضبية في شهر رمضان بمدد من الله عز وجل.

الثالث: بيان فضل المسلمين على الأمم السابقة بلحاظ تعاهد المسلمين فريضة الصيام بعد تخلف تلك الأمم عنها، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2].

الرابع: بيان عظيم قدرة الله عز وجل، وأنه سبحانه يجعل الأمر العسير يسيراً على المؤمنين، وأيسر حالاً من الأمر الخالي من التكليف، فتنقضي أيام شهر رمضان بسهولة قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[3].

الخامس: بيان فضل الله عز وجل على المسلمين بالمدد في أداء الفرائض والواجبات.

---

(١)سورة البقرة١٨٣.

(٢)سورة البقرة١٨٣.

(٣)سورة النساء٢٨.

السادس: تأكيد حقيقة وهي أن المسلمين ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١)، بالتوفيق لإدراك كون شهر الصيام أياماً معدودات.

السابع: نعم كل شهر من أشهر السنة أيام معدودات

صلة [أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ] بآية البحث

وفيها مسائل:

الأولى: ذكرت آية البحث نزول القرآن في شهر رمضان، فهل نزل في أيام معدودات.

الجواب لا، لأنه نزل نجوماً على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عشرين سنة، ومدة إقامته وهو بين مكة وبعد هجرته إلى المدينة، نعم كانت بداية نزوله في أيام شهر رمضان.

وعن ابن عباس: أنزل القرآن جملةً واحدة على جبريل في ليلة القدر، فكان لا ينزل منه إلا بأمر. قال ابن جريج: كان ينزل من القرآن في ليلة القدر كلُّ شيء ينزل من القرآن في تلك السنة. فنزل ذلك من السماء السابعة على جبريل في السماء الدنيا، فلا ينزل جبريلُ من ذلك على محمد إلا ما أمره به ربه. ومثل ذلك ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (٢)(٣).

الثانية: لقد جعل الله نزول القرآن هدىً للناس، وكذا أيام الصيام المعدودات فان آنات شهر رمضان سبب للهداية والفلاح، وتحتمل الهداية في شهر رمضان وجوهاً:

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) سورة الدخان ٣.

(٣) تفسير الطبري ٣/٤٤٧.

الأول: زيادة المسلمين هدى، قال تعالى﴿الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[١].

الثاني: إرادة هداية أهل الكتاب، وتذكيرهم بوجوب فريضة الصوم، وأن موسى وعيسى عليهما السلام جاءا بالصيام.

الثالث: المقصود هداية الناس جميعاً، وإرشاد الكفار للزوم أداء الصيام لأنه عبادة بدنية واجبة، قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢]، نعم لا يقبل الصيام من الكفار إلا بشرط دخولهم الإسلام.

ولا تعارض بين هذه الوجوه، ومن إعجاز القرآن مناسبة أحكامه لأصالة الإطلاق في مقامات عموم الرحمة الإلهية بالناس، وبالإسناد عن واثلة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نزلت صُحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراةُ لست مَضَين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاثَ عَشرة خلت، وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان[٣].

الثالثة: كل يوم من أيام شهر رمضان بينة وسبيل جذب للهداية والإيمان، وفي أيام شهر رمضان يفرق بين الحق والباطل، وكذا بين الإيمان والكفر.

---

(١)سورة محمد١٧.

(٢)سورة الذاريات ٥٦.

(٣)تفسير الطبري٣/٤٤٦.

الرابعـــة: يفيــد الجمــع بــين الآيــتين حقيقــة في بــديع خلــق الإنســان، وإرشــاده لســبل الهدايــة والإيمــان، إذ تجتمــع في الآيــتين أسباب سماوية وزمانية لجذب الناس للعبادة وهي:

الأول: نزول القرآن.

الثاني: بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث: حلول أيام شهر رمضان.

الرابع: فريضة الصيام.

وعنــدما إحــتج الملائكــة علــى جعــل آدم خليفــة في الأرض، كمــا ورد في التنزيــل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1]، أجــابهم الله عــز وجــل بأنــه يعلــم مــا لا يعلمــون مــن موضــوع الخلافــة، واللطــف الإلهــي في جــذب الإنســان إلى مســالك الإيمــان وخــتم النبــوات برســول الله صــلى الله عليــه وآلــه وســلم، وصــيرورة أمتــه ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، بتعاهــد فريضــة الصــيام، ووعائهــا الزمــاني مــن غــير إفــراط أو تفــريط، فــلا يزيــد المســلمون علــى أيــام الصــيام الواجبــة ولا ينقصــون منهــا يومــا واحداً.

الخامســة: لقد أراد الله عــز وجــل حفــظ ســنن العبــادة في الأرض بفريضة الصيام، وفي مدة الصيام أمور:

الأول: مناسبة للإستغفار والتوبة.

الثاني: بعث للحرص على أداء الصلاة والزكاة.

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

الثالث: تعاهد صلة الرحم، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[١].

لقد خلق الله الناس لعبادته، ولم يتركهم وشأنهم، بخلاف ما ذهبت إليه الفلسفة اليونانية بأن الله خلق الكون وأداء ظهره له، وأنه سبحانه لا يعلم الجزئيات بل إن الله عز وجل ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٢]، وهو الذي يقّرب الناس إلى منازل طَاعته، وهذا التقريب لطف من الله عز وجل بالناس جميعاً، من أهتدى منهم ومن أصّر على الضلالة، فمن منافعه إعتبار وإتعاظ أهل الضلالة من حسن سمت المهتدين.

فيأتي شهر رمضان ليؤدي المؤمنون واجبات الصيام، ويلوم أهل الضلالة أنفسهم على التخلف عن هذه الواجبات، وهو من مصاديق تكليف الكفار بالفروع كتكليفهم بالأصول، وصحيح أنه دليل لبي، وليس فيه نص، إلا أن حال الكفار وإمتلاء نفوسهم حسرة قبل وأثناء وبعد شهر رمضان بسبب تخلفهم عن فريضة الصيام، أمارة على تكليفه به، وهو من أسرار قوله تعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[٣]، ووظائف عند الإنسان بأن يتدبر في أحواله وما يجب عليه، ويتحسر لتخلفه عنه بينه وبين نفسه، وإن إظهر العناد علانية، وإلتجأ إلى الجدال والمغالطة لدفع البرهان بالحسن الذاتي والعرضي

(١) مجمع البيان ٢/٨.
(٢) سورة الطلاق ١٢.
(٣) سورة التحريم ١٢.

للصيام، والمنافع العظيمة، المترشحة عن أدائه، قال تعالى ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

السادسة: لقد جعل الله عز وجل القرآن سبيل هدى وفلاح للناس، وكذا أيام شهر رمضان فانها آية في هداية الناس وإصلاحهم لسبل المعروف، وقد فاز المسلمون بهذه النعمة فصاروا بشهر رمضان هادين مهديين، وهو من خصائص ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، فكونهم خير أمة بأدائهم لفريضة الصيام على نحو العموم الإستغراقي، فيصوم الرجل والمرأة، والأب والابن والبنت اللذان بلغا سن التكليف.

وأداؤهم للصيام دعوة صامتة للناس للإقتداء بهم، ومحاكاتهم بلحاظ أنه واجب على المكلفين جميعاً، والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار، أي أن إمتناع الكفار عن الصيام بسبب إختيارهم الكفر لايمنع من لحوق الإثم بهم بسبب تخلفهم عن الصيام الواجب عليهم كمكلفين.

السابعة: تقدير الجمع بين الآيتين: فمن كان مريضاً أو على سفر أياماً معدودات فعدة من أيام آخر، لبيان قدسية أيام شهر رمضان، وإتصافها بخصوصية وهي أداء الصيام الواجب فيها، وإن تعذر ففي أيام أخرى من السنة.

ومن الآيات أن الأيام البديلة لأيام الصيام ليست معينة بالذات، فتصح آية أيام بديلاً عن شهر رمضان عند تعذر صيامه باستثناء أيام قليلة ورد النص فيها كيومي العيدين.

---

(١) سورة النساء ٢٥.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

وهل في إبتداء آية السياق وآية البحث بخصوص أيام شهر رمضان حث للمسلمين على التقيد بصيامها، وأن أداء الصيام في شهر رمضان أفضل من قضائه في أيام بديله من السنة.

الجواب نعم، وفيه وجوه:

الأول: إنه من إعجاز سياق الآيات.

الثاني: إنه معاني التأكيد على أيام شهر رمضان.

الثالث: فيه بيان لخصوصية آيام شهر رمضان.

الرابع: لزوم إكرم أيام شهر رمضان بالصيام.

الثامنة: تقدير الجمع بين الآيتين، أياماً معدودات هدى للناس) ومن إعجاز آية البحث أن قوله تعالى﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ يحتمل وجوهاً:

الأول: القرآن هدى للناس.

الثاني: شهر رمضان هدى للناس.

الثالث: شهر رمضان والقرآن مجتمعين ومتفرقين هدى للناس.

والصحيح هو الثالث لأصالة الإطلاق، وإن كان المتبادر والمتعارف هو الوجه الأول، فكما أن القرآن إمام في سبل الهداية، فان شهر رمضان باب للصلاح والتوبة، قال تعالى﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [1].

التاسعة: لقد جعل الله عز وجل أياماً معدودات مناراً للهدي يرى ضياؤها الناس في ذات الأيام، وقبل حلولها وبعده، وإذا حلّ شهر رمضان إزدانت الأرض بأنوار الهدى وإمتلأت نفوس المؤمنين بالبهجة باعتبار أنها فضل ونعمة من عند الله عز وجل، وسر من أسرار نعمة الليل والنهار، قال

(١)سورة المدثر٣٢.

تعالى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (١)، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير الآية قال: بنعم الله وآلائه(٢).

وأخرج ابن مردويه من طريق عبدالله بن سلمة ، عن علي أو الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فيذكرنا بأيام الله حتى نعرف ذلك في وجهه ، كأنما يذكر قوماً يصبحهم الأمر غدوة أو عشية ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام ، لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه (٣)، مما يدل على أن موضوع الآية أعلاه عام في تأريخ النبوة، وان نزلت بخصوص موسى عليه السلام وتذكيره بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم من أمور منها:

الأول: نجاتهم من آل فرعون.

الثاني:فلق البحر، وعبورهم منه.

الثالث: آية العصا عند موسى وجريان الماء من الحجر، قال تعالى ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (٤).

الرابع:تضليلهم بالغمام والسحاب ومصاحبته لهم في التيه.

الخامس: نزول المن والسلوى على بني إسرائيل على نحو يومي متكرر ليكون نزولهما في تلك الأيام شاهداً على أنها من(أيام الله)، وقد ورد ذكر(أيام الله) مرة ثانية في القرآن في خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قُلْ لِلَّذِينَ

(١)سورة إبراهيم٥.
(٢)الدر المنثور٦/٣٢.
(٣)الدر المنثور٦/٢٢.
(٤)سورة البقرة٦٠.

آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾[١]، وعن ابن عباس قال: قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين إذا أذوه، وكانوا يستهزؤون به، ويكذبونه، فأمره الله أن يقاتل المشركين كافة، فكان هذا من المنسوخ[٢].

وبالإسناد عن أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه أنه قال لجارية له: لولا أن الله تعالى يقول { قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله } لأوجعتك. فقالت: والله إني لممن يرجو أيامه، فما لك لا توجعني؟ فقال: إن الله تعالى يأمرني أن أغفر للذين لا يرجون أيامه، فعمّن يرجو أيامه أحرى، انطلقي فأنت حرة[٣].

العاشرة: تقدير الجمع بين الآيتين: أياماً معدودات يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) إن إنحصار الصيام بأيام مخصوصة وهي مدة شهر رمضان، ومعرفة المسلمين لعدم طرو صيام واجب عليهم في أيام السنة الأخرى يسر وتخفيف من عند الله.

فان قلت القدر المتيقن من اليسر المذكور في آية البحث إباحة الإفطار في السفر وقضاؤه فيما بعد.

وقد ورد بالإسناد عن ابن عباس قال: الإِفطار في السفر عزمة[٤].

والجواب الآية أعم واليسر شامل لفريضة الصيام من وجوه:

---

(١)سورة الجاثية١٤.

(٢)الدر المنثور٩/١٣٤.

(٣)الدر المنثور٩/١٣٤.

(٤)الدر المنثور١/٣٨٣.

الأول: ورد الأمر بالصيام للمسلمين جميعاً وهم مكلفون بالصيام في حال الصحة والحضر، قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾[1].

الثاني: ورد قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ قانوناً عاماً شاملاً لجميع أحكام التكليف، والأوامر والنواهي.

الثالث: مع أن الصيام أمر مكتوب ومفروض على المسلمين فان الله عز وجل تفضل وجعله محصوراً في أيام معدودة.

ومن خصائص أيام الصيام أنها في شهر واحد وهو شهر رمضان، ولم يقع شطر منها في شهر رمضان وشطر في شعبان أو شوال.

الرابع: من اليسر التخفيف عن المسلمين في أداء صيام شهر رمضان ليكون التخفيف عاماً للمسلمين الذين يصومون شهر رمضان، ثم يأتي تخفيف إضافي وهو خاص بالمريض والمسافر من المسلمين.

الحادية عشرة: تقدير الجمع بين الآيتين:أياماً معدودات ولتكملوا العدة) وفيه آية بأن التخفيف مقيد غير مطلق، فلابد من إتمام تلك الأيام المعدودات، وفيه دلالة على أن إكمال العدة أمر سهل ويسير، فلا يعني عدّ الأيام وإمكان حسابها الإنتقاص منها، أو التفريط في الأيام الأخيرة منها، بل ينبسط وجوب الصيام عليها على نحو عرضي متساو.

---

(١)سورة البقرة ١٨٣.

الثاني: صلة قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾[1]، بهذه الآية، وفيها مسائل:

الأولى: تقدير الجمع بين الآيتين:ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام شهر رمضان) لتكون هناك نوع ملازمة بين الصيام وشهر رمضان، فما أن يأتي ذكر أحدهما حتى يتبادر إلى الذهن الآخر منهما، وفيه آية في تثبيت مفاهيم العبادة في نفوس المسلمين، وبعثهم على أداء فريضة الصيام بشوق ورغبة، ويكون تقدير الآية أيضاً(ياايها الذين آمنوا شهر رمضان) أي التوصية والعناية بشهر رمضان.

وتحتمل هذه العناية وحوهاً:

الأول: إرادة فريضة الصيام.

الثاني: إيلاء أهمية وأولوية لذات شهر رمضان من بين الشهور، وهذه العناية لا تتعارض مع الإهتمام والأولوية لأشهر أخرى كما في الأشهر الحرم قال تعالى ﴿الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾[2]، وهي أربعة شهور ثلاثة سرد وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وشهر منفصل وهو شهر رجب، واثبات شيء لشئ لا يدل على نفيه عن غيره خصوصاً وان الأشهر تأتي متعاقبة وفق أفراد الزمان الطولية فليس من إتحاداً او تعارض او تزاحم في الوعاء الزماني فكل شهر يستعدله المسلمون ويستقبلونه بأسباب التقوى والعنايه، نعم لشهر رمضان خصوصية للملازمة بينه وبين أمرين:

---

(١)الآية١٨٣.

(٢)سورة التوبة٥.

الأول: امر سماوي سابقاً بزمانه وهو نزول القرآن في هذا الشهر المبارك.

الثاني: أداء فريضة الصيام في هذا الشهر على نحو الحصر والتعيين ويحتمل قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بلحاظ الوعاء الزماني للفريضة وجوهاً:

الأول: التخيير بالنسبة للأمم السابقة في أوان الصوم.

الثاني: التفصيل مرة لايكون صيامه في شهر رمضان ومرة أخرى في شهر غيره.

الثالث: لا تدل آية السياق على الإتحاد والتشابه بين صيام المسلمين والموحدين من الأمم السابقة في ثلاثين يوماً.

الرابع: إرادة التشابه التام على نحو الموجبة الكلية وأنه فرض على الأمم السابقة صيام شهر رمضان كما فرض على المسلمين على نحو التعيين.

والصحيح هو الأخير لوجوه:

الأول: وحدة التكليف.

الثاني: إستقراء التشابه وتوارث أحكام الصيام من عمومات قوله تعالى ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

الثالث: ما ورد في النص شهر رمضان فرض على النصارى، وأخرج ابن جرير عن السدي في قوله { كما كتب على الذين من قبلكم } قال : الذين من قبلنا هم النصارى كتب عليهم رمضان ، وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم ، ولا ينكحوا في شهر رمضان . فاشتد على

---

(١) سورة البقرة ١٣٥.

النصارى صيام رمضان فاجتمعوا فجعلوا صياماً في الفصل بين الشتاء والصيف ، وقالوا : نزيد عشرين يوماً نكفر بها ما صنعنا ، فلم يزل المسلمون يصنعون كما تصنع النصارى حتى كان من أمر أبي قيس بن صرمة وعمر بن الخطاب ما كان ، فأحل الله لهم الأكل والشرب والجماع إلى قبيل طلوع الفجر[1].

الرابع: أصالة التشابه والإلتقاء في ماهية العبادة التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام إلا ماخرج بالدليل وهو مفقود في المقام.

الثانية: يفيد الجمع بين قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أن الإخبار عن قدسية شهر رمضان هبة ونعمة خاصة للمسلمين وكنز بخصوص الأيام وشرفها إدخره الله عز وجل لهم ليتعاهدوه إلى يوم القيامة بالصيام والتقديس، ويتخذونه مناسبة للتوبة والإنابة، وفعل الحسنات،وجني الحسنات، والإرتقاء في الدرجات، قال تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [2].

ومن دلالات الجمع بينهما أن شهر رمضان أمانة عند المسلمين وأن الله عز وجل يوصيهم به، ويحثهم على تعاهده والحفاظ على منزلته بين الشهور، وتتجلى هذه المنزلة الرفيعة بالتقوى والصلاح في شهر رمضان، ومن الآيات أن التقوى فيه تأتي على نحو الوجوب والفرض من عند الله، بلحاظ أن الصيام فرض عين على كل مكلف ومكلفة.

---

(١)الدر المنثور١/٣٥٥.

(٢)سورة النور٣١.

ومـــن الآيـــات أن العبـــادة في شـــهر رمضـــان لا تنحصـــر بالصيام بل تشمل الصلاة، وتلاوة القرآن.

وعــن الإمــام البــاقر عليــه الســلام: لكــل شــيء ربيــع وربيــع القرآن شهر رمضان[1].

وتكـــون تـــلاوة القـــرآن في الصـــلاة وخارجهـــا، مـــع أن نعمـــة الثـــواب بقراءتـــه في الصـــلاة تتغشـــى أيـــام الســـنة كلـــها لوجـــوب الصلاة خمس مرات في اليوم على كل مسلم ومسلمة.

وعــن الإمــام علــي عليــه الســلام قــال: قــال رســول الله صــلى الله عليــه وآلــه وســلم: قــراءة القــرآن في الصــلاة أفضــل مــن قــراءة القــرآن في غــير الصــلاة، وذكــر الله كــثيرا فضــل مــن الصــدقة، والصدقة أفضل من الصوم، والصوم جنة من النار[2].

الثالثـــة: مـــن خصـــائص المســـلمين الإيمـــان بـــالله والتنزيـــل والنبـــوة، وقـــد آمـــن اليهـــود بنـــزول التـــوراة، وآمـــن النصـــارى بنـــزول التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى.

وإنفـــرد المســـلمون بشـــرف الإيمـــان بمـــا أنـــزل علـــى الـــنبي محمـــد صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم والأنبيـــاء الـــذين ســـبقوه إبتـــداء مـــن آدم عليه السلام، ويفيد الجمع بين الآيتين وجوهاً:

الأول: الشهادة من الله عز وجل للمسلمين بالإيمان.

الثـــاني: تأكيـــد نـــزول القـــرآن مـــن عنـــد الله، ليـــدل بالدلالـــة التضـــمنية بـــأن فـــرض الصـــيام علـــى المســـلمين مـــن عنـــد الله عـــز وجـــل ولـــيس مـــن الـــنبي محمـــد صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم قـــال تعـــالى ﴿تَبَـــارَكَ الَّـــذِي نَـــزَّلَ الْفُرْقَـــانَ عَلَـــى عَبْـــدِهِ لِيَكُـــونَ

(١) بحار الانوار٨٩/٢١٣.

(٢) بحار الانوار٨٩/٢١٣.

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١]، لتكون فريضة الصيام مما يفرق بين المؤمن المؤمن والكافر، وبين الحلال والحرام، والفارق بين الناس في منازلهم في الآخرة لدخول الصائمين الجنة ، وخلود الكفار في النار.

الثالث: بيان قانون سماوي وهو عدم إختصاص المسلمين بنزول القرآن إنما أنزله الله عز وجل رحمة لأهل الأرض جميعاً، ووسيلة سماوية لهدايتهم.

ومن وجوه الهداية بلحاظ آية السياق فرض الصيام على المسلمين، والتذكير بأنه أمر واجب ومكتوب على الموحدين من الأمم السابقة، فحينما قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [٢]، فانه سبحانه أنزل القرآن لجذبهم إلى مسالك الهدى واليقين.

الرابع: نزول القرآن في شهر رمضان مناسبة للخشية من الله، وبلوغ مراتب التقوى، ليستحضر المسلمون في شهر رمضان أعمالهم، ومراتبها في مقامات التقوى، ويطل عليهم شهر رمضان فيؤدون فيه الصيام ليكون الوسيلة العبادية للإرتقاء إلى درجات التقوى.

الرابعة: أختتمت كل من الآيتين بحرف الترجي(لعل) وجاء في آية السياق الحث على مراتب التقوى والخشية من الله﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وفي آية البحث البعث على الشكر لله عز وجل على نعمة الصيام بقوله تعالى﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

---

(١)سورة الفرقان١.

(٢)سورةالذاريات٥٦.

وفيه شاهد بأن نزول القرآن رحمة وخير محض، ونفع متصل في النشأتين.

وكل من التقوى والشكر لله عز وجل من مكارم الأخلاق، وفيهما الثواب العظيم، وكل فرد منهما كنز لإدخار الحسنات، بأن ينهل منهما المسلم، ويدّخره في صحيفة أعماله مع فضل الله عز وجل بزيادته والنماء فيه.

وكل من نزول القرآن والصيام مناسبة للتقوى والشكر لله عز وجل والصيام فرض نزول به القرآن، ليكون نزول القرآن باباً للمتعدد من أسباب التقوى وسبباً للمتجدد من الشكر لله عز وجل.

الثالث: الصلة بين قوله تعالى﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ......﴾[1]، وبين هذه الآية، وفيها مسائل:

الأولى: جاءت الآية أعلاه بخصوص الوصية عند حلول الأجل، وجاءت آية البحث بذكر شهر رمضان ونزول القرآن فيه، ويفيد الجمع بين الآيتين أن أحكام الوصية من عمومات قوله تعالى﴿الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ لأن الوصية رحمة بالحي والميت، والوارث وغيره، ومناسبة لإبراء الذمة، وإعادة أمانات الناس وحقوقهم.

الثانية: من وجوه الهداية في القرآن بخصوص الوصية أمور:

الأول: كتابة الوصية، وإدراك موضوعيتها في الشريعة الإسلامية.

---

(١)الآية ١٨٢.

الثاني: إجتناب الحيف والظلم في الوصية.

الثالث: قيام المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند حصول الحيف في الوصية أو إحتمال وقوعه.

الرابع: بعث السكينة في نفوس المسلمين، بمجيء آية البحث بالإخبار عن الأمن والسلامة من الإثم عند النهي عن الجنف والظلم.

الخامس: الإهتداء إلى اللجوء إلى الله عز وجل لطلب العفو والمغفرة من الله عند حدوث النقص والخلل في الوصية.

الثالثة: لقد نزل القرآن في شهر رمضان على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتشع أنواره على أفراد الزمان الطولية إلى يوم القيامة، في باب العبادات والمعاملات فمن إعجاز آية البحث أنها لم تذكر الصيام وشهر رمضان وحده بل ذكرت نزول القرآن فيه وأنه هدى وسبب لصلاح للناس عموماً، ومن الهداية فرض الوصية على المسلمين قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾.

الرابعة: يمكن تسمية شهر رمضان(شهر المغفرة) لما فيه من أسباب العفو عن المسلمين، ومغفرة الذنوب، (عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفظ ما ينبغي أن يتحفظ، كفر ما قبله)[1].

وأختتمت آية السياق بثلاثة من أسماء الله الحسنى(أن الله غفور رحيم) وفيه شاهد على أن كتابة الوصية مناسبة للمغفرة ونزول الرحمة من الله عز وجل، وهل يمكن القول

(١)صحيح ابن حبان ٣٦٧/١٤.

أن الجمع بين الآيتين يفيد إتخاذ شهر رمضان مناسبة لكتابة الوصية ونيل المغفرة والعفو من الله، وأداء الصيام في حال السلامة من الظلم ودفعه عن الذات والغير.

الشعبة الثانية: صلة الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه:

الأول: صلة هذه الآية بالآية التالية وهو قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ......﴾[١]، وفيها مسائل:

الأولى: يفيد الجمع بين الآيتين المبادرة إلى الدعاء وسؤال الله عز وجل في شهر رمضان فهو(شهر الدعاء) وكل من الصيام والدعاء مدرسة عقائدية وأخلاقية، وإرتقاء ف سلم العبادة والتقوى.

الثانية: جاءت الآيتان بصيغة العموم الإستغراقي للناس، فذكرت آية البحث أن القرآن(هدىً للناس)وذكرت آية السياق أن الله قريب من العباد بقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، وفيه شاهد على سعة رحمة الله، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٢].

لقد جعل الله عز وجل شهر رمضان رحمة بالناس، وباباً لنزول فضله وزاد عليهم من لطفه فهداهم إلى إستعال أيامه ولياليه بالدعاء، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا دعا أحدكم فليعمم فأنه أوجب للدعاء) [٣].

(١)الآية ١٨٦.
(٢)سورة الأنبياء ١٠٧.
(٣)البحار ٣٤٠/٩٠.

الثالثة: ورد في آية السياق(فليستجيبوا لي) ومن أهم مصاديق الإستجابة لله أداء فريضة الصيام في شهر رمضان وفيه الهدى والرشاد، ومن إعجاز القرآن أن الهداية إلى سبل الهدى، والإعانة لبلوغ العبد مراتب التقوى، وكل من الصيام والدعاء من مصاديق الهدى سواء كانا مجتمعين أو متفرقين.

وبالإسناد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات لا ترد دعوة الوالد ودعوة الصائم ودعوة المسافر)[1].

الرابعة: إبتدأت آية السياق بقوله تعالى﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ وصيام شهر رمضان شاهد على تسليم المسلمين بأن الله عز وجل هو رب العالمين، وأنه سبحانه خلق الخلق ثم يعيده، وهو الذي أمر بفريضة الصيام، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصيام جنة)[2]، أي واقية وأمن، ويحتمل الحديث وجوهاً:

الأول: القدر المتيقن أن الصيام واقية من النار.

الثاني: الصيام واقية من الأمراض والآفات في الدنيا.

الثالث: إرادة المعنى الأعم، وأن الصيام واقية وأمن في النشأتين.

والصحيح هو الأخير، لأصالة الإطلاق كتاباً وسنة، قال تعالى﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3]، وللنصوص الواردة بمنافع

(١)السنن الكبرى/البيهقي ٣/٣٤٥.

(٢)الدر المنثور ١/٣٦٣.

(٣)سورة البقرة ١٨٤.

الصيام في الدنيا والآخرة (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان)[1].

الثاني: صلة آية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ......﴾[2]، بهذه الآية، وفيها مسائل:

الأولى: جاءت كل من آية البحث والسياق خطاباً للمسلمين، وفي موضوع وأحكام الصيام، وهو تشريف لهم، وشاهد بأنهم(خير أمة)، ولم ينحصر الخطاب في الآية للذكور من المسلمين بل هو عام وشامل للمسلمين والمسلمات، فإن قلت جاءت آية السياق بالخطاب للذكور حصراً لأنها أذن لهم بوطئ نسائهم (الرفث إلى نسائكم) .

والجواب إنه أمر للنساء بالواسطة أيضاً لأن الوطئ نوع مفاعلة بين الطرفين ولأن الرفث أعم من الجماع ويشمل مقدماته، ومن إعجاز آية السياق أنها قيدت الرفث بأنه إلى نسائكم على نحو الإضافة والتقييد لبيان أمور:

الأول: التنزه ليلة الصيام من الحرام.

الثاني: لزوم إستقبال شهر الصيام ونزول القرآن بالتقوى والعصمة من المعاصي والسيئات.

الثالث: عدم التعارض بين الصيام في النهار وفعل المباحات في الليل.

---

(١)الدر المنثور ٤٨٣/٨.

(٢)الآية ١٨٧.

الرابع: تفقه المسلمين في الدين والتمتع بالنعم في ذات الوقت الذي يؤدون فيه العبادات والفرائض.

الثانية: إبتدأت آية البحث بقوله تعالى(شهر رمضان) وآية السياق بقوله تعالى(أحل لكم ليلة الصيام) والمراد ليلة يوم الصيام، وبينها وبين(شهر رمضان) عموم وخصوص مطلق، إذ أن الشهر أعم يشمل أيام الشهر ولياليه بدليل أن موضوع آية البحث لم ينحصر بالصيام بل تضمن الإخبار عن نزول القرآن في شهر رمضان.

وبالإسناد عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود، فقال: وقع في قلبي الشك من قول الله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} وقوله: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} وقوله: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} وقد أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي المحرم، وصفر، وشهر ربيع. فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان، في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلا في الشهور والأيام، رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه، وهذا لفظه)[1].

ولا موضوعية للشك وقوله(دفع في قلبي الشك من قوله تعالى) وذكره في الحديث، وإمتلاء كتب المسلمين به فليس من سبب لهذا الشك، فيجب أن يكون السؤال للبيان وطلب التفسير والإيضاح وليس بسبب الشك الذي هو سالبة بإنتفاء الموضوع، لكبرى كلية وهي التسليم بعدم وجود تعارض في القرآن.

كما أن الجمع بين الآيات الثلاث أعلاه ممكن ويفيد أن

(١)تفسير ابن كثير ٥٠١/١.

النزول في ليلة مباركة من شهر رمضان هي ليلة القدر سواء بنزوله دفعة إلى السماء الدنيا، أو أن المراد هو بداية تنزيل القرآن وتجمعها لغة الماضي التي وردت بها الآيات الثلاث، مع نزول آيات قرآنية بعدها وآخر سور القرآن نزولاً هي سورة المائدة.

الثالثة: تضمنت كل من الآيتين الرخصة والإباحة، فجاءت آية البحث بالإذن للمريض والمسافر بالإفطار ثم القضاء خارج شهر رمضان، وتضمنت آية السياق إباحة الرفث ووطئ الزوجة ليالي شهر رمضان.

الرابعة: أكدت آية البحث على صيام شهر رمضان على نحو الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة بقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1]، فليس للمسلم الذي يرى الهلال تعليق صيامه على صيام غيره ، وتلك آية في تثبيت الفرائض العبادية في الأرض وهو من خصائص ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، بأن يتعاهد المسلمون فريضة الصوم على العموم المجموعي والإستغراقي والبدلي.

وجاءت آية السياق بأحكام فقهية خاصة بالصيام ومن الإعجاز أن قوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[3]، ضبطت أوان الإفطار والصيام في عموم أقطار الأرض، وجميع أفراد الزمان الطولية.

(١)سورة البقرة ١٨٥.
(٢)سورة آل عمران ١١٠.
(٣)سورة البقرة ١٨٧.

وما الإرتقاء التقني والثورة الصناعية والعلوم الفلكية المستحدثة إلى آلان في بيان هذه الآية من غير حصول تعارض فيها بين بلد وآخر، أو زمان وغيره وفيه آية لمنع الخلاف بين الفقهاء في هذا الباب وإفطار وإمساك المسلمين جميعاً في وقت واحد من عمومات قوله تعالى﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

الثالث: صلة﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[2]، بهذه الآية، وفيها مسائل:

الأولى: بين الآيتين عموم وخصوص مطلق، من وجوه:

الأول: مجيء آية السياق بصيغة الجمع في الأهلة وهي جمع(هلال)وبين ذكر شهر رمضان بلحاظ أنه هلال وشهر واحد.

الثاني: شهر رمضان ميقات للصوم، والأهلة مواقيت للناس في الديون والآجال والمعاملات والعبادات.

الثالث: الصيام من خصال المتقين، والبر أعم منه.

الثانية: جاءت آية السياق خطاباً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإخباراً عن سؤال المسلمين له عن أحكام الأهلة وفيه شاهد على تفقه المسلمين في الدين ودليل على تنزه المسلمين عن الشرك وفيه تعريض ببعض الملل السابقة الذين إتخذوا الشمس والقمر إلهين، فإن قلت ورد في أسباب النزول أن اليهود هم الذين سألوا عن الأهلة.

فقد روي أن(معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أن اليهود

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

(٢)الآية ١٨٨.

يكثرون مسألتنا عن الأهلة فأنزل الله هذه الآية)، والجواب إن المسلمين هم الذين ينتفعون من مضامين هذه الآية، وهم الذين يؤدون الحج كل عام، ويعتمدون الأهلة لمعرفة أوان إنقضاء عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها، ولأن معاذاً سأل رسول الله فجاءت الآية بقوله تعالى(يسألونك).

الثالثة: لقد سألوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن الأهلة، وأسرار إبتلاء القمر بالزيادة والنقيصة والحكمة فيه وهو من عمومات قوله تعالى﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(١)، لبيان الدقة المتناهية في سير ومنازل القمر، وتأكيد إرادة الله القاهرة، وسلطانه الغالب، وإنقياد الخلائق لأمره وأي خلل أو إختلاف في سير القمر يربك ويفسد نظام الكائنات ويعود على الناس بالضرر الجسيم.

والعرجون هو عود العذق من النخلة الذي يكون الثمر في نهايته، ويبقى متصلاً بالنخلة بعد قطع الكباسة منها، والقديم: البالي لأن هذا العود بعد قطع التمر عنه يصغر وينحني ويبدأ بالتضاؤل وشبهت الآية به القمر في آخر منازله، ومنازل القمر أكثر عدداً من بروج الشمس مع شدة تقاربهما، وكل برج يصاحبه منزلان أو ثلاثة من منازل القمر، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، أما أبراج الشمس فهي أثنا عشر برجاً وهي: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت.

ومن الآيات في التبدل والتغيير في القمر أن الزيادة في لياليه الأولى يبدو معها مشرقاً بهياً نضراً، أما في لياليه

(١)سورة يس ٣٩.

الأخيرة فإن علامات النقصان ظاهرة عليه فكأن فيه شحوباً وضعفاً، وهل فيه تذكير للإنسان بأنه ينمو في صباه وشبابه حتى يبدو بهياً في غاية الفتوة والتكامل البدن ثم يضعف عند تقدم العمر به، ويظهر عليه الذبول، وترتسم على وجهه التجاعيد، الجواب لا دليل عليه وإن كان الجمع بينهما آية في بديع صنع الله، والدقة في نظام الكون، والتشابه في سنخية الخلائق.

ومن الآيات بيان القرآن لعلة جريان القمر وتبدل أحوال ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[1]، ومنه معرفة أوان البلوغ، وإستعداد الإنسان للموت، وفيه تأكيد لموضوعية الأشهر القمرية، وحساب السنة الهلالية.

الرابعة: جاءت آية السياق بحث المسلمين على التقوى والخشية من الله بقوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ ومن أبهى وأصدق معاني التقوى أداء فريضة الصيام، لذا ورد قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

وفيه دلالة على هداية الله عز وجل المسلمين لمنازل التقوى، وتقريبهم لأسباب الصلاح والتوقي من النار، وليكون(شهر رمضان)مناسبة قهرية وإنطباقية لفوز المسلمين بمرتبة التقوى، ففي أيام السنة الأخرى أداء للصلاة، ويأتي شهر رمضان ليكون جامعاً للصلاة والصيام.

الخامسة: أختتمت آية البحث بقوله تعالى(لعلكم

---

(١)سورة يونس ٥.

(٢)سورة البقرة ١٨٣.

تشكرون) وأختتمت آية السياق بقوله تعالى(لعلكم تفلحون) وفي الجمع بينهما تأكيد لعظيم فضل الله عز وجل على المسلمين والمسلمات يجذبهم إلى منازل الصلاح والإتقاء في سلم اليقين والشكر بذاته فلاح وهو طريق لمراتب الفلاح في النشأتين.

إعجاز نظم الآيات

من الإعجاز القرآني تضمن هذه الآيات لأحكام فريضة الصوم والتخفيف فيها ورفع التنافي بين التكليف وقاعدة منع الحرج وجاءت متتالية لتمنع الإرباك في الفتوى او التطبيق، وليأتي الإمتثال النوعي العامة المسلمين على أحسن الوجوه، ومن حسنه غلق باب الخلاف ومنع حصول الفتنة والتباعد في الإجتهاد وأدلة الإستنباط وما يسببه من النفرة التي تساهم سلباً في الأضرار بقدسية وإجلال هذه الفريضة.

ويطلق أحياناً اسم مستقل على بعض الآيات مثل آية الكرسي وغيرها، ونطرح هنا موضوع التسمية المتحدة لعدة آيات فنسميه الآيات الخمسة او آيات الصيام باعتبار انها مدرسة الصيام لتكون التسمية والتخصيص بها اوعطاءها عنواناً خاصاً مناسبة كريمة للبحث والتحقيق على نحو مستقل ولبيان عظمة القرآن بان تثبت فريضة الصيام في الأرض الى يوم القيامة بخمس آيات.

اعجاز الآية

في الآية التفاتة قرآنية لحساب الشهور واسمائها وتثبيت اسم شهر رمضان واقتران ذكر التسمية بفريضة عبادية، ان ذكر شهر رمضان على نحو الخصوص اكرام للمسلمين ولفريضة الصيام ومناسبة لتعاهد وحفظ الشهور القمرية ، وفي الآية

مسائل :

الأولى : ظاهر الآية ان الأهمية تترشح على الاسم من مسماه وموضوعه لذا احتل هذا الشهر المبارك منزلة خاصة عند المسلمين.

الثانية : ظلت قدسيته تتزايد باطراد في نفوسهم ومجتمعاتهم لتساهم الشريعة في ارتقاء المجتمعات وتهذيب النفوس وتلك مسألة تعتبر سيالة في جميع ابواب الفقه بلحاظ الإلتزام النوعي والشخصي باحكام الإسلام.

الثالثة : مع ان الآية جاءت لبيان أحكام فريضة عبادية فانها تختتم برجاء شكره تعالى.

الرابعة : وضوح الأحكام وتيسير فهم مضامينها وما فيها من أحكام.

ويتجلى الإعجاز في نظم الآيات بصلة خاتمة الآية السابقة وبداية هذه الآية وتقديره من وجوه:

الأول: وإن تصوموا شهر رمضان خير لكم.

الثاني: إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن خير لكم أن كنتم تعلمون وفيه دعوة للمسلمين للتفقه في علوم القرآن وأسرار التنزيل، ومعرفة فلسفة قدسية الدعاء الزماني لنزول القرآن، لتكون عهداً لتعاهد آيات القرآن، وتجديد العهد بها في شهر رمضان على نحو الخصوص تلاوة وحفظاً وتفسيراً، وعملاً بأحكامها.

لقد إبتدأت الآية بحمله إسمية تتضمن ذكر شهر رمضان والإخبار بأنه أوان نزول القرآن من عند الله، وتلك آية في بديع أيام الزمان، ومناسبة للتباهي بشهر مخصوص وإكرامه والغبطة بحلوله، والسعادة بجريان ذكره على اللسان، وفيه

تأكيد لعظيم نعمة الله بنزول القرآن بإخبار الله عن أوان نزوله وقدسية زمانه.

(عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس يعني: نجوم القرآن؛ فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُفَرَّقًا في السنين بعد ثم قرأ ابن عباس هذه الآية﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[1])[2]، قال نزل مفرّقاً.

وذكر لفظ(الهدى) مرتين في الآية الكريمة، ولم يأت في الآيات التالية من سورة البقرة حتى إنتهائها والتي تبلغ أكثر من مائة آية، ويحتمل تكرار لفظ الهدى في الآية وجوهاً:

<u>الأول:</u> إرادة القرآن وأنه هو الهدى.

<u>الثاني:</u> المقصود اللفظ الأول(هدىً للناس) هو شهر رمضان، وفي الثاني(بينات من الهدى والفرقان) هو القرآن.

<u>الثالث:</u> إرادة القرآن في كل من اللفظين.

<u>الرابع:</u> المراد من اللفظ الأول كل من شهر رمضان والقرآن، والمراد من اللفظ الثاني(بينات من الهدى) خصوص القرآن.

<u>الخامس:</u> إرادة كل من شهر رمضان والقرآن من كل من اللفظين في الآية الكريمة، والأقوى هو الرابع فشهر رمضان هداية للناس أيضاً مثل القرآن، والمراد من البينات: الدلالات الواضحات(وبانَ الشيءُ بَياناً اتَّضَح)[3].

(و قيل المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة و

---

(١)سورة الواقعة ٧٥.

(٢)تفسير ابن كثير ٥٤٤/٧.

(٣)لسان العرب١٣/ ٦٧.

بالثاني بيان الحلال و الحرام عن ابن عباس)[١].

وهو لا تعارض مع التفصيل الذي نذهب إليه أعلاه بخصوص إرادة المعنى الأعم من الهدى بلحاظ المضامين القدسية للآية الكريمة، لأن شهر رمضان صلاح وتهذيب وهداية وهو زاجر عن الضلالة من وجوه:

الأول: قدسية ذات الشهر من بين الشهور.

الثاني: تفضل الله عز وجل بإنزال القرآن في شهر رمضان.

الثالث: أداء فريضة الصيام في شهر رمضان، ومن الآيات أن الصيام واجب مضيق وليس موسعاً بخصوص شهر رمضان إذ أنه يستوعب أيام الشهر كلها لقوله تعالى في آية البحث(وتكملوا العدة).

إن تعدد مصاديق وأسباب الهدى في الآية الواحدة والموضوع المتحد كشهر رمضان آية في خلق السماوات والأرض وتسخير الزمان لهداية الناس، وإصلاحهم بسبل التقوى، وهل هو من عمومات قوله تعالى﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾[٢]، الجواب نعم فإن دوران الفلك وتعاقب الأيام وحلول شهر رمضان كل عام سبيل هداية، وموعظة لإعتبار الزمان والإنتفاع الأمثل من أيام الحياة الدنيا.

وجاء قوله تعالى﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ خطاباً للمسلمين للتدبر في بديع خلق السماوات والأرض، وبيان

(١)مجمع البيان ١/ ٢٧٦.

(٢)سورة النحل ١٢.

إرتباط أحكام العبادات بسير الكواكب والأفلاك، وتأكيد الضبط والسلامة من الإختلاف في الأحكام بالآيات الكونية، والآية أعلاه بيان إضافي لقدسية شهر رمضان، والعناية من عموم جميع المسلمين بحلول الشهر، وأوان هلاله، وفيه تنمية لحب شهر رمضان، والشوق لفريضة الصيام في نفوس المسلمين.

وأختتمت الآية ببعث المسلمين على الشكر لله على فريضة الصيام وفيه شاهد بأن المسلمين ينتفعون من صيامهم وعباداتهم، وأن الصيام خير محض، وسبيل هداية ورشاد، وأن الله عز وجل غني عن عبادتهم وصيامهم ولكن فرضه عليهم وإعانتهم على أدائه فضل من الله عليهم وعلى الناس جميعاً، وهو من أعظم الأبواب لنيل الثواب العظيم يوم القيامة.

ويمكن أن نسمي هذه الآية آية(شهر رمضان) ولم يرد لفظ رمضان في القرآن إلا في هذه الآية.

الآية سلاح

تعتبر هذه الآية مصدراً للأحكام الشرعية ودليلاً تفصيلاً لإستنباط أحكام فريضة الصيام وما يكتنفها من موارد التخفيف، وهي دعوة لإكرام شهر رمضان كمناسبة لنزول القرآن ودوام الصلة بين السماء والأرض، واوان للعبادة والصلاح والتقوى.

لقد ارتبط الصوم بشهر رمضان ليكون فرصة متجددة لتهذيب النفوس وصلاح المجتمعات وباباً للإستغفار والتقرب الى الله تعالى.

ذكرت الآية منافع وفلسفة نزول القرآن أنه خير محض،

ونفع للناس جميعاً من وجوه:

الأول: إنه نفع للمسلمين بزيادة إيمانهم، وتفقههم في الدين قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

الثاني: إنه هداية لأهل الكتاب وتذكير بنبوة موسى وعيسى، وما أنزل الله عليه وعلى الأنبياء السابقين.

الثالث: في القرآن هداية للكفار، ودعوة لهم للإسلام، وفيه شاهد بأن الإسلام إنتشر بالحكمة وإعجاز التنزيل وليس بالسيف، ومنه إخبار الآية الكريمة عن قدسية شهر رمضان لأنه الدعاء الزماني لنزول القرآن وصحيح أن القرآن لم يذكر أحد الشهور بالاسم إلا شهر رمضان، إلا أن ذكره دعوة للمسلمين للعناية بالشهور وضبط تعاقبها وصولاً إلى شهر رمضان، ومن الآيات أن القرآن منع الزيادة والنقيصة في عدد الشهور، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[2].

لقد أراد الله عز وجل لشهر رمضان أن يكون سلاحاً عند المسلمين في تثبيت الهدى في نفوسهم، ونشر معالم الدين وأحكام العبادات، ومن الآيات أن فريضة الصوم أمر تيسير، وجاءت الآية بقانون كلي(يريد الله بكم اليسر) وفي الخبر عن عائشة(ما خير رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أمرين إلا إختار أيسرهما)[3].

□

(١)سورة البقرة ٢.

(٢)سورة التوبة ٣٦.

(٣)تفسير القرطبي ٢/٣٦٣.

مفهوم الآية

في هذه الآية خصوصية مركبة مباركة فهي الآية الوحيدة التي يذكر فيها اسم شهر من الشهور، والشهر هو رمضان على نحو التعيين مما يدل على القدسية الخاصة لهذا الشهر ومنزلته في السماء ودورة الفلك.

وقد عرف الزمان بانه عدد حركات درج الفلك، والمدة المتوهمة بين حركة الدرجة الأولى منها وبين حركة ما يتلوها من الدرجة الأخرى، والزمان وعاء شامل ينحل الى اجزاء وآنات اطلقت عليها تسميات خاصة، وهو في الإصطلاح الفلسفي عبارة عن مقدار الحركة، وهذه الآية شاهد على ان تقسيم الزمان الى شهور متعاقبة هو امر سماوي وليس من صنع البشر وهل يمكن الإستدلال به على اصل الوضع أي وضع الإلفاظ لمعانيها ام لا كما بيناه في علم الأصول[1]، الأقوى لا، لأنه جاء على نحو القضية الشخصية ولعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[2] وقد قال جماعة منهم ابو الحسن الأشعري ان الله عز وجل هو الواضع للإلفاظ ازاء معانيها.

ان ذكر شهر رمضان وتحديد اوانه في هذه الآية بالإضافة الى السنة المتواترة باقسامها الثلاث القولية والفعلية والتقريرية بحصر الصيام في شهر رمضان واستيعابه كاملاً يفيد القطع واليقين بالفريضة ومنع الشك والريب في

---

(1) انظر تقريرات بحثنا الخارج في اصول الفقه ٢٠/١.

(2) سورة ابراهيم ٤.

احكامها ويدل على تثبيت الشارع المقدس للفرائض وتحصينها ومنع ظهور الفتنة والإختلاف في اركانها واجزائها الواجبة.

وورود اسم شهر رمضان في القرآن وحده تشريف لأيامه ولياليه وحث سماوي على اداء فريضة الصيام واخبار عن نزول البركات في هذا الشهر وسبيل لتعاهد المسلمين لحساب الشهور القمرية وضبط ايامها وأسمائها وتنمية ملكة الحساب والدقة عند المسلمين ودعوة لتنظيم المعايش والإلتفات النوعي العام الى العبادات، والفرائض المؤقتة ومن الآيات ان ذكر شهر رمضان لم يأت مجرداً بل تضمن الإجلال له باعتباره وعاء لأفضل امر تلقته الأرض وهو نزول القرآن، فلقد بدأت الحياة على الأرض بنزول آدم عليه السلام اليها وهو خليفة الله، ثم جاء نزول القرآن وهو كلام الله عزوجل ليحصل التكامل الإنساني والعقائدي في الأرض والإقتران المبارك والمسؤوليات التشريعية التي انفرد المسلمون بتحملها ومنها التكليف بالصيام في شهر رمضان واحياء علوم القرآن بالصلاة والصوم، ونحن بحاجة الى دراسات تبين اثر الصيام في تثبيت معالم القرآن وتلاوته وانتشار علومه والحرص على منع التحريف عنه.

لقد تضمنت الآية مسائل هي:

الأولى : ذكر اسم شهر رمضان.

الثانية : نزول القرآن فيه.

الثالثة : المنافع القدسية للقرآن.

الرابعة : فرض الصيام في شهر رمضان على نحو التعيين.

الخامسة : قضاء الصيام في ايام السنة الأخرى لأصحاب الأعذار.

السادسة : التكبير مع ذكر علته وهي الهداية.

وتبين الآية المنافع العظيمة للقرآن وانه آلة الإصلاح السماوي للناس جميعاً، ومن مفاهيم الآية ان وظائف القرآن سماوية وانها واقعة طوعاً وانطباقاً وقهراً فلابد ان تكون له موضوعية في التمييز بين الناس على اساس الإيمان والهداية وسيبقى سبباً الى مقامات الفائزين وحجة تخاطب العقول وتدعوهم الى اختيار سبل النجاة، وبينما جاءت الآية السابقة بالتخفيف والإعانة في اداء الصوم بوصف مدة الصوم بانه (ايام معدودات) جاءت هذه الآية لتخبر عن اوان ابتداء الصوم ومدته ايضاً بانه شهر وهذا من الإعجاز ان يأتي لفظ واحد (فمن شهد منكم الشهر) ليكون اعلاناً سماوياً لإبتداء الصوم ومدته ونهايته ففيه اخبار عن بدأ الصوم عند رؤية هلال شهر رمضان وان مدته شهر كامل مؤكدة باكمال العدة،

اما انتهاؤها فهو ظاهر بمفهوم هذا اللفظ ايضاً.

ان الأمر باكمال العدة توكيد سماوي على عدم التفريط باي جزء من اجزاء الصيام واي يوم منه فافراده وان كانت غير ارتباطية الا ان الآية تظهر ان الشهر واحد لا يقبل التجزئة فالآية مانع مولوي دون التفريط بيوم او ساعة من ساعات الصيام.

وتثبت خاتمة الآية فضل الله تعالى بفرض الصيام وانه نعمة من نعمه على اهل الأرض وسبيل الى الفوز والنجاة، ومن مفاهيم الآية انها اخبار عن التوفيق لأداء فريضة الصوم وحفظها وعدم التفريط بها وانها بشارة الجزاء العظيم وباب للشكر له تعالى على ادائها ونيل ثوابها بالنعيم الدائم في الجنة.

إفاضات الآية

لقد هدى الله عز وجل المسلمين إلى حقيقة وهي أن تحملهم الجوع والعطش في شهر رمضان نعمة عظيمة منّ الله عز وجل عليهم بتشريعها، وأن التوفيق للصيام بلطف جلي من عند الله عز وجل وهو من إكرام الله عز وجل لنزول القرآن وبيان قدسية الوعاء الزماني الذي أنزل فيه ، والدلالة المتجددة كل سنة بصيغة التقوى.

لقد إختار الله عز وجل لنزول القرآن أكرم الشهور لتتحمل مسؤولية حمله وتعاهد أحكامه ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وأن المسلمين يخرجون للناس بصيام شهر رمضان، فيقوم المسلمون بأداء فريضة الصيام في كل مرة يطل على الناس شهر رمضان، ويخرجون بالقرآن وتلاوته والعمل بأحكامه وتتضمن الآية التحدي بأن القرآن هدىً للناس جميعاً ومن خصائص التحدي القرآني أن مصاديقه تتجلى واضحة للحواس وتدركها العقول بأدنى تأمل وتبصر.

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

فأراد الله عز وجل أن يبين مصداقاً في ذات آية البحث، وهو صيام المسلمين لشهر رمضان ومجيء التخفيف عن المريض والمسافر فيه، وهذا المصداق من اللامنتهي في أفراده لأنها تملأ مشارق الأرض ومغاربها، وتتجدد كل عام بصيام المكلفين والمكلفات من المسلمين.

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا(دار التخفيف) فيبذل الإنسان الجهد ويتحمل العناء في أمور الدنيا وأسباب الكشف، ولكن سرعان ما يتبدد هذا العناء، ويشعر بالصفاء والسلامة من التعب، وينظر إلى المستقبل بعين البهجة والأمل ويدرك أن بإستطاعته بذل الوسع لبلوغ أمانيه، فجاءت فريضة الصوم لتكون بلغة وغاية، ووسيلة عبادية، وقد يكون بالتعارض بين كون الصيام بلغة وغاية، للتباين الموضوعي بينهما، مع أداء ماهية الفعل والموضوع وهو الصوم.

والجواب هو أن التباين بين البلغة والغاية جهتي، وأن الصيام يكون بلغة في أمور، وغاية في أمور أخرى وليس من حصر لوظائف الصوم، والموارد التي يتخذ فيها بلغة فهو طريق إلى السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة لذا جاء قوله تعالى﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1]، بصيغة الإطلاق في الموضوع والحكم وأفراد العوالم الطولية، والله عز وجل إذا وعد فأنه سبحانه يعد بالأوفى والأتم.

وتدل الآية في مفهومها على سلامة القرآن من التحريف وهذه السلامة من رحمة الله عز وجل بالناس ، لتكون

(١)سورة البقرة ١٨٤.

هدايتهم من عند الله مستمرة ودائمة إلى يوم القيامة وفيه حجة على الناس، وحجة للمسلمين بأنهم تعاهدوا سبب وموضوع الهدى، تعاهدوه بالإمتثال لما فيه من الأحكام والعمل بعزائمه والأخذ برخصه، وجاهدوه لحفظه من التحريف ومنع يد التبديل من الوصول إلى رسمه ومضامينه وأحكام، فلم ولن يطرأ تغيير أو تبديل على الوعاء الزماني لفريضة الصوم فيدرك المسلمون الملازمة بين شهر رمضان وفريضة الصيام، لأمر الذي أكدته هذه الآية الكريمة ومن إفاضات الآية الرخصة في الأفطار أيام السفر (عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الصائمُ في السفر كالمفطر في الحضر)[1]، (وعن خيثمةَ قال: سألت أنس بن مالك عن الصوم في السفر، قال: قد أمرتُ غلامي أن يَصوم فأبى. قلت: فأين هذه الآية:"ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر"؟ قال: نزلت ونحن يومئذ نرتحلُ جياعًا وننزل على غير شِبَع، وإنا اليوم نرتحل شِباعًا وننزل على شِبَع)[2].

الآية لطف

لقد تفضل الله عز وجل على الأجيال المتعاقبة من الناس فجعل القرآن﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، ليكون الضياء الذي ينير السبل في الحياة الدنيا، ومن الإطلاق في مضامين القرآن جاءت فيه(مدرسة الشهور) من جهة ضبطها، وبيان

(١)تفسير الطبري ٣/ ٤٦٤.

(٢)تفسير الطبري ٣/٤٦٦.

(٣)سورة النحل ٨٩.

موضوعيتها في العبادة، وتأكيد أهميتها قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[1].

لتبقى أشهر الحج معلومة عند المسلمين إلى يوم القيامة وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وإمتاز شهر رمضان بأن ذكره الله في القرآن بأسمه وتلك آية إعجازية في تثبيت شهر الصيام، وعصمة المسلمين مما وقعت فيه الأمم السابقة من التبديل في أوان ومدة وسنخية الصيام.

إذ جاءت هذه الآية بتعيين أوانه فبعد أن ذكرت الآية اسم شهر رمضان بينت الملازمة بينه وبين الصيام بقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ومع أن الشهادة والرؤية تكون للهلال، وهو يطل على أهل الأرض في أول الليل وليس في نهار الصيام فإن الآية لم تقل(ومن شهد منكم الهلال)بينما ورد ذكره بصيغة الجمع في القرآن بقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[2].

ليكون في نعت الهلال بالشهر تأكيد على إتحاد حكم أيام شهر رمضان من جهة الصيام، وإن كانت أفراداً غير إرتباطية، لذا يجوز الإكتفاء بنية واحدة لمجموع شهر رمضان.

وجاءت الآية بالإخبار عن نزول القرآن في شهر رمضان لبعث المسلمين لحب شهر رمضان، ومعرفة قدسيته، وإدراك فضله ولزوم إتخاذه مزرعة زمانية للعبادة والتقوى.

---

(١)سورة البقرة ١٩٧.

(٢)سورة البقرة ١٨٩.

ومن الآيات أنه القرآن نزل في ليلة من ليالي شهر رمضان فجعل الله الشهر كله أواناً لنزوله، لبيان عظيم الشرف الذي يترشح عن نزول القرآن، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[1]، فمن بركات ليلة القدر ونزول القرآن فيها إعتبار شهر رمضان كله أواناً ودعاء لنزول القرآن قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2]، وفيه دلالة على خشوع ليالي وأيام شهر رمضان لنزول القرآن فيها، ليزينها المسلمون بالصيام، ويظهرون الخشوع فيها لمناسبة خشوعها لنزول القرآن.

ومن اللطف الإلهي تعلق فريضة الصيام بالهلال إبتداء وإنتهاء، وعدم الحاجة فيه للرجوع إلى العالم والفقيه والحاكم، إذ تخاطب الآية المسلمين والمسلمات بعرض واحد، لذا يجب الصوم على من رأى الهلال بنفسه، أو شهد عنده عدلان وإن لم تثبت الرؤية عند الحاكم وإعتبر شهر شعبان كامل العدة، وهو من الأحكام الظاهرة في الآية والتي تحتاج إلى وسائط للإستنباط.

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بالجملة الإسمية(شهر رمضان) ولإخبار عن عظيم منزلته في تأريخ العقائد السماوية بإعتبار الدعاء الزماني لنزول القرآن، وجاءت النصوص بأن الكتب

(١)سورة الدخان ٣.

(٢)سورة الحشر ٢٠.

السماوية الأخرى نزلت فيه أيضاً، إلا أن ذكر نزول القرآن فيه على نحو التعيين بيان لموضوعية أوان نزول القرآن، ولزوم إكرام شهر رمضان بصيامه وقراءة القرآن فيه، والحرص على العمل بأحكامه وسننه.

ومن خصائص القرآن أنه بيان وموعظة قال تعالى﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[1]، وفيه دليل بأن القرآن نزل من عند الله عز وجل، وهو برزخ دون الخلاف والخصومة بين المسلمين على أوان نزول القرآن، وأحكام الناسخ والمنسوخ ثم ذكرت الآية الوظيفة السماوية للقرآن، وأنه رسول من الله عز وجل لجذب الإنسان لمنازل الهداية، وفيه أمور:

الأول: ترغيب المسلمين بدعوة الناس إلى الرجوع إلى القرآن، والنهل م علومه التي هي صلاح لهم.

الثاني: إنه باعث على الخير والسعي في سبل المعروف، ونبذ أسباب الضلالة والفتن والحروب والإقتتال.□

الثالث: نهي المسلمين عن حصر الإنتفاع من القرآن بهم خاصة، بل يجب أن تترشح فيوضات القرآن على الناس جميعاً.□

الرابع: بيان حقيقة وهي أن القرآن هو الذي جاء للناس لهدايتهم.□

(١)سورة المائدة ١٥.

الخامس: في الآية مصداق لقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١]، إذ يخرج المسلمون للناس بسبيل الهداية السماوي وهو القرآن.□

السادس: لقد نزلت التوراة والإنجيل هدىً لبني إسرائيل وللناس، قال تعالى ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ◆ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٢]، وجاء القرآن مكملاً لهما، ليبقى سالماً من التحريف والتبديل، ومن مصاديق سلامته هذه القيام المسلمين بأداء فريضة الصيام في الشهر الذي نزل فيه القرآن وهو شهر رمضان.□

السابع: من فضل الله على الناس صيرورة أوان نزول القرآن رحمة وهداية للناس جميعاً، ويتجلى بتعاهد المسلمين لفريضة الصيام، ومصاديق التقوى وصوم الجوارح في شهر رمضان، ونشرهم لمفاهيم البر والصلاح وكما أن القرآن يهدي الناس لسبل الإيمان فأنه بذاته آيات بينات من الهدى يستطيع الناس أن يتدبروا دلالاته وأحكامه، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[٣].□

فإن لم يرجع له الناس فإن ضياءه يصل إلى نفوسهم، ويجعلها تشتاق للهداية، ويبعث الجوارح على إتيان العبادات

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

(٢)سورة آل عمران ٣-٤.

(٣)سورة النساء ٨٢.

والفرائض وفي قوله تعالى﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ إعلان سماوي وتحد للناس بأن آيات القرآن كلها رشاد وهي مائز بين الحق والباطل، ومفرق بين الهداية والضلالة، وفيه دعوة للإحتجاج بالقرآن وآياته، وفيه بعث للمسلمين للعناية بكل آية من آيات القرآن وإشارة إلى أن كل آية منه معجزة قائمة بذاتها ثم ذكرت الآية وجوب صيام شهر رمضان بقوله تعالى﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ والألف واللام في الشهر للعهد، وتعود لشهر رمضان الذي إبتدأت به الآية، وتكرار لفظ(شهر) في آيتين من القرآن، إحداهما هذه الآية، والأخرى قوله تعالى﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[1].□

وهو في ذات سورة البقرة لبيان أنها سورة الأحكام، والمراد في الآية أعلاه المتعدد من الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وشهر رجب، والثلاثة الأولى سرد ومتعاقبة، أما شهر رجب فهو فرد، وكان العرب يحرمون القتال فيها فلو لقى ولي المقتول القاتل في الأشهر الحرم فأنه لا يثأر منه، ومن وجوه تسمية ذي القعدة أنهم يقعدون فيه عن القتال.□

وجاءت الآية بأمور:□

الأول: صيام شهر رمضان.□

---

(١)سورة البقرة ١٩٤.

الثاني: الخطاب لكل مكلف ومكلفة على نحو مستقل بالصيام، وفيه تشريف للمسلمين بأن ينزل الحكم التكليفي السماوي لكل واحد منهم بالذات، ليحمل رسالة تعاهد فريضة الصيام، وجعلها تركة عقائدية وعبادية لأبنائهم، وهؤلاء الأبناء يأتيهم التكليف بذات الآية أيضاً ليس بالبدلية عن الآباء، بل بإعتبارهم مكلفين وهو من عمومات قوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فتأتي أسباب جذبهم لمنازل العبادة والصلاح بواسطة النبوة والتنزيل والوراثة وتوظيف العقل في طاعة الله عز وجل.

ثم جاءت الآية بالتخفيف ليكون المسلمون على أقسام:

الأول: المكلف المقيم القادر على الصوم.

الثاني: الذي إتفق أنه مريض في شهر رمضان.

الثالث: المسافر في شهر رمضان.

ويجب الصيام على الأول، والقضاء على الثاني والثالث، ولم تذكر الآية المريض على نحو مستديم طيلة أيام السنة وفيه مسألتان:

الأولى: إن الآية الكريمة تدل عليه بالدلالة التضمنية لأنه عاجز عن الصيام حتى في الأيام الأخر من السنة وتلك آية من إعجاز القرآن.

---

(١)سورة الذاريات ٥٦.

الثانيــة: مجـيء الآيــة الســابقة بــدفع الــذين يتحملــون الصــوم بمشــقة بالغــة الفديــة بــدلاً عــن الصــوم، وعــن الــنبي محمــد صــلى الله عليه وآله وسلم قال: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)[1].□

وجـاء إخبـار الآيــة عــن الإفطــار ولم تقــل الآيــة(ومن كــان مريضــاً أو مســافراً) ولا(مــن كــان مريضــاً أو في ســفر) بــل جــاءت بحــرف الإســتعلاء(على ســفر) لبيــان حقيقــة وهــي شمــول الآيــة لحــال الســفر الإختيــاري أثنــاء شــهر رمضــان، وجــواز الســفر فيــه ومنــع التشــديد علــى الــنفس بالإقامــة الجبريــة في شــهر رمضــان لإتمــام الصــيام، لــذا جــاء بعــدها مباشــرة قولــه تعالى﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.□

وعــن الــنبي محمــد صــلى الله عليــه وآلــه وســلم يســروا ولا تعســروا)[2]، ويشــمل الحــديث التيســير علــى الــنفس مــن بــاب الأولوية القطعية، والأخذ برخص الله عز وجل.□

ومــن إعجــاز الآيــة أنهــا إبتــدأت بــذكر شــهر رمضــان وأنــه دعــاء لنــزول القــرآن ثــم جــاءت بالأحكــام الــتي تفيــد أنــه أيضــاً دعــاء لفريضــة الصــيام، ليكــون الصــيام وأحكامــه المــذكورة في هــذه الآيــة مــن الهــدى الــذي ذكرتــه، وينهــل منــه المســلمون علــى نحــو مركــب، فهــم يصــومون شــهر رمضــان، ويكونــون أســـوة حســنة للنــاس في الصــيام، ويــرى النــاس إقبــال المســلمين بشــوق ورغبة على الصيام فيتعظون ويقتبسون منهم مسائل.□

(١)تفسير الرازي ١/٦.

(٢)الكشاف ٢٣٧/٢.

وفي الصحيحين: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن: "بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا)[1]، ففي كل آية من مصاديق من الهدى التي تفضل الله عز وجل بها في القرآن، ومنها في آية البحث أمور:□

الأول: إن شهر رمضان هو أوان نزول القرآن من الله عز وجل.□

الثاني: ذكر شهر رمضان بالخصوص في القرآن.□

الثالث: كل من القرآن وشهر رمضان هدى ورشاد للناس جميعاً.□

الرابع: تأكيد حقيقة وهي أن نزول القرآن رحمة بالناس، وهو من عمومات قوله تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2]، بلحاظ أن الله عز وجل أرسل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن.□

الخامس: تعيين بداية وإستدامة وإنتهاء الصوم في هذه الآية بقوله تعالى(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقوله تعالى(ولتكملوا العدة).□

السادس: منع الزجر في الدين، بإفطار المريض، والمسافر في شهر رمضان، وليس من كلمات فاصلة بين صيام

---

(١)تفسير ابن كثير ٥٠٤/١.

(٢)سورة الأنبياء ١٠٧.

شهر رمضان وقضائه إلا بالبيان عن حال المكلفين الذين يسقط عنهم الأداء دون القضاء وهم المرضى والمسافرون.

ثم إنتقلت الآية إلى ذكر قانون كلي يتغشى أحكام العبادات والمعاملات وهو ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وفيه مسائل:

الأولى: بيان فضل الله عز وجل على المسلمين والمسلمات.

الثانية: تأكيد قاعدة كلية وهي أن الصيام يسر وتيسير فإن قلت إن القدر المتيقن من اليسر في الآية هو الرخصة في إفطار المريض والمسافر أيام المرض والسفر.

والجواب من وجوه:

الأول: المقصود من الآية أعم من حال المرض والسفر، وأشمل من موضوع الصيام.

الثاني: جاءت الآية بلفظ الإرادة وبيان مشيئة الله وعظيم فضله وإحسانه.

الثالث: هذه القاعدة الكلية وإرادة الله يسر من عمومات ما ورد في هذه الآية بأن القرآن(هدىً للناس)، ومن مصاديق الهداية إخبار القرآن بأن الله عز وجل يريد لهم اليسر والتسهيل، وفيه بشارة أداء الصيام بسهولة ومدد من الله عز وجل.

ولقد أنعم الله عز وجل على المسلمين بمدد ملكوتي من السماع في معركة بدر وأحد والخندق، قال تعالى﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1]، والباء في(ببدر) للظرفية.□

ويأتي حرف الباء أربع عشرة معنى أهمها الإلصاق، وإقتصر عليه سيبويه وقيل أنه معنى لا يفارقها وهو على قسمين الإلصاق الحقيقي مثل أمسكت بزيداً أي قبضت على عضو أو جزء منه بما يحبسه والمجازي مثل مررت بزيد أي ألصقت وروي بالقرب منه.□

وجاء في قوله تعالى(يريد الله بكم) للإلصاق والغاية، ومن الأمثلة على إرادة الغاية بحرف الباء(وقد أحسن بي) أي إليّ فمعنى(يريد الله بكم) أي يريد الله إليكم وما فيه نفعكم.□

ترى لماذا لم تقف الآية عند قوله تعالى(يريد الله بكم اليسر) بل جاءت ببيان إنتفاء الضد وهو العسر، الجواب من وجوه:□

الأول: إرادة الإطلاق والعموم في مواضيع وأحكام الشريعة، وإتصافها باليسر والسهولة.□

الثاني: الإشارة إلى أن قضاء الصيام من اليسر وليس من العسر.□

الثالث: الزجر عن التشديد على النفس في العبادات.□

---

(١)سورة آل عمران ١٢٢.

الرابع: الزجر عن إستعمال الغلظة والإيذاء إبتداءً.

وجاءت الآيات بالأمر بالجدال بالأحسن كما في قوله تعالى﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وبموضوعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه العديدة.

الخامس: بيان علة الإفطار حال المرض والسفر وفضل الله عز وجل في عدم تكليف المسلمين بما فيه المشقة والشدة عليهم.

السادس: بيان علة الإفطار في حال المرض والسفر وهو أن الله عز وجل لا يريد للمسلمين المشقة والأذى في العبادات.

السابع: تأكيد حقيقة وهي أن الصوم سياحة عبادية تمتلأ فيها النفس بالسكينة الرضا في الحاضر والمستقبل الدنيوي والأخروي، لأن الصوم باب للرزق الكريم، ومناسبة للعفو ومغفرة الذنوب.

الثامن: دعوة المسلمين للتنعم بنعمة الإفطار في غير شهر رمضان(وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة: أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوّج النساء، وقال بعضهم لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله

(١)سورة العنكبوت ٤٥.

وسلم فقال: ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].□

وذكرت الآية أمراً وجوبياً على الفرد والجماعة بقوله تعالى(لتكملوا العدة) وهو خطاب عام للمسلمين والمسلمات المقيم والمريض والمسافر، وإن وردت أقوال أن الآية بخصوص المريض والمسافر(عن جويبر، عن الضحاك في قوله:"ولتكملوا العدة"، قال: عدة ما أفطر المريض والمسافر)[2].□

ولكن قضاء المريض والمسافر ورد في ذات الآية بقوله تعالى﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وكذا ورد في الآية السابقة لها، ولكن الآية أعم من وجوه:□

الأول: لغة الخطاب في هذه والآيات السابقة، مع وحدة الموضوع إذ جاء في الآية قبل السابقة﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[3]، وجاء في الآية السابقة.□

الثاني: من إعجاز نظم الآيات ودلالات صيغة الخطاب فيها أنها لم تقل التبعيض والخطاب(منكم) آخر قوله تعالى(ومن كان مريضاً أو على سفر) مما يدل على أن

(١)الدر المنثور ٤٣٩/٣.

(٢)تفسير الطبري ٤٧٧/٣.

(٣)الآية ١٨٣.

الخطاب في قوله تعالى(ولتكملوا العدة) باق على عمومه وإرادة جميع المكلفين.

الثالث: عطف التكبير على إكمال العدة(ولتكملوا العدة ولتكبروا الله) والإجماع على إرادة المسلمين جميعاً في قوله تعالى(ولتكبروا الله).

الرابع: بيان حقيقة هي أن إكمال عدة شهر رمضان ليس من العسر والتشديد، إنما هو من اليسر الذي ذكرته هذه الآية، والله عز وجل منزه عن التكليف بما لا يطاق.

الخامس: من إعجاز آية البحث أنها جاءت بذكر فريضة الصوم إبتداء وإستدامة وإنتهاءً وبلغة الخطاب للمسلمين لكي يتعاهدوا هذه العبادة، ويجاهدوا في الحفاظ عليها، ومنع وصول يد التحريف إليها وهو من خصال﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وعمومات ما جاء في أول الآية بأن القرآن(هدىً للناس) فمن مصاديق الهداية في هذه الآية إكمال عدة شهر رمضان ومنهم من قال بأن عدة شهر رمضان كاملة ثلاثين يوماً(ومن قال أن شهر رمضان لا ينقص أبدا استدل بقوله، و لتكملوا العدة، و قال بين تعالى أن عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال و لا يدخلها نقصان و لا اختلال)[2]، وعدد من علماء التفسير

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

(٢)مجمع البيان ١٢/٢.

أعرضوا عن هذا القول ولم يذكروه لأنه خلاف الواقع، من وجوه:□

الأول: يكون الشهر القمري مرة ثلاثين يوماً وأخرى تسعة وعشرين.□

الثاني: كل شهر من الشهور يصاب بالنقصان أحياناً ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، فكلما إبتلى الله عز وجل القمر بالزيادة والنقصان فإنه إبتلى الشهور في دورتها بالتمام والنقصان في آية كونية تدل على حاجة أفراد الزمان لرحمة وحكمة الله كما تحتاجها الخلائق كلها.□

وتضمنت الآية في خاتمتها الأمر للمسلمين بتكبير الله، وتعظيمه وتسبيحه على الإرشاد لنعمة العبادة، وجاء الأمر بالتكبير في مناسك الحج، وذبح الهدي، قال تعالى ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[2]، ولما ذكرت الآية في بدايتها أن القرآن(هدىً للناس جميعاً) أخبرت خاتمة الآية عن أمور:□

الأول: تحقق الهداية عند المسلمين.□

الثاني: إن الله عز وجل لا يأمر بشيء إلا وتكون له مصاديق كثيرة، منها أنه سبحانه أنزل القرآن لهداية الناس جميعاً، وظهرت مصاديق الهداية جلية على أمة عظيمة من

---

(١)سورة النمل ٨٨.

(٢)سورة الحج ٣٧.

أهل الأرض هم المسلمون، وظهورها عند عموم الناس بمراتب أدنى وفيه شاهد بأن من خصائص الأمر الإلهي أن مصاديق الإمتثال والإستجابة له بين الناس في إزدياد إذ الإسلام في إتساع مستمر، مع حرص متجدد على أداء الوظائف العبادية.□

الثالث: تفسير وبيان ذكر نزول القرآن وأنه هداية للناس في آيات الصيام، ومن وجوهه البيان العملي للهدى الذي يتجلى بتقيد المسلمين التام لأحكام الصيام.□

الرابع: لما أخبرت الآية عن كون نزول القرآن هدى للناس فأنها جاءت بأحكام جاءت بأحكام الصيام جامعة مانعة جامعة لأحوال المسلمين، وشمولها لوظائف المقيم والمريض والمسافر ومانعة من الخلاف والخصومة والتحريف فيها.□

إن الآية لا تختص بالتكبير وكيفيته، فلابد لعلماء الإسلام ولا أقول علماء التفسير وحدهم، من دراسة علة هذا التكبير وهو قوله تعالى(على ما هداكم) وبيان وجوه ومصاديق الهداية العامة للمسلمين، ففي الآية حذف والتقدير(على ما هداكم إلى.....) وهو بلحاظ الآية على وجوه:□

الأول: نعمة بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الكمالات الإنسانية والواسطة النبوية للهداية.□

الثاني: التسليم بنزول القرآن من عند الله، فهذا التسليم نعمة عظيمة، ومصداق للهداية والرشاد.□

الثالث: الإقرار بأن القرآن هدى للناس، والسعي في نشر أحكامه بين الناس، وإتخاذه سلاحاً في أمور الدين والدنيا، وبرهاناً في الإحتجاج، وواقية في الجدال، والتوقي بالقرآن من الجدال والأباطيل من عمومات قوله تعالى﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وفي هذا الجدال غلق لباب المغالطة لتجلي الحجة القاطعة من القرآن وإفحام الخصم وعجزه عن الرد.□

وهذا العجز من عمومات قوله تعالى﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ وفيه دليل بأن الناس جميعاً إنتفعوا من القرآن بالذات وبالواسطة، ومن وجوه إنتفاع الكافر من القرآن أنه يعجز عن المغالطة ومواصلة الإحتجاج عند مواجهته بالقرآن وآياته ومضامينها القدسية.□

الرابع: الهداية إلى البينات من الهدى والفرقان التي جاءت بنص الآية الكريمة ودلالاتها وتأويلها، ومن النعم العظيمة على الفرد والجماعة المقدرة الدائمة والمتجددة على التمييز بين الحق والباطل، وقد فاز بها المسلمون لأن الإمام معهم يقودهم نحو سبل الحق، ويظهر لهم حسنها، ويدفعهم عن مسالك الباطل ويبين لهم قبحها قال تعالى﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾[2].□

---

(١)سورة النحل ١٢٥.

(٢)سورة الحجرات ٧.

الخامس: تعيين بداية الصيام ومنع الخلاف فيه لقوله تعالى﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾.□

السادس: التدبر في الآيات الكونية ومعرفة الأفلاك ودقة نظام حركتها.□

السابع: العصمة من الإفتتان بالشمس والقمر، ومن معاني قوله تعالى(هدى للناس) إنقطاع عبادة الناس للشمس والقمر، فقد أكد القرآن أنهما مخلوقان طائعان لله عز وجل، قال تعالى﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[1]، ومن مصاديق تسخير القمر في المقام معرفو بداية ونهاية فريضة الصيام وتجددهما كل سنة ومن مصاديق تسخير الليل قوله تعالى﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[2]، والأكل والشرب ليلة الصيام.□

ومن مصاديق تسخير النهار صيام المسلمين لشهر رمضان وإتمام عدم أيام الشهر، ويأتي قوله تعالى﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[3]، جامعاً لتسخير النهار والليل فريضة الصيام، بالإمساك عن المفطرات في النهار والإباحة المستديمة لها في الليل طيلة أيام السنة.□

---

(١)سورة إبراهيم ٣٣.

(٢)سورة البقرة ١٨٧.

(٣)سورة البقرة ١٨٧.

الثامن: الرخصة للمريض والمسافر في الإفطار، وبان التيسير والتخفيف في أحكام الصيام والعبادات مطلقاً.□

التاسع: قضاء المريض والمسافر ما فاتهما من الصيام، بنص القرآن، فمن الإعجاز القرآني أن أحكام الرخصة والقضاء جاءت في القرآن بنص جلي لهداية المسلمين جميعاً لسننها ومنع الإختلاف والحيرة فيها.□

العاشر: بشارة العمر المديد للصائمين الذين تمر عليهم الأيام وهم يسعون فيها لعبادة الله أداءً وقضاءً، وهو الذي يتجلى بقوله تعالى(فعدة من أيام أخر).□

الحادي عشر: بيان قانون دائم يصاحب المسلمين في مواضيع وأحكام العبادات والمعاملات وهو اليسر وإنتفاء العسر.□

الثاني عشر: وجوب إكمال المسلمين العدة بصيام أيام شهر رمضان كلها.□

الثالث عشر: أمر الله للمسلمين بالتوجه للتكبير على نحو العموم المجموعي والإستغراقي(قال ابن زيد: كان ابن عباس يقول: حقٌ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبِّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم، لأن الله تعالى ذكره يقول:"ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم". قال ابن زيد: يَنبغي لهم إذا غَدوا إلى المصلَّى كبروا، فإذا جلسوا كبروا، فإذا جاء الإمام صَمتوا، فإذا كبر الإمام كبروا، ولا

يكـــبرون إذا جـــاء الإمـــام إلا بتكـــبيره، حتـــى إذا فـــرغ وانقضـــت الصلاة فقد انقضى العيد)[١].□

الرابـــع عشـــر: تأكيـــد هدايـــة المســـلمين، وأنهـــم أمـــة مهديـــة، وهدايـــــة المســـــلمين فضـــــل ونعمـــــة مـــــن عنـــــد الله لقولـــــه تعـــالى﴿وَلِتُكَبِّـرُوا اللَّـهَ عَلَـى مَـا هَـدَاكُمْ﴾، فـــالتكبير وتعظـــيم مقـــام الربوبيـــة، لأن الله ســـبحانه هـــو الـــذي جعـــل المســـلمين يبلغـــو مراتب الهداية.□

الخامس عشر: بعث المسلمين على الشكر لله عز وجل على نعمة الهداية والصلاح، والتوفيق لأداء الفريضة الصوم، لقد صام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهر رمضان لتسع سنوات متتالية، ليكون الإمام الذي يقتدى به الملايين من المسلمين والمسلمات كل عام، ويصومون ذات الشهر وينفس الأحكام والشرائط التي صام بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتخذون من أيام وليالي الشهر مناسبة للدعاء.□

من غايات الآية

وفيها مسائل:□

الأولى: تشـــريف أيـــام شـــهر رمضـــان، وبيـــان القدســـية الخاصـــة لهـــا ومجتمعـــة ومتفرقـــة، فالإجتمـــاع يـــدل عليـــه قولـــه تعالى(شـــهر رمضـــان) الـــذي إبتـــدأت بـــه الآيـــة الكريمـــة، والتفـــرق قوله تعالى(أياماً معدودات) الذي إبتدأت به الآية السابقة.□

---

(١)تفسير الطبري ٤٧٩/٣.

الثانية: الملازمة بين شهر رمضان وبين الصوم الواجب وجوباً عينياً على كل مسلم ومسلمة، وهو وجوب مضيق منحصر بأيام الشهر، نعم يكون موسعاً للمريض والمسافر بنص الآية الكريمة.□

الثالثة: بيان عظمة القرآن وما فيه من الأحكام وحاجة الناس إليه.□

الرابعة: تأكيد منزلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الله عز وجل بتنزيل القرآن عليه قال تعالى﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[1].□

الخامسة: بيان فضل الله عز وجل على المسلمين بالتخفيف عنهم، بخصوص إفطار المريض والمسافر، ولا ينحصر التخفيف عن الذي يبتلى بالمرض، والذي يكون في سفر، بل هو شامل للمسلمين جميعاً حتى المعافى والمقيم لأن كل إنسان معرض للإبتلاء بالمرض وقد يغرم على السفر مع تبييت النية أو فجأة، والأمر حال وطارئ.□

لذا فمن إعجاز الآية أنها جاءت الآية السابقة خطاباً للمسلمين كافة﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ وإلى جانب معناه الظاهري وإرادة المريض والمسافر، يمكن تقديره الآية: فمن أصبح مريضاً أو على سفر).□

---

(١)سورة الحديد ٩.

السادسة: تفقه المسلمين في المعارف والأحكام الشرعية حال تلاوة أو سماع الآية القرآنية، وهو من مصاديق قوله تعالى(القرآن هدى للناس) فلا يحتاج الناس واسطة لمعرفة ضروريات وفروع الدين التي جاءت في القرآن فقوله تعالى(هدى للناس) أي أن القرآن بذاته يهدي الناس إلى سبل الصلاح والرشاد، وهو من عمومات قوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فتفضل الله عز وجل بعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً للنبين، وأنزل عليه القرآن ليقود الناس في طرق النجاة في النشأتين.□

السابعة: الصيام موضوع وسبب لبعث السكينة في قلوب المسلمين بأنهم مقيمون في منازل طاعته وأنهم﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، وجاء التخفيف واليسر في أحكام الصيام وبيان الآية لفضل الله بإفطار المريض والمسافر أيام شهر رمضان لمنع تشديد المسلمين على أنفسهم، وبالإسناد عن أبي قتادة، عن الأعرابي الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره")[3]. □

□ □

(١)سورة الذاريات ٥٦.

(٢)سورة آل عمران ١١٠.س

(٣)تفسير ابن كثير ٥٠٤/١.

التفسير

ومن فلسفة وأسرار ترتيب شهور السنة مجئ شهر رمضان بالصيام ، وهو الدعاء الزماني لنزول القرآن ، ليأتي بعده شهر شوال وهو أول أشهر الحج الثلاثة وهي :

الأول : شوال.

الثاني : ذو القعدة .

الثالث : ذو الحجة .

قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، وبعد شوال يأتي شهر ذي القعدة وهو من أشهر الحج والأشهر الحرم ليكون الترتيب والتعقب هكذا :

الأول : شهر الصيام .

الثاني : شهر الحج .

الثالث : شهر حج وحرم .

وكأنه مثل فرض الأحكام على نحو الترتيب والترويج كما في حرمة شرب الخمر ، ثم يأتي شهر محرم وهو من الأشهر الحرم لبيان نكتة وهي ترتيب الشهور بنظام دقيق يتقوم باصلاح الناس للعبادة ، وأداء المناسك .

وتهذيب سلوكهم وأخلاقهم ، وتهيئة أذهانهم لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإقامة الشعائر كل سنة ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ

---

(١) سورة البقرة ١٩٧.

اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، أي أن عدة الشهور تمت باعجاز وتتعلق بها سنن وأحكام .

وآية البحث بيان موضوعي لقدسية شهر رمضان وما له من المنزلة في تاريخ الإسلام وتوثيق سماوي لوقت نزول القرآن وتنبيه لما في هذه المناسبة من دلالات عقائدية تتجسد بوضوح في وظائف القرآن باعتباره وسيلة الرشاد وباباً للتوفيق وسبيلاً الى النجاة في الدنيا والفوز بالآخرة.

ان نظرة تأمل وتدبر في آيات القرآن المحكمة منها والمتشابهة تبين سلطانه في التمييز بين الحق والباطل وامامته للناس في دروب الهداية وقيادتهم باتجاه ارتقاء منازل التقوى ودرجاتها المتقدمة لما تتضمنه من الأحكام الشرعية ووجوه العلم وابواب المعارف.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقامة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا والآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل عن القرآن الا الى النار.

---

(١) سورة التوبة ٣٦.

الإستِعْدَادُ لِشَهْرِ رَمَضَانِ

ان عظمة شهر رمضان وقدسية ايامه وبركة ساعاته تملي علينا الإستعداد له باستقبال حسن وغبطة وسعادة مع التهيؤ النفسي والإجتماعي الذي يناسب حرمة الشهر باعتباره افضل الشهور، وهناك روايات تشير الى الإستبشار بقرب قدوم شهر رمضان وذلك من غرة رجب ويستمر طيلة ايام شهر شعبان.

في الكافي بسنده عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حضر شهر رمضان وذلك في ثلاث بقين من شعبان قال لبلال: ناد في الناس فجمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس ان هذا الشهر قد خصكم الله به وحضركم وهو سيد الشهور وليلة فيه خير من الف شهر تغلق ابواب النار وتفتح فيه ابواب الجنان فمن ادركه ولم يغفر له فابعده الله ومن ادرك والديه ولم يغفر له فابعده الله ومن ذكرت عنده ولم يصل علي فلم يغفر له فابعده الله[1].

وهذا من جوامع الكلم التي خص بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذو مضامين وحكم كل منها متعددة الوجوه، لقد حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على دعوة الناس للحضور وجعلها خطبة جامعة وبين فيها فضل الله على المسلمين بكرامة شهر رمضان ليعلم الناس ان الله غني عن عبادتهم وان نفعها لا يعود الا اليهم واظهر منزلة الشهر وعظمته ولفت انظار المسلمين جميعاً الى اهمية ليلة القدر وما لهذا الشهر من مكانة وخصوصية وبركة لقد اشار

---

(1) الوسائل٢/١٦٧ طبعة حجرية.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى وجوب استثماره مناسبة لإقتناء الصالحات والتوبة، وما يلحق الغافل عنه من ندم وحسرة وخسارة، والمعروف ان خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجه الى كل المسلمين في جميع البلدان ويتغشى العام الأزماني أي افراد الزمان الطولية والى يوم القيامة.

وروى رئيس المحدثين عن احمد بن الحسن القطان عن احمد بن احمد بن محمد الهمداني عن علي بن الحسن بن فضال عن ابيه عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا عن ابيه الكاظم موسى بن جعفر عن ابيه الصادق جعفر بن محمد عن ابيه الباقر محمد بن علي عن ابيه زين العابدين علي بن الحسين عن ابيه سيد الشهداء الحسين بن علي عن ابيه سيد الوصيين امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهم السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم فقال: "ايها الناس انه قد اقبل اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله افضل الشهور وايامه افضل الأيام، ولياليه افضل الليالي، وساعاته افضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله وجعلتم فيه من اهل كرامة الله، انفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب.

فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة ان يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فان الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة، وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا ارحامكم، واحفظوا السنتكم، وغضوا عما لا يحل النظر اليه ابصاركم، وعما لا يحل الإستماع اليه اسماعكم، وتحننوا على ايتام

الناس يتحننن على ايتامكم وتوبوا الى الله من ذنوبكم، وارفعوا اليه ايديكم بالدعاء في اوقات صلواتكم فانها افضل الساعات ينظر الله عز وجل فيها الى عباده يجيبهم اذا ناجوه، ويلبيهم اذا نادوه، ويعطيهم اذا سألوه، ويستجيب لهم اذا دعوه.

ايها الناس ان انفسكم مرهونة باعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من اوزاركم، فخففوا عنها بطول سجودكم، واعلموا ان الله جل ذكره اقسم بعزته ان لا يعذب المصلين والساجدين وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ايها الناس من أفطر منكم صائما مؤمنا في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه، فقيل له: يا رسول الله وليس كلنا نقدر على ذلك فقال: اتقوا النار و لو بشق تمرة اتقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الاقدام.

أيها الناس ومن خفف في هذا الشهر عن ما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه، ومن كف فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن اكرم فيه يتيماً اكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن ادى فيه فرضاً كان له ثواب من ادى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن اكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل اجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

ايهـا النـاس ان ابـواب الجنـان في هـذا الشـهر مفتحـة فاسـألوا ربكـم ان لا يغلقهـا علـيكم، وابـواب الـنيران مغلقـة فاسـألوا ربكـم ان لا يفتحهـا علـيكم، والشـياطين مغلولـة فاسألوا ربكم ان لا يسلطها عليكم[١].

قـال امـير المـؤمنين عليـه السـلام: فقمـت فقلـت يـا رسـول الله مـا افضـل الأعمـال في هـذا الشـهر؟ فقـال: يـا ابـا الحسـن افضـل الأعمـال في هـذا الشـهر الـورع عـن محـارم الله عـز وجـل ثـم بكـى، فقلـت مـا يبكيـك يـا رسـول الله؟ فقـال: ابكـي لمـا يسـتحل منـك في هـذا الشـهر كـاني بـك وانـت تصـلي لربـك وقـد انبعـث اشـقى الأولـين والآخـرين شـقيق عـاقر ناقـة ثمـود فضـربك ضـربة علـى قرنـك فخضـب منهـا لحيتـك، فقلـت: يـا رسـول الله فـذلك في سـلامة مـن ديـني؟ فقـال صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم في سلامة من دينك..." الحديث.

وفي الحـديث: ايهـا النـاس قـد اظلكـم شـهر رمضـان، أي دنـا مـنكم وتغشـاكم مـن الظـل وهـو التغطيـة والسـتر مـن الأذى وبـذا تظهـر مـن الحـديث ومنـافع كونيـة للشـهر تشـمل اهـل الأرض والمؤمنين خاصة.

ان تكـرر خطـب الرسـول في اسـتقبال شـهر رمضـان تؤكـد حقيقـة وهـي تجديـد الإسـتعداد لشـهر رمضـان في كـل سـنة، وكـان صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم يـامر مناديـاً في اول شـعبان ينادي في المدينة ان شعبان شهري وشهر رمضان شهر الله.

ومـن الآيـات ان الإسـتعداد لشـهر رمضـان امـر ظـاهر في بلـدان المسـلمين كافـة وتشـترك فيـه كـل الأسـر والمنظمـات والحكومـات اسـتقبالاً للفريضـة واعلانـاً للشـوق الى التكليـف لـلإدراك الفطـري

[١] الوسائل٢/١٦٨ طبعة حجرية.

لما في الصوم من المنافع العامة والخاصة، والغبطة بما في شهر رمضان من الإفاضات الكونية والبركة والنماء.

السواك

السواك - بكسر السين- وهو ما يدلك به الفم والأسنان من العود وافضله الغصن الأخضر واكمله عود الأراك المتعارف ويجوز بالفرشاة والأصبع، وفي الحديث: السواك مطهر للفم، وهو مستحب، وقد تطرأ عليه الكراهة بالعرض كما في السواك على الخلاء فانه يورث البخر كما في المرسل عن الكاظم عليه السلام: والبَخَر الرائحة النتنة في الفم.

لقد حث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على السواك وفي الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لولا ان أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة[1]، وخلوف الصائم محبوب عند الله خاصة وان نهار الصيام مناسبة للدعاء والمناجاة فهل يجوز السواك في شهر رمضان الجواب: نعم، للنص والإجماع واصالة الصحة.

ولقراءة القرآن في شهر رمضان خصوصية من جهة مناسبة القراءة وموضوعيتها في مجموع اعمال شهر رمضان وثوابها المضاعف، وفي الحديث: "لكل شيء ربيع وربيع القرآن" هو شهر رمضان والحديث دعوة للمبادرة الى قراءة القرآن والحرص على ختمه مرة او مرات خلال هذا الشهر المبارك مع الإتعاظ والإعتبار عند المرور بآيات البشارة، او آيات التخويف والإنذار.

□

---

(1) الوسائل١/٦٧ طبعة حجرية، صحيح البخاري ١/٣٣١.

تفسيرقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

ارشاد لأوان الصوم وتحديد لمدته والبدء بفريضة الصيام مع هلال شهر رمضان لذلك لم يجب الصوم على من شك بالهلال، والآية بيان لعلة هذا التحديد والتوقيت وحكمة اختصاص شهر رمضان بالصوم باعتباره ظرف نزول القرآن ووعائه الزماني حيث اضفى نزول القرآن على ايامه سمات مباركة الى جانب تشريفها بالنزول.

ان سياق الآية الشريفة يشير الى نوع من الصلة بين نزول القرآن وفريضة الصيام في شهر رمضان، ويحث ويشجع على المضي في البحث عن فلسفة الملازمة بينهما كما وان الترابط والترتيب والشرطية والتناسق المنظم لكلماتها المباركة اضواء اعجازية ذات اسرار غيبية ودلالات ذات مضامين تشريعية، هذا بالإضافة الى الوظيفة الواقعية لأيام الصيام في حفظ القرآن وتعاهده واتخاذ المسلمين لشهر رمضان مناسبة كريمة للمبادرات الفردية بختم القرآن والإكثار من قراءته وتدبر آياته تعظيماً لشعائر الله وزيادة في التقوى (وعن ابن عباس: ان المراد بالهدى الأول في الآية الهدى من الضلالة، وبالثاني بيان الحلال والحرام) وقيل ان الأول ما كلف به من العلوم والثاني ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشرائعهم واخبارهم لأنها لا تدرك الا بالقرآن[1].

ويتضمن قوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ شرطاً وجزاءً وامراً وجاء تشريع الصوم بنص واضح وصريح وبدقة ساهمت في منع الإختلاف والإجتهاد في البحث عن اوجه التأويل في مدة الصيام واوانه، انها آية

(1) مجمع البيان في تفسير القرآن٢/٢٧٦.

جامعة رسخت دعائم الشريعة وساعدت في التوفيق لأداء هذه الفريضة وشاركت في جمع شمل المسلمين والحيلولة دون التشتت واتساع الفرقة فكانت خاتماً سماوياً ووثيقة قرآنية وسلاحاً وقائياً تعذر معه على كل ذي رأي القول بالتردد او الترديد او الخروج عن اعتبار شهر رمضان وعاءاً زمانياً للصوم.

انها رحمة من الله عز وجل خلقت تلازماً مؤبداً وخالداً بين شهر رمضان والصيام، وغلقت بوجه الفقهاء باب الإختلاف في هذا الأمر الحيوي والهام في حياة المسلمين وعباداتهم، فكانت بفضل الله مانعاً للإرباك والأسباب الواقعية المتشعبة من الإختلاف وآثاره العامة الواسعة سواء العرضية منها أوالطولية ويمكن القول ان في الآية سراً وحكمة لله عز وجل بمنع الخلاف واسبابه في المسائل الأساسية في كيان الإسلام كجزء من تعاهده للإسلام، وييسر للمسلمين معرفة ما يجب عليهم من التكليف الذي ظهر في فريضة الصيام واضحاً ومحدداً، وفي بيانه دعوة اضافية لأدائه وتسهيلاً لإتمامه باطمئنان يملأ النفس ويزيدها ايماناً، ويمكن ان تلمس جانباً من عظمة هذه النعمة وتصور الآثار السلبية المتجددة والمتراكمة في حال عدم تحديد ليلة الهلال واثبات رؤيته بل ان كثيراً من تلك الآثار تطردها هذه الآية الكريمة وتحول دون تأثيرها.

ان مجيء الفاء في فليصمه جعل ما بعدها مع ما قبلها في هيئة جملة واحدة لبيان السببية، ولما يفيد الترتيب الذي يقسم نحوياً في المقام الى الترتيب المعنوي وهو ان يكون المعطوف به لاحقاً، والترتيب الذكري وكذلك التعقيب، وتعقيب كل شيء بحسبه، والملاك ان يكون متصلاً بلا مهلة

كما في قول القائل سلم فودع، أي لم يمكث وكذلك يقال تزوج فلان فولد له، أي لم يكن بين الزواج وحدوث الولادة الا مدة الحمل، وفي المقام يكون ترتيب الأمر الذي دلت عليه اللام في فليصمه صيام اليوم التالي لرؤية الهلال وسيرة المسلمين منذ بداية التشريع على هذه الأمر ويمكن اعتبارها وجهاً واقعياً مأموناً لتفسير الآية وتوكيد اوان الصوم ابتداء واستدامة.

انها ليست آية من القرآن فحسب ولكنها آية من آيات الله عز وجل اذ ان بضع كلمات من كتابه الكريم اوجدت عبادة عظيمة خالدة تتجدد في كل سنة لتستوعب شهراً كاملاً منها يقضيه المسلمون المنتشرون في ارجاء الأرض بالجهاد والصبر والإنقياد المقرون بالفرح، فالآية الكريمة مدرسة عبادية جامعة ذات افاضات روحية واخلاقية وانسانية توزعت منتشرة في جميع الميادين والمجتمعات وان لم تكن بداية تشريع الصوم في هذه الآية فان اتمام فريضته واحكامها كان بنزولها، ولابد ان نزولها كان قبل حلول شهر رمضان وبمدة مناسبة يساهم اتساعها في تهيئة النفوس والأذهان للإطلاق والعموم في وجوبها.

وهناك فرق بين عدم الصوم والإمتناع عن الفريضة وبين عدم صوم اليوم الأول من شهر رمضان لعدم ثبوت الرؤية، لأن الأول يدل على الإعراض عن الفريضة، اما الثاني فهو اشتباه في التطبيق، وهذا لا يتعارض مع لزوم العلم بالتكليف وان المكلف لا يستحق العقاب ما لم تقم البينة على المخالفة سواء قامت على العلم التفصيلي او الإجمالي لأنه علم تفصيلي بالجامع وان اقترن بشكوك تفصيلية بعدد واطراف ذلك العلم.

واستدل الإمام محمد الباقر عليه السلام بالآية في افطار المسافر خلال شهر رمضان قائلاً: "ما ابينها لمن عقلها، قال: من شهد رمضان فليصمه ومن سافر فيه فليفطر"، اما الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقد ذكر ما فيها من استفادة لطيفة في حكم استحبابي وحث على اداء الفريضة في اجلال وتقديم لأولويتها فقد ورد عن الصباح بن نباتة انه قال: "قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام ان ابن ابي يعفور امرني ان اسألك عن مسائل فقال: وما هي؟ قلت: يقول لك: اذا دخل شهر رمضان وانا في منزلي الي ان اسافر؟ قال: ان الله يقول: فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن دخل عليه شهر رمضان وهو في اهله فليس له ان يسافر الا لحج او عمرة او طلب مال يخاف تلفه.

عن قتادة: بلغني ان رسول الله كان إذا رأى الهلال قال: هلال خير ورشد، ثلاث مرات، آمنت بالذي خلقك، ثلاث مرات، الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا)[1].

تبين الآية حصر أيام الصيام وأنها أياماً معدودات وهل يشترك الهلال وصيرورته بدراً ثم نقصانه التدريجي في عدّ تلك أيام الصيام بعد أن حددها هلالان:

الأول : هلال شهر رمضان الذي يعلن بداية تلك الأيام.

الثاني : هلال شهر شوال الذي يعلن إنتهاء أيام الصيام.

الجواب نعم، وتلك آية في وظيفة القمر وأن موضوعيته لا تنحصر بالهلال ورؤيته وهو من الإعجاز بمجيء لفظ الشهر في قوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ولبيان إنبساط أثر وإتباع القمر في منازله طيلة أيام شهر رمضان فلم

(١)ربيع الأبرار ١٦/١.

تقـل الآيـة(فمن شـهد الهـلال مـنكم) مـع ورود لفـظ الأهلـة بصيغة الجمع في القرآن.

وفي ورود لفظ الشهر في الآية دلالات إعجازية منها:

الأول : بيـان عـدد أيـام الصـيام الـوارد في الآيـة السابقة(أياما معدودات).

الثاني : إرادة صيام أيام شهر رمضان بتمامه.

الثالـث : إنبسـاط الصيام علـى كـل أيـام الشـهر وتجديـد العـز على الصوم كل ليلة منه.

الرابـع : عـدم التفـريط بـبعض أيـام الصـيام الـتي هـي بعـرض واحـد مـن جهـة الوجـوب واللـزوم، فمـع أن نـزول القـرآن في ليلـة القـدر مـن شـهر رمضـان﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[1]، فـإن وجـوب صـيام أيـام شـهر رمضـان مـن الكلـي المتـواطئ الـذي يكـون بمرتبـة واحـدة وهـو مـن مصـاديق(فمن شـهد مـنكم الشـهر) والأصـل في الكـلام العربـي هـو حملـه علـى ظـاهره إلا مـع القرينـة الصـارفة إلى الخصـوص أو المجـاز وغيرهما.

ومن الدلائل على إرادة ذات الشهر من اللفظ أمور:

الأول : مـا جـاء بـه مـن الرخصـة والإسـتثناء﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾إذ أن الهـلال يخـبر عـن أول الشـهر وعـن الليلـة الأولى منـه، أمـا لفـظ الشـهر فأنـه يشـمل الـذي يكـون حاضـراً في أولـه ومسـافراً في وسطه ومريضاً في آخره.

الثـاني : قـد يكـون المسـلم مسـافراً في أول الشـهر فلـم يشـهد

(١)سورة الدخان ٣.

الهلال ولم يكن حاضراً في اليوم الأول من شهر رمضان، ولكنه يرجع من السفر أثناء الشهر فيتوجه له الخطاب التكليفي لصدق شهوده الشهر، وكذا بالنسبة للمريض في أول الشهر ثم يتعافى ويصبح قادراً على الصيام وسط الشهر و آخره.

الثالث : الآية إنحلالية وتقدير المفرد منه: فمن شهد اليوم من الشهر فليصمه.

وهو لا يتعارض مع إرادة الهلال في الآية وتقديره فمن شهد هلال رمضان فليصم الشهر.

الرابع : بيان حقيقة وهي أن الصيام عبادة بين العبد والخالق عز وجل.

بحث بلاغي

من المحسنات المعنوية الإستخدام، وهو اتيان المتكلم بلفظ بين معنيين، ويراد منه أحد المعنيين، ثم يؤتى بضمير يراد به المعنى الثاني.

كما في قول الشاعر:

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فكني بالسماء عن المطر، ثم جاء بالضمير في (رعيناه) ويريد به النبات، وجاء في هذه الآية فالمراد من (الشهر) الهلال واول الشهر ثم جاء الضمير (الهاء) يراد منه الشهر وايامه على نحو الحقيقة.

بحث اصولي

ينقسم الحكم بلحاظ الحجة والطريق قوة وضعفاً الى قسمين:

الأول: الحكم الواقعي وهو المجعول للأشياء والأفعال على نحو الثبوت وبلحاظ الذات والعنوان الأولي كوجوب الصيام وطهارة الماء.

الثاني: الحكم الظاهري وهو الحكم المجعول للأشياء والأفعال عند غياب الحكم الواقعي وتعدد اجتماع شرائطه وعدم تحقق الدليل الإجتهادي فنرجع حينئذ الى الإمارات التي تعتبر طريقاً مجعولاً في حق الجاهل بالواقع، وان كان لها كشف ناقص كما نرجع الى الأصول العملية ويسمى الدليل حينئذ الدليل الفقاهتي.

وفي رؤية الهلال وتحديد اول الشهر يجتمع الحكمان معاً، الا ان الحكم الواقعي الثابت عند تحققه لا يحتاج الى طرو امر آخر خارجي، فعلى المكلف ان يرتب الحكم على رؤيته من الصيام في اول شهر رمضان، والأفطار عند رؤية هلال شوال.

ولو تعذر الحكم الواقعي ولم يستطع المكلف رؤية الهلال فحينئذ ينتقل الى الحكم الظاهري باعتباره حكماً ثانوياً سواء على القول بانه حكم تكليفي، او باعتبار انه طريقٌ لدرك الواقع، فيكون حكماً وضعياً، والبينة الشرعية وهي شاهدان عدلان امارة موضوعية بل اهم وجوه الإمارة المعتبرة في الموضوعات.

سفر لغوي

القمر هو الكوكب المعروف الذي يدور حول الأرض في فلك اهليجي وسمي قمراً لبياضه يقال ليلة قمراء: أي مضيئة، وقال ابو علي الطبرسي اسم القمر عند العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوئه التخت، ولكنه ورد في القرآن باسم القمر، والقرآن نزل عربياً وبلغة العرب فكان الأولى ان يقال: ويسمى العرب القمر ايضاً بالزبرقان، ويقال للسحاب الذي يشتد ضوءه لكثرة مائه: سحاب القمر، ويسمى القمر لليلتين او ثلاثة من اول الشهر القمري هلالاً أي ان ذلك يقترن بغرة الشهر، ومنهم من خص تسمية الهلال باول ليلة قال العلامة وهذا هو الصحيح، قال ابو اسحق والذي عندي وما عليه الأكثر يسمى هلالاً ابن ليلتين فانه في الثالثة يتبين ضوئه، وقيل يسمى هلالاً حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخطة دقيقة وهو قول الأصمعي وجمع الهلال اهلة وبلغة الجمع ورد ذكره في القرآن دون المفرد، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ وسمي هلالاً لأن الناس يرفعون اصواتهم بالإخبار عنه واليه ذهب ابو العباس وحكته عنه كتب اللغة اقول: يمكن ان يكون سبب التسمية لأنه علامة بداية الشهر وغرته كما يقال استهلت السماء وذلك في اول مطرها، وفي الحديث: الصبي اذا ولد لم يورث ولم يرث حتى يستهل صارخاً فكان الإستهلال هنا عنوان الولادة وبداية خروجه الى الدنيا، والصراخ ارتفاع الصوت، ولا مانع من احتمال الجمع بين الأمرين لتسمية الهلال أي لضيائه ،وارتفاع الأصوات عند رؤيته ساعة الإستهلال.

بحث فقهي

فلسفة الهلال

لقد سخر الله لنا ما في السماوات وما في الأرض فضلاً منه تعالى ورحمة واعتباراً لأولي الألباب وآيات في الوحدانية وليزداد المؤمنون هدى ويحرصوا على الإلتزام باحكام الرسالة السماوية.

انها دليل وحجة دائمة تلح كل يوم على بني آدم للإقرار بالعبودية للكريم القهار، وتدعو الى استثمار تلك النعم والآلاء في الحاجات الدنيوية والأمور العبادية باعتبار ان الوظيفة الأساسية للإنسان في الأرض هي العبادة قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (١).

ومن تلك الآيات والإجرام السماوية والأشياء الكونية ما لم يلتفت الإنسان بعد الى الإستفادة التامة منه، وربما يكون له شأن كبير في مستقبل الحياة البشرية وواقع المجتمعات في الأحقاب اللاحقة، ومنها ما انتفع منه الإنسان عبر الأجيال والعصور المتقدمة وهذا ايضاً على شعبتين فمنه ما اهتدى الإنسان اليه بالرسالات السماوية وبعثة الأنبياء، ومنه ما توصل الإنسان الى الإنتفاع منه بالتجربة والوجدان والحاجة، وقد يجتمع الأمران في آية كونية لتعدد جوانب المنفعة واختلاف الفرض.

ويعتبر القمر آية وسراً من الأسرار التي جعلها الله ظاهرة وملازمة للحياة الدنيا ومحسوسة من كل انسان في مشارق الأرض ومغاربها ولقد كانت ذات فائدة للمسلمين

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

اكثر من غيرهم، ووظفوه في تنظيم اوقات عباداتهم وتحديد آجال الأعمال والديون ونحوها، ولم يكن ذلك منهم ابتداعاً او نتيجة لتجارب جماعية متوالية، وانما كان بحكمة سماوية وهدى جاءت به الرسالة الإسلامية كجزء من النظام العام للعبادات والمعاملات في الإسلام أي ان اللجوء الى القمر لضبط الحساب والمعاملات والعبادات آية تشريعية تثبت ارتقاء المسلمين وحسن التزامهم بالأحكام السماوية.

كما كان القمر موعظة ودرساً وحجة وبرهاناً وشاهداً ومناسبة للتدبر والتفكر وزاجراً عن الجحود او التمادي في المعاصي.

وسيبقى موضوع الهلال ورؤيته مسألة مباركة في حياة المسلمين العقائدية والدنيوية وعنوانا للصلة الدائمة بين اهل الأرض والسماء، كما انه مدرسة فقهية ومناسبة شهرية متجددة تغزو تفاصيلها بيوت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لتستجيب الأمة على نحو العموم المجموعي والإستغراقي للأمر الإلهي المتعلق في زمانه برؤية الهلال من صيام او افطار او حج بالإضافة الى الآجال الإختيارية في ابواب العبادات والمعاملات.

يعتمد المسلمون الأشهر القمرية في حسابهم وعباداتهم باتباع سير القمر ومنازله ملتزمين بما وضعه الله عز وجل لأهل الأرض من انظمة فلكية في الحساب ومعرفة الزمان والتاريخ، قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] والآية نص صريح بامكان معرفة تواريخ

---

(١) سورة يونس ٥.

اخرى في سير القمر غير الشهور والأيام، فالله عز وجل الذي جعل عمر الإنسان والحيوان معروفاً من خلال هيئته فلابد ان اموراً واسراراً في المخلوقات تحدد سني وجودها، وقد استطاع العلم الحديث ان يكتشف اعمار الأشجار من خلال حلقات سنوية في الخشب الثانوي من سيقانها لتكون عوناً على الدراسات البايولوجية فيالتربة وقياس طبقاتها وعمرها.

والآية الكريمة تشير الى عدد السنين وانه غير الحساب وقد يرتقي العلم ويتوصل الى اكتشاف اسرار وارقام تتعلق باعمار بعض الأفلاك والموجودات الكونية من خلال سير الشمس والقمر- ليكون دليلاً علمياً على اعجاز القرآن وملاءمته لروح العصر بل وحاجة الأخير اليه، وبيان الحكمة في تقيد وتقييد المسلمين بالحساب القمري وحجة لهم، ونشير عليهم باعتبار القمر ومنازله وهيئته ووضعه ومكانه من الأرض وبعده عن الشمس والكواكب الأخرى او قربه منها باباً ومقدمة وتوطئة وموضوعاً لعلوم كونية مستحدثة تظهر بديع صنعه تعالى.

لقد وقف الإنسان القديم - في فترات انقطاع النبوة- متحيراً ازاء مظاهر الطبيعة المختلفة وما تحمله من عناصر العظمة دون ان يتجرد عن فكرة وتصور وجود قوة حية تسير شؤون هذا النظام الكوني الدقيق وهي قادرة على ان تصيبه بالخير او الشر.

ولغياب العقائد السماوية اتجهت بعض الأمم السابقة الى تقديس بعض العناصر الأساسية في الكون، ونال القمر والشمس النصيب الأكبر من التقديس، فبالنسبة للقمر احتل مكاناً متميزاً عند البابليين وكان من آلهتهم ويسمى عندهم

(سن)، وقدسه الهنود القدامى وسموه رب الليل، وورد بهذا الاسم في اشعارهم ونظر اليه العرب في الجاهلية باجلال وهيبة وكان اسمه عندهم (ود) وجاء في كتابة ثمودية: يا الهي احفظ لي ديني يا ود ايده، وكان القمر احد الهتهم في حياتهم الوثنية ترى هل هناك صلة بين هذه التسمية والمنزلة للقمر عندهم وبين توبيخهم في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾[1].

الجواب نعم، لأن عبادة الأوثان تدل بقياس الأولوية على تقديس الأفلاك بصيغ الشرك ولو على نحو السالبة الجزئية.

وكانت مسؤولية الإسلام عظيمة ومعقدة ومركبة منها وجوب نقل الناس من واقع فكري واجتماعي متوارث الى قيم عقائدية مبنية على التوحيد ونظام عبادي عام يهدم ويلغي تلك الصروح الأمر الذي يستلزم الأهلية والسعي والجهاد في مسؤولية لا يمكن ان يتم التوفيق لها الا بمدد الهي، لذلك كان القرآن في هذا الباب اماماً وقائداً، والسنة خير مرشد ودليل، فبين القرآن ان عناصر الطبيعة جميعاً مسخرة لأمره تعالى بما في ذلك الشمس والقمر وهما ليسا الهين بل كباقي الموجودات السماوية خاضعان لمشيئته تعالى فلا يشاركه في السلطان مشارك، وانهما لا يؤثران في شؤون المخلوقات ليكون هذا البيان السماوي حرباً على ما ذهب اليه الفكر الوثني من تعدد الآلهة وتصارعها، او وجود الهين اثنين كما عند المجوس ونحوها من الأفكار الوثنية والجاهلية، وليمنع من تفشيها وانتشارها.

---

(1) سورة نوح ٢٣.

والى جانب ما بينه القرآن في هذا الباب فانه اوضح وظيفة كل عنصر اساسي من عناصر الكون وحدد بالذات وظيفة وعمل هذا الجرم النير، القمر الذي يسبح في الفضاء لينير ليل الأرض ويزيد الحياة فيها بهاء وجمالاً في هدوء وقور باعتباره مخلوقاً من بديع صنع الله عز وجل ونعمه تمثل سبيلا الى الهداية والإيمان، ولقد نهى الله عز وجل عن السجود للقمر او للشمس فقال تعالى ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ... ﴾[1] والسجود هنا بالمعنى الأعم فيشمل المعنى اللغوي من الخضوع والتطامن والمعنى الإصطلاحي من اتخاذهما الهين والإنشغال بهيئتهما وما فيهما من الآيات عن الخالق وليكون هذا النهي دعوة لعبادته تعالى ثم تفضل عز وجل على الناس وعلى اهل الإسلام خاصة فجعل القمر ضمن ما سخره لإعانتهم في امور عباداتهم وجعله وسيلة لحساب ايامهم ومواعيد بعض العبادات الموقوتة كالحج والصيام، قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ... ﴾[2].

لقد قضت الآية على عبادة القمر وبينت عمله ووظيفته كمخلوق طائع لله اذ يوقت الناس بمسيره وجرياته تجاراتهم ومراحل زراعاتهم وآجال ديونهم ومناسك الحج والصيام واوان الإفطار ومدة حمل النساء وايام حيضهن وشؤون الأسفار وانواع الإجارة والأعمال ونحوه.

ولإثبات هذا الواقع ونفاذ حقيقته في النفوس جاء الأمر

---

(١) سورة فصلت ٣٧.

(٢) سورة البقرة ١٨٩.

بمتابعة القمر ورصد اطلالته على الإرض هلالاً لمعرفة اول كل شهر، وهل اهلة شهور السنة بعرض واحد ام ان بعضها اهم من بعض الأقوى وجود التمايز والتفاوت في الأهمية بينها واهمها هلال شهر رمضان وذي الحجة و شوال، وقد ذكر هلال شهر رمضان بقوله تعالى ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...﴾، والحج ميقات مبارك وعبادة ونسك واجب.

ومع عظيم النفع لكل من الشمس والقمر فقد نوقش في ايهما افضل فمنهم من قال بافضلية الشمس لأن الله عز وجل قدمها على القمر كما في قوله تعالى ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[1] ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾[2] وفيه ان التقديم لا يدل على التفضيل كما في قوله تعالى ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ وقال تعالى ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[3] ومنهم قال ان القمر هو الأفضل، لأنه قمر والشمس مؤنث، وقال المتنبي في رد هذا القول ولو ضمناً:

فما التأنيث لاسم

وما التذكير فخر للهلال

وبان العرب تقول: القمران فجعلوا الشمس تابعة للقمر.

والظاهر ان الشمس هي الأفضل لأن وظائفها اكثر واهم وتتعلق بالمصالح والمنافع العامة وبها تكون الفصول

---

(١) سورة الرحمن ٥.

(٢) سورة الشمس ١-٢.

(٣) سورة الملك ٢.

الأربعة ويعم ضياؤها الكائنات، وكل يأخذ قسطه ونصيبه كل يوم وكل منهما آية من آيات خلقه وحجة على عباده وفيه مصالح لا يمكن للناس احصاؤها، كما تبدو الافضلية بالارادة التشريعية والاحكام الوضعية فانها تترشح ايضاً من الارادة التكوينية باشتقاق القمر لنوره من ضياء الشمس وغيابه في كثير من الليالي ولو في شطر من الليل مع ابتلائه بالنقيصة والزيادة، هذا بالاضافة الى الافضلية الذاتية من غير توسط العناوين الاعتبارية الزائدة كالضياء ونحوه، وهذا لا يتعارض مع فضل وأهمية القمر، فالعدد سبعون يعتبر كثيراً بالذات وبالمقارنة مع الاعداد التي هي أقل منه، ولكنه بالقياس الى السبعمائة يبدو قليلاً.

لقد ساهم الهلال بالقضاء على الخلاف في اداء فريضة الصيام هذا الركن العبادي في حياة المسلمين بالمبادرة الجماعية اللازمة لصيام اليوم التالي لرؤيته وقد يذهب البعض الى القول بان الآية تتعلق بالحاضر وهو الشاهد باعتبار اقامته وعدم سفره، بالإضافة الى ما ورد بالإسناد عن الصباح بن نباتة عن الصادق عليه السلام: "فمن دخل عليه شهر رمضان وهو في اهله فليس له ان يسافر الا لحج او عمرة او طلب مال يخشى تلفه"، ومثله خبر أبي بصير[1].

ولكن هذا المعنى لا يتعارض مع القول بتعلق الآية الكريمة برؤية الهلال وان تسمية الشهر جاءت اطلاقاً للكل على الجزء واشارة الى ابتداء ودخول شهر رمضان، وحمل النهي عن السفر على الكراهة لصحيحة محمد بن مسلم عنه عليه السلام: "يقيم أفضل"، ولجواز السفر المباح مطلقاً فضلاً عن المستحب والواجب ولقاعدة نفي الحرج ولأن الهلال

---

(١) الوسائل باب ٣ من ابواب ما يصح منه الصوم حديث ٦.

عنوان للشهر وتمامه كما ترى في باب النية جواز الإكتفاء بنية واحدة للشهر، يقال شاهدته أي عاينته وقد يقال ان الشهادة تتعلق بالشهر الذي يتعلق به الصيام بقوله تعالى ﴿ فليصمه ﴾.

وقد يرد الشهود بمعنى العلم، وان العلم بحلول شهر رمضان يستلزم صيامه فرضاً عينياً مضيقاً، وفيه نكتة وهي ان الرؤية الشخصية غير مشروطة في وجوب الفريضة، فقد لا يتيسر للكثير من الناس رؤيته في الليلة الأولى فجاء الأمر جامعاً للعلم ايضاً سواء كان باخبار العدل والثقة، او بأمر الحاكم المستند الى البينة الشرعية او باكمال عدة شهر رمضان.

ان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم "صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته" خطاب مبارك موجه لعموم المسلمين وفي كل زمان، وفيه تفسير للآية الكريمة وبيان قريب لمضمونها وهو أمر يجعل الإستهلال ومتابعة موضوع رؤيته مسألة خالدة ملازمة لوجود الإنسان على سطح الأرض حسب الكبرى الكلية الثابتة وهي ان الإسلام هو الديانة الباقية حتى يوم القيامة.

لقد جاء تحديد اول الصوم واوانه بنص قرآني كريم فكان وثيقة سماوية خالدة تتصف بالحكمة والدقة وفيها اعجاز ظاهر لمن يتفكر ويستحضر جوانب الموضوع وكيف انها جامعة مانعة، منعت الإختلاف والإجتهاد في اوجه التأويل باوان الصوم انها آية وساهمت في ترسيخ دعائم الشريعة العبادية وشاركت في وحدة المسلمين وحالت دون التشتت واتساع الفرقة ولتصبح سلاحاً وقائياً يتعذر معه القول بغير تمام شهر رمضان وعاءً زمانياً للصوم يتجدد كل

سنة.

فقد انعم الله على الناس وجعل لهم الأهلة لتنظيم حياتهم ومعاملاتهم وشؤون الطلاق والعدة وتهيئة مستلزمات ومقدمات الحج واداء فريضته قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.

وفي قوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ بيان للحكمة الإلهية في سير القمر وما يصيبه من النقص والزيادة المتعقبة أي المراحل اليومية للزيادة في الهلال، وتوظيفه في تنظيم حياة الناس، وترتيب مصالحهم وحاجاتهم التي تستلزم التوقيت، وتحديد الآجال كالديون ومطلق المعاملات، بالإضافة الى اوان العبادات الموقوتة كالصيام والحج، وهو جزء مما سخر الله عز وجل لأهل الأرض فلا تنحصر منافع الهلال بالمسلمين، فكل الأمم تنتفع منه وفي مختلف الأزمان والأماكن، ووجوه التوقيت والحساب وما يتعلق عليه.

وبين توظيف المسلمين والأمم الأخرى للقمر وسيره عموم وخصوص من وجه فمادة الإلتقاء تحديد الآجال والمواقيت والإستنارة بنوره، ومادة الإفتراق ان المسلمين يستعملونه لعباداتهم، ومن الأمم الأخرى من يسخره لغير مرضاته تعالى.

تخبر الآية الكريمة ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾[1] عن عدد شهور السنة في قضاء الله تعالى وانها اثنا عشر شهراً قمرياً، والمقصود بكتاب الله في

---

(1) سورة التوبة ٣٦.

الآية هو القرآن او اللوح المحفوظ، ولا تعارض في المقام لأن في القرآن تبيانا لكل شيء، والآية اعلاه خير شاهد حتى على فرض انها اخبار وليس انشاء.

ان التقدير الثابت والمستديم لعدد الشهور ومنذ خلق الله السموات والأرض يؤكد اهمية الأهلة ونظام الشهور القمرية ورصد القمر في منازله وسيره ونبذ ما اتخذه غير المسلمين من طرائق في الحساب.

والأشهر الحرم الأربعة، ثلاثة منها سرد متوالية هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد هو رجب، ومعنى حرم تعظيم شأنها واجتناب المحارم فيها اكثر من غيرها وكانت العرب تحرم فيها القتل حتى لو تهيأت فرصة الثأر من القاتل فيها فانه لا يثأر لحرمة تلك الشهور، والظاهر انه جزء من بقايا الحنيفية ولذا قيل انه مما تمسكت به العرب من ملة ابراهيم واسماعيل.

ولقد حذر القرآن من التبديل والتغيير في حساب الشهور مما يدل على اهمية ضبطه المسؤوليات الشرعية والأحكام المتلعقة به وانه جزء من الإرادة التكوينية والتشريعية قال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ...﴾[1].

والنسيء لغة تأخير الشيء، وفي الآية الكريمة تحريم تأخير المحرم، فقد كان العرب اهل غارات وغزوات واصرار على الثأر، فربما استثقل جماعة الصبر والمكث ثلاثة اشهر حرم متتالية من غير غزو او حرب، فيعمدون الى تأخير تحريم المحرم الى صفر أي يحرمون شهر صفر بدل محرم كي

(١) سورة التوبة ٣٧.

يستحلوا شهر محرم، يفعلون ذلك في شهر ذي الحجة ومن قبل رئيس الموسم في زمانه، وقد ذكر التأريخ بعض من اسماء الذين تصدوا للنسيء، واختلف في أول من سن النسيء قيل عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، وقال ابو مسلم بن اسلم: بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس، ولقد ذمهم الله على النسيء وعده زيادة في الكفر للتشريع المخالف للحكم الإلهي ولما يعملون بسنه من القبائح (وعن ابن عباس قال: ومعنى قوله تعالى ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ انهم كانوا احلوا مما يحرم الله وحرموا ما احل الله[1]).

وتحريم النسئ مقدمة لتثبيت اداء فريضة الصيام في اوانها والمنع من ضياع ليلة القدر وحرمان المسلمين مما فيها من افاضات ملكوتية واستعدادات ذاتية وعرضية للعبادة والتقوى.

فالنسئ يجعل فريضة الصيام تقع في غير وقتها وتكون من عمومات ما قصد لم يقع وما وقع لم يقصد، وان المأتي به يكون غير المأمور به لأن فريضة الصيام في شهر رمضان واعتياد النسيء في الحساب يجعل الفريضة في غير اوانها ووعائها الزماني، ولا يحصل الصيام في شهر رمضان او بعضه الا اتفاقاً وفيه حينئذ الحرمان من الثواب وبقاء اشتغال الذمة بالصيام.

وفي آية (النسئ) تعاهد لفريضة الصيام والحج وتوطئة لنيل المسلمين الدرجات العالية في الجنة بادائها في اوانها المحدد.

وللقمر ثمانية وعشرون منزلاً يقطعها ولكن ليس على

(1) مجمع البيان ٥/٢٩.

انتظام من جهة التوزيع الزماني بينها فقد يتجاوز احد المنازل فلا يبقى فيه ليلة او يبقى في منزل واحد ليلتين، او يكون في بعض الليالي بين منزلين لحكمة منه تعالى وتقدير وآية في الكون متجددة.

تفسير قال سبحانه ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ...﴾

ارتبط ذلك بعالم الكون والفساد ومتعلقات السعادة والنحوسة وزيادة مياه البحار والينابيع زيادة ظاهرة في كل يوم من النصف الأول من الشهر القمري ثم اخذها في النقصان التدريجي في النصف الثاني منه.

وبالإضافة الى ما تدل عليه الزيادة والنقصان من الحاجة، أي ان القمر محتاج لغيره وكل محتاج ممكن، فان الله عز وجل ابتلى القمر بآية الخسوف وهي علامة النقص والتغير وكل متغير حادث ليكون بالذات والعرض وصوره المادية المتلاحقة وحركته وسكناته رحمة منه تعالى ليعتبر الناس ويتفكروا في خلق السماوات والأرض.

وفي التهذيب عن الإمام الباقر عليه السلام: "ولقد بات رسول الله صلى الله عليه وآله عند بعض النساء، فانكسف القمر في تلك الليلة، فلم يكن منه شئ ، فقالت له زوجته : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أكل هذا للبغض ؟ فقال: ويحك حدث هذا الحادث في السماء ، فكرهت أن أتلذذ وأدخل في شئ ولقد عير الله تعالى قوما فقال:(وإن يروا كسفا من السماء وايم الله لا يجامع في هذه الساعات التي وصفت فيرزق من جماعه وقد سمع بهذا الحديث فيرى ما يحب"[1].

---

(1) تهذيب الأحكام ٤١١/٧.

أدلة ثبوت الهلال

يخرج القمر بدرا الليلة الرابعة عشر والخامسة عشر من كل شهر قمري والجانب المستنير منه مواجه لنا، وفي الليالي التالية يأخذ القمر في التأخر في الطلوع عن اوان المغرب شيئاً فشيئاً وتقل تدريجياً سعة نوره الى ان يكون الجانب المظلم منه مواجهاً لنا وهو الذي يسمى المحاق وتحت الشعاع، ثم بعد ذلك يخرج الهلال من تحت الشعاع ضعيفاً من جهة المغرب وهو الذي يعتبر ولادة لتبدأ امكانية رؤيته والتي تثبت شرعاً بالطرق التالية:

الأولى : البينة الشرعية:

وهي خبر شاهدين عدلين يشهدان برؤيتهما للهلال اذ ان البينة حجة مطلقة الا ما خرج بالدليل كالشهادة على الزنا التي تتقوم بأربعة شهود عدول، أو الدعوى على الميت وفيها بالاضافة الى البينة الشرعية يمين المدعى الذى يسميه الفقهاء اليمين الاستظهاري لاحتمال انه وفّاه قبل موته.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكم ويقضي بالبينة الشرعية أي شاهدين عدلين.

أحمد بن محمد بن عيسى فى نوادره عن أبيه رفعه قال: "قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة الواحد واليمين فى الدين، وأما الهلال فلا الا بشاهدي عدل"[1]، وورد عن ابن عباس ان اعرابياً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أتشهد أن لا اله الا اله الله وأن محمداً رسول الله؟ فقال: نعم، قال: قم يا بلال وأذن في الناس

(1) الوسائل٢/١٦٥ طبعة حجرية.

ليصوموا غداً".

ولقول ابن عمر قال: "تراءى الناس الهلال، فاخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني رأيته، فصام وأمر الناس بصيامه"[١].

والروايتان خاصتان بالصيام وهلال شهر رمضان دون شهر شوال، ولذلك قال الحنفية والشافعية والحنبلية بقبول شهادة رجل واحد في الصيام ولعله للإحتياط والإحتراز من فوت يوم شهر رمضان، وللتسامح في بداية الشهر والتخفيف ونيل الثواب، ويمكن استقراؤه في معتبرة ابن الحصين عن الصادق عليه السلام التالية، وخالفهم المالكية وقالوا بعدم الصوم الا بشاهدين.

وقال اسحاق: لا يصام الا بشهادة رجلين، وقال الترمذي: ولم يختلف اهل العلم في الإفطار انه لا يقبل الا بشهادة رجلين[٢].

وإشترط الشافعي إجتماع شرائط الشهادة العدالة في الشاهد الواحد بأن يكون عدلاً حراً بألغاً، ويقول(أشهد) أي أشهد برؤية الهلال.

والظاهر ان الروايتين اعلاه لا تنفيان وجود شاهد آخر، وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشاهدين في الهلال، ووردت نصوص عديدة في اعتبار شاهدين عدلين في رؤية الهلال منها صحيحة الحلبي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "لا تقبل شهادة النساء في رؤية الهلال

---

(١) سنن ابي داود ٢١٢/٤.

(٢) سنن الترمذي ٧٥/٣.

الا شهادة رجلين عدلين".

نعم وردت روايات اربعة قد تبدو فيها المعارضة، منها رواية حبيب الخزاعي قال: "قال ابو عبد الله عليه السلام: "لا تجوز الشهادة في رؤية الهلال دون خمسين رجلاً عدد القسامة، وانما تجوز شهادة رجلين من خارج المصر وكان بالمصر علة فاخبرا انهما رأياه واخبرا عن قوم صاموا للرؤية وافطروا للرؤية"[1] لذا جاء عن الشيخ الطوسي والصدوق وابن حمزة وابن زهرة وابن البراج عدم قبول شهادتهما اذا لم يكن في السماء علة اذا كانا من اهل البلد.

والرواية ضعيفة ليس باسماعيل بن مرار - بفتح الميم وتشديد الراء- الذي اعتبر ثقة لوجوده في اسناد تفسير علي بن ابراهيم ولكن لا يكفي في الوثاقة برجال اسناده على نحو الإطلاق، ولقول محمد بن الحسن بن الوليد: كتب يونس بن عبد الرحمن التي هي بالروايات كلها صحيحة معتمد عليها الا ما ينفرد به محمد بن عيسى عن يونس ولم يروه غيره، ويستظهر من العبارة الوثوق باسماعيل بن مرار لروايته عن يونس بن عبد الرحمن، بل هي ضعيفة بحبيب الخزاعي الذي قيل انه مجهول.

كما انها في دلالتها لا تنافي حجية البينة الشرعية وقبول شهادة رجلين عدلين، والظاهر انها تفيد التوكيد والإطمئنان في رؤية الهلال بعيداً عن الإحتمال والظن الخاطئ، كما انها تعني قبول شهادة رجلين عدلين مع وجود علة مانعة لرؤية الجماعة للهلال، والرواية خالية من التعرض لموضوع عدالة الشهود مما يحتمل ان يكون المقصود جواز التواطئ على

---

(١) الوسائل ٢/١٦٥ طبعة حجرية.

الكذب وامكانية دفعه بكثرة الشهود المفيدة للإطمئنان.

وشبيهة بهذه الرواية رواية ابي العباس عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: "الصوم للرؤية والفطر للرؤية ان يراه واحد ولا اثنان ولا خمسون"[1].

وهي ايضاً ضعيفة بالقاسم بن عروة فانه لم يوثق نعم ورد توثيقه في الرسالة الساسانية ولكن طريق الرسالة الى مؤلفها الشيخ المفيد لم تثبت صحته.

وهي خالية من الإشارة الى عدالة الشهود وجاء مضمونها مطلقاً غير منحصر بموضوع الشهادة وربما كانت لبيان امر خارجي وجداني وللتخلص من التواطئ على الكذب في ابواب العبادات.

وقال بعض الفقهاء عند التسليم بتعارض رواية حبيب الخزاعي مع الروايات الناطقة بحجية البينة في خصوص الهلال يتساقطان ويرجع بعدئذ الى عمومات حجية البينة على الإطلاق.

ولكن المقام لا يقبل التعارض اذ ان الروايات الخاصة بحجية البينة تفيد الدراية والإخبار عن حكم واقعي صادر من المعصوم يقطع بحجية البينة وقبول شاهدين عدلين، اما خبر حبيب الخزاعي وابي العباس وشبههما فهي روايات يمكن تأويلها بما يتناسب والدراية بالحكم الواقعي الثابت، وهل يمكن ان يقال بانعدام المانع من اعتماد الروايات القائلة بالقسامة أي خمسين شاهداً في الهلال في هذا الزمان لإتساع رقعة العالم الإسلامي وكثرة الذين يلتمسون رؤية الهلال في الأمصار ووجود الإتصالات الهاتفية السريعة التي تساعد

---

(١) الوسائل ٢/١٦٥ طبعة حجرية.

على جمع عدد مناسب من الذين رأوا الهلال يستطيع معه الحاكم ان يحكم بالهلال بقرار مستقر؟ الجواب ان الإتساع والرقي لا يمنع من اتباع سنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والتقيد باحكامها واجتناب التشديد على النفوس خاصة مع النظر الى قاعدة نفي العسر والحرج قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1].

وقال الحنفية: وإن كانت في السماء علة كالغيم والغبار والأبخرة الثقيلة: قبل الإمام شهادة الواحد العدل) وعرف بأنه الذي غلبت حسناته سيئاته، وإشتراط الشافعية والحنابلة والمالكية العدالة في المخبر والشاهد ولا يكفي مستور الحال لعدم الإطمئنان أو الثقة بقوله وقالوا بأن العدالة هي إجتنابه كلها وإجتناب الإصرار على الصغائر إذ أنه لا صغيرة مع الإصرار.

وعرّف الحنابلة العدالة بأنها فعل المستحب والسلامة من الريبة، وإنعدام التهمة، وترك المكروه، قال تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[2]، وللتوبة موضوعية في نيل صفة العدالة، العدالة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)[3].

هذا وقد وردت نصوص عديدة تفيد عدم ثبوت الهلال بشهادة النساء منها صحيحة محمد بن مسلم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: "لا تجوز شهادة النساء في

(١) سورة الحشر ٧.

(٢)سورة الطلاق ٢.

(٣)صحيح مسلم ٩٤/٨.

الهلال"[١].

اما صحيحة الحلبي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "ان علياً عليه السلام كان يقول لا اجيز في الهلال الا شهادة رجلين عدلين"، فلا تثبت خروج النساء بالتخصص او التخصيص لإحتمال ذكر الرجال على سبيل الفرد الغالب والأرجح، ولوجود نصوص اخرى تفيد الإطلاق في قبول شهادة امرأتين بدل رجل واحد.

ان نفي ثبوت الحجة الشرعية بشهادة النساء لا يمنع من اعتبار اخبارهن اذا بلغ حد التواتر وافاد الإطمئنان وعدم النسيان او الوهم وبعيداً عن احتمال التواطئ على الكذب لأن ذلك الإخبار يفيد العلم الوجداني، ولا مانع من اعتباره والعمل بمقتضاه خاصة وان النهي ناظر الى العمل بشهادة النساء أي الإثنتين مع الرجل او اربعة منفردات.

نعم لا بأس بالصيام بشهادة النساء لما ورد في معتبرة داود بن الحصين عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث قال: "لا تجوز شهادة النساء في الفطر الا شهادة رجلين عدلين، ولا بأس في الصوم بشهادة النساء ولو امرأة واحدة"[٢].

وهذه الرواية قاصرة عن المعارضة والدلالة وربما كان موضوعها منحصراً في الصيام رجاءاً وبقصد الإمتثال للأمر الفعلي المنجز.

وقال احمد والشافعي في احد قولين له بكفاية شهادة امرأة في هلال شهر رمضان لأن الأمر اخبار فلا يحتاج الى العدد الذي هو شرط في الشهادات وقال سلار وهو من

---

(١) الوسائل ١٦٤/٢.

(٢) الوسائل ١٦٥/٢.

تلامـذة الشـيخ المفيـد والسـيد المرتضـى، بالإكتفـاء بشـاهد واحـد في الصـوم اول شـهر رمضـان، دون الإفطـار في شـوال واسـتدل بصـحيحة محمـد بـن قـيس عـن الإمـام البـاقر عليـه السـلام: قـال امـير المـؤمنين عليـه السـلام: اذا رأيـتم الهـلال فـانظروا، او شـهد عليه عدل من المسلمين ...الحديث.

وأمر الهلال على قسمين:

الأول : اعتبـاره علـى نحـو الموضـوعية وان لـه شـأناً في تحديـد أول الشـهر ولا يمكـن الإسـتغناء عنـه الا بـدليل معتـبر، كما في إكمال العدة ثلاثين يوماً.

الثـاني : انـه طريـق لتعـيين أول الشـهر، فـيمكن اعتمـاد طريـق آخـر لتعـيين الهـلال، لـذا ذهـب نفـر قليـل الى القـول باعتبـار درجـة ارتفـاع الهـلال فـاذا بلغـت مـثلاً خمـس درجـات أوان غـروب الشـمس فتعتـبر تلـك الليلـة أول الشـهر، وهـذا التقسـيم اسـتقرائي مسـتحدث ويكـاد يكـون اجمـاع المسـلمين علـى الأول وهـو موضـوعية الهـلال ويمكـن ان نطـرح وجهـاً ثالثـاً وهـو الجـامع للموضـوعية والطريقيـة، فيكـون الخـلاف صـغروياً، وطريـق الرؤيـة محصـورة بـالهلال وهـو أمـر لا يتعارض مع موضوعيته.

وعـن الحـارث بـن حاطـب قـال: عهـد إلينـا رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم أن ننسـك للرؤيـة فـإن لم نـره وشـهد شـاهدا عدل نسكنا بشهادتهما)[1].

□

---

(١)السنن الكبرى للبيهقي ٤/٢٤٧.

عدالة الشهود

العدالة صفة نفسية وملكة مباركة تبدو آثارها واضحة على سلوك الشخص وافعاله بسلامة السيرة والإستقامة في الطريقة وحسن السمعة والهدي، لذا ورد في الحديث: "السمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزء من النبوة".

ومن العدالة في معناها الإصطلاحي الإلتزام الدائم باتيان الواجبات العبادية والفرائض واجتناب المحرمات بوعي وادراك مرتكز الى صفة راسخة في النفس لذا يمكن اعتبارها امراً وجوديا وصفة واقعية يكون حسن الظاهر والاثار الخارجية طريقاً لمعرفتها.

وصحيح ان العدالة ملكة نفسانية تنال بالاكتساب والرياضة والصبر عن الشهوات، الا أنها تحتاج الى توفيق منه تعالى حدوثاً وبقاءً ولتبرز في الخارج بأنماط راسخة من السلوك وحسن السيرة وقد ورد في صحيح ابن ابي يعفور قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بم يعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى تقبل شهادته لهم وعليهم؟ فقال: ان تعرفوه بالستر والعفاف وكف البطن والفرج واليد واللسان ويعرف باجتناب الكبائر التي اوعد الله عليها النار من شرب الخمر، والزنا، والربا، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف وغير ذلك، والدلالة على ذلك كله ان يكون ساتراً لجميع عيوبه، حتى يحرم على المسلمين ما وراء ذلك من عثراته وعيوبه وتفتيش ما وراء ذلك، ويجب عليهم تزكيته واظهار عدالته في الناس، ويكون منه التعاهد للصلوات الخمس اذا واظب عليهن وحفظ مواقيتهن بحضور جماعة من المسلمين وان لا يتخلف عن جماعتهم في

مصلاهم الا من علة فاذا كان كذلك لازماً لمصلاه عند حضور الصلوات الخمس، فاذا سئل عنه في قبيلته ومحلته قالوا: ما رأينا منه الا خيراً، مواظباً على الصلوات متعاهداً لأوقاتها في مصلاه، فان ذلك يجيز شهادته وعدالته بين المسلمين، وذلك ان الصلاة ستر وكفارة للذنوب ولا يمكن الشهادة على الرجل بانه يصلي اذا كان لا يحضر مصلاه ويتعاهد المسلمين، وانما جعل الجماعة والإجتماع الى الصلاة لكي يعرف من يصلي ممن لا يصلي، ومن يحفظ مواقيت الصلاة ممن يضيع، ولولا ذلك لم يكن احد ان يشهد على آخر بصلاح، لأن من لا يصلي لا صلاح له بين المسلمين "فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم همّ بان يحرق قوماً في منازلهم لتركهم الحضور لجماعة المسلمين، وقد كان فيهم من يصلي في بيته فلم يقبل منه ذلك، وقد جرى الحكم من الله عز وجل ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه بالحرق في جوف بيته بالنار، وقد كان يقول: لا صلاة لمن لا يصلي في المسجد مع المسلمين الا من علة"[1].

وهذا الحديث مدرسة في باب العدالة وفيه بيان وتفصيل لصفات العادل الأساسية والتي تكون ظاهرة للملأ واضحة لدى عامة الناس وهي ثلاثة اصلية اولها واكثرها اهمية وتأثيراً في الحال اجتناب الكبائر، وصحيح ان الكبائر مختلف في تحديدها فان الإمام عليه السلام قيد هنا الكبائر بما وعد الله على ارتكابه دخول النار اذ ان عدم اجتناب الكبائر فسق مانع وحاجب عن العدالة، وهذا لا يعني ان اصالة عدم صدور الفسق دليل على ثبوت العدالة وقيل انه من الأصول

---

(١) الوسائل ٤٥٤/٣ طبعة حجرية.

المثبتة[١].

لذلك جاء ذكر الصفة الثانية للعدالة وهي المواظبة اليومية المتصلة على حضور صلاة الجماعة وفائدة الحضور واردة على لسان الإمام عليه السلام وانها كفارة للذنوب.

وان قلت: ان الصلاة مطلقاً جماعة او ان تؤدى انفراداً هي باب لمحو الذنوب ومغفرتها كما في الحديث (المروي عن وهيب عن ابي بصير عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان على باب دار احدكم نهر واغتسل في كل يوم منه خمس مرات اكان يبقى في جسده شيء من الدرن قلت: لا، قال: فان مثل الصلاة كمثل الماء الجاري كلما صلى صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب"[٢].

قلنا: ان حضور الجماعة وكما اكد الإمام عليه السلام سبيل الى معرفة الآخرين بحقيقة ايمان المواظب عليها وباب للشهادة له بحسن الظاهر، هذا وقيل يكفي في العدالة صرف وجودها لذلك ورد في مرسلة يونس: "اذا كان ظاهر الرجل ظاهراً مأموناً جازت شهادته ولا يسئل عن باطنه".

---

(١) الإستصحاب من الأصول العملية وهو اعتبار الحالة السابقة للمشكوك، كما لو فارقنا زيداً قبل عام وشككنا هل هو على قيد الحياة او لا؟ فنستصحب حياته، اما الأصل المثبت فهو ترتب الآثار الشرعية على اللوازم العقلية للمستصحب وان الإستصحاب يفيد التعبد بها فالمراد من الأصل هو الإستصحاب اما المثبت فهو اللازم العقلي ، فاستصحاب حياة زيد في المثال اعلاه يترتب عليه ترتب الآثار الشرعية على حياته فتؤخذ من امواله النفقات الواجبة عليه ونحوه على القول بالأصل المثبت للتعبد بالملزوم وترتب الآثار الشرعية على اللوازم العقلية والعادية، وقد وقع الخلاف بين الأصوليين في الأصل المثبت والمشهور والمختار عدم ثبوته.

(٢) الوسائل ٢١١/١ طبعة حجرية.

وهنـاك قـول آخـر في العدالـة لمـا ورد عـن الإمـام الحسـن بـن علـي العسـكري عليه السلام في تفسـيره عـن آبائـه عـن امـير المـؤمنين عليه السلام قـال: "كـان رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم اذا تخاصـم اليـه رجـلان قـال للمـدعي: ألـك حجـة؟ فـان اقـام البينـة يرضـاها ويعرفهـا انفـذ الحكـم علـى المـدعى عليـه، وان لم يكـن لـه بينـة حلـف المـدعى عليـه بـالله مـا لهـذا قبلـه ذلـك الـذي ادعـاه ولا شـيء منـه، واذا جـاء بشـهود لا يعـرفهم بخـير ولا شـر قـال للشـهود ايـن قبائلكمـا؟ فيصـفان، ايـن سـوقكما؟ فيصـفان، ايـن منزلكمـا؟ فيصـفان، ثـم يقـيم الخصـوم والشـهود بـين يديـه ثـم يـأمر فيكتـب اسـامي المـدعي والمـدعي عليـه والشـهود ويصـف ما شهدوا به.

ثـم يـدفع ذلـك الى رجـل مـن اصـحابه الاخيـار، ثـم سـلم مثـل ذلـك الى رجـل آخـر مـن خيـار اصـحابه، ثـم يقـول ليـذهب كـل واحـد منكمـا مـن حيـث لا يشـعر الآخـر الى قبائلـهما واسـواقهما ومحالهمـا والـربض الـذي ينزلانـه فيسـأل عنهمـا، فيـذهبان ويسـألان، فـان اتـوا خـيراً وذكـروا فضـلاً رجعـوا الى رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم فـاخبراه، احضـر القـوم الـذين اثنـوا عليهمـا واحضـر الشـهود فقـال للقـوم المثـنين عليهمـا: هـذا فـلان بـن فـلان وهـذا بـن فـلان اتعرفونهمـا؟ فيقولـون: نعـم، فيقـول: ان فلانـاً وفلانـاً جـاءاني عـنكم فيمـا بيننـا بجميـل وذكـر صـالح قـالا انكمـا ...، فـان قـالوا: نعـم، قضـى حينئـذ بشـهادتهما علـى المـدعى عليـه، فـان رجعـا بخـبر سـيء وثنـاء قبـيح دعـا بهـم فيقـول: اتعرفـون فلانـاً وفلانـاً؟ فيقولـون: نعـم، فيقـول: اقعـدوا حتـى يحضـر فيقعـدون فيحضـرهما فيقـول للقـوم: اهمـا همـا؟ فيقولـون: نعـم، فـاذا ثبـت عنـده ذلـك لم يهتـك سـتراً بشـاهدين ولا عابهمـا ولا وبخهمـا ولكـن يـدعو

الخصوم الى الصلح، فلا يزال بهم حتى يصطلحوا لئلا يفضح الشهود ويستر عليهم، وكان رؤوفاً رحيماً عطوفاً على امته، فان كان الشهود من اخلاط الناس غرباء لا يعرفون ولا قبيلة لهما ولا سوق ولا دار اقبل على المدعى عليه فقال: ما تقول فيهما؟ فان قال: ما عرفنا الا خيراً غير انهما قد غلطا فيما شهدا عليّ انفذ شهادتهما، وان جرحهما وطعن عليهما اصلح بين الخصم وخصمه واحلف المدعى عليه وقطع الخصومة بينهما"[1].

ويظهر الحديث اهمية التفحص عن حال الشاهد في ابواب الخصومة والنزاع ومع ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم احوال الناس بالوحي الا انه اراد ان يعلم الحكام والقضاة كيفية الحكم ولزوم معرفة عدالة الشهود واعتماد صيغ التحري والسؤال وفق الصيغ الشرعية وآداب الفصل بين الناس، وهل يتصل التفحص ويتعدى الى موضوع الهلال؟ لا مانع منه خاصة مع اختلاف احوال الناس في هذه الأزمان والأعصار، نعم قد يقول قائل: ان الهلال امر يحتاج الى اخبار وليس شهادة وهو خارج عن موضوع الرواية والسيرة تشهد على ذلك.

ولكن التأكد من حقيقة اجتناب الشاهد للمعاصي تلك الملكة التي اكتفى الحلي والمجلسي وغيرهما باعتبارها وتوفرها في الشاهد امر لا ضير فيه ويؤدي الى مطلق الوثوق والإطمئنان الضروري كطريق لقبول الشهادة والفتوى بالهلال والحكم برؤيته، وقد يطلق عليه في الإصطلاح بالعلم العادي، وقال جماعة بثبوت العدالة به.

---

(١) الوسائل ٤٣٦/٣ طبعة حجرية.

وموضوع الهلال وان كان اخباراً الا انه يحق للفقيه ان يتفحص ويتثبت من شخصية وعدالة الشهود لما يتوقف على الأخذ باقوالهم او ردها من مصالح وامور تتعلق بعبادات الأمة، والتفريط أو التشديد أمران لهما عواقب وخيمة على الأمة ووجوه العبادات وادائها لذا يقتضي الحال تحديد مستلزمات العدالة في موضوع الهلال ومقدار التقائها واتحادها او اختلافها عن مستلزمات العدالة بالنسبة لإمام الجماعة وتلك التي للمجتهد.

اختبار الشهود

المعروف ان البينة لا تثبت على امر عند اختلاف الشهود فيه ذاتاً او وصفاً، الا ان يكون الإختلاف عائداً الى امر خارجي لا يضر بالأصل وثبوت البينة.

ومما يشترط في موضوع الهلال توافق الشاهدين في اوصاف الهلال من حيث منزله وهيئته ووصفه، فلو قال احدهما بان فتحة الهلال الى الأعلى وقال الآخر انها كانت الى جهة الشمال فان التوافق والتطابق في الدلالة غير موجود بل ان الدلالة الإلتزامية لكل من الشهادتين تغاير الأخرى الأمر الذي يجعل الإطمئنان الى اخبارهما عن وجود خارجي للهلال منعدماً.

نعم لو اطلقا في الأخبار من غير وصف للهلال وتحديد لمنزله ومكانه او وصف احدهما واطلق الآخر، نسب الى المشهور كفاية ذلك لعدم التعارض بين المطلق والمقيد وهذا المقام يسمح بقبول الشهادة الإجمالية والتي تجوز في باب وحدة المشهود به؟ ويمكن القول بالتفصيل بعيداً عن الإجمال، أي ان وظيفة الحاكم هنا مراعاة القرائن العرفية والعادية والعلمية والنظر في علة الإطلاق والإجمال عند

الشاهد من غير تجاهل لعموم ادلة اعتبار البينة وما تقتضيه سيرة المتشرعة في هذا الباب ولإحتمال السهو.

ويمكن ان يختلف الشاهدان في زمان الرؤية من حيث اللحظة والدقيقة ونحوها كأن يشهد احدهما بانه رآه قبل الأذان بخمس دقائق ويقول الآخر انه رآه لحظة الأذان او بالتحديد في الوقت بما يتناسب وذلك فلا ريب في توافقهما في الرؤية مع اخبارهما عن الصفات المقيدة للذات بالدلالة التي تفيد الملازمة، ولكن لو قال احدهما بانه رأى الهلال عالياً عند الغروب وقال الآخر بانه رآه في تلك اللحظة قريباً من الأفق فان التعارض ظاهر بين الشهادتين في المعاينة في الوصف المكاني، وكذا لو قال احدهما بانه رآه عند الغروب قريباً من الأفق، وقال الآخر انه رآه بعد غروب الشمس باكثر من عشرين دقيقة مثلاً للمباينة في الوصف الزماني، فعلى الشهادة الأولى يستبعد بقاء الهلال اكثر من عشر دقائق.

نعم لو قال احدهما برؤية الهلال في ليلة سابقة لليلة التي شهد صاحبه برؤية الهلال فيها كما لو قال احدهما رأيت الهلال السبت وقال الأخر رأيته ليلة الأحد فلا تثبت البينة لتعدد الوجود الذي يخبران عنه وينطبق على كل منهما شهادة العدل الواحد على نحو مستقل.

ان اهمية موضوع الهلال ووضوح هيئته وامكانية وصفه من قبل الرائي امور تأذن وتلح على الحاكم ان يسأل الشاهد ويتفحص عنه ومنه بحثاً وسعياً لإيجاد التطابق والتلازم بين الشهود، وبما يثبت صدق الشهود وعدم كون الأمر ظنياً او تخيلاً او نحوه مما يؤدي الى الخطأ، ويجب ان لا يحمل السؤال والتفحص صورة التشديد في قبول الشهادة والنظر بارتياب

الى الشهود، أي انه لا افراط ولا تفريط، وقد يشهد عدل برواية الهلال في جهة ويدعو الناس لرؤيته ولم يكن في الأفق هلال او انه يرى في نفس اللحظة بجهة ومنزل آخر.

ان وجود مثل هذه الظاهرة يجب ان لا يؤدي الى التشكيك في شهادة الذي يأتي للأدلاء بشهادته، الأمر الذي يؤدي الى اعراض نفر من الشباب عن الحضور لدى الحاكم للشهادة، مع موضوعية واعتبار شهادتهم لإمتلاكهم آلة البصر الصالحة للرؤية، وعندما يشيع خبر رؤية فلان وفلان للهلال في الليلة التي اعتبروها اكمالاً لعدة الشهر فعليهم المبادرة للشهادة كي لا يأتي الإحتجاج من ناحية جهة الفتوى لماذا لم يأت الذي رأى الهلال للشهادة برؤيته؟ نعم لابد ان تتوفر المقدمات والقرائن والتجربة التي تدل على اكرام المؤمنين في اداء الشهادة، والإلتفات الى ما قد يترشح عن ردها من الضرر المعنوي والعرفي.

وعلى الشاهد ان يؤدي وظيفته النوعية بالإدلاء بشهادته وان علم انها لا تقبل لإحتمال ان يكون عدم القبول لإجتهاد خاص بالفقيه والمبنى الذي يرتكز عليه في الحكم بالهلال مع الإحتراز والتأكد والتثبت من الرؤية وتفاصيل الشهادة ومطابقتها للواقع.

ان الشريعة والإلتزام بها تتضمن الحلول الكافية لهذه المسألة الابتلائية المتجددة في كل سنة مرتين على الأقل وهي تنفي وتمنع حدوث ذلك، والتفصيل والبيان والإخبار التي تقدمت دليل وحجة في المقام، وما صح الحكم به يلزم ترتيب الأثر عليه خاصة في موارد وجوب القبول وحرمة الرد وضرورة اجتناب التردد.

وهل يمكن اعتبار تخلف الشهود العدول عن الشهادة

عند الحاكم تقصيراً من الحاكم مسقطاً لإهليته في الحكم في هذه المسألة العامة البلوى لرجحان مخالفته للواقع، او لفقد حكمه لبعض الشرائط المعتبرة والضرورية فيه؟ والجواب بـ(لا) هو الصحيح لتعذر ثبوت البينة عند الحاكم وعدم لزوم استقصائه عن مظان الشهادة في الامصار وما فيه من المشقة، والعلم يؤتى ولا يأتي، وقد يكون له فهم واجتهاد خاص بالعدالة وعدد الشهود، والسيرة شاهدة على حضور الشهود لدى الحاكم، كذلك ترى تخفيفاً في الشريعة وسعة بان كل من شهد عنده عدلان يجوز بل يجب عليه ترتيب الأثر من الصوم او الإفطار، ولا فرق بين ان تكون البينة من البلد او من خارجه سواء شهدا عند الحاكم وقبل شهادتهما، او لم يشهدا عنده، او شهدا ورد شهادتهما[1].

وادعي الإجماع عليه لاطلاقات النصوص الواردة في المقام كقوله عليه السلام: "او شهد عليه بينة عدول"، إذ يترتب الأثر على الحجة الشرعية خاصة في باب الموضوعات والاخبار وعدم كون الأمر من مصاديق الخصومة كي يحتاج فيه الرجوع الى الحاكم الشرعي وامره في البينة.

اما لو رآه المكلف بنفسه من غير ثبوت البينة الشرعية او مع عدم علمه برؤية غيره للهلال فعليه ترتيب الأثر على تلك الرؤية فيما يخص تكليفه من صيام او افطار (كما ورد في صحيحة الحلبي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "اذا رأيت الهلال فصم واذا رأيته فافطر"[2]، وقد عد شطر من الفقهاء هذه الرؤية الشخصية من طرق رؤية الهلال ولكن

---

(١) انظر مهذب الاحكام ٢٦٩/١٠.

(٢) الوسائل ١٦٠/٢ طبعة حجرية.

ولإنحصار اثرها في شخص الرائي لم نفرد لها باباً خاصاً، نعم يشترط في الرؤية الشخصية المنفردة الإرتقاء عن الظن والإبتعاد عن الشك (لما روي عن علي بن جعفر في كتابه عن اخيه قال: "سألته عمن يرى هلال شهر رمضان وحده لا يبصره غيره أله ان يصوم، فقال: اذا لم يشك فيه فليصم وحده، والا يصوم مع الناس اذا صاموا"[1].

وفي علم أصول الفقه يبحث في القواعد والضوابط الكلية الممهدة لاستنباط الأحكام الشرعية، ومن امثلته البحث في خبر الواحد وثبوت حجيته او عدمها فهذا البحث ونتيجته مسألة اصولية، فاذا قلت ان الهلال رآه عدل واحد، وخبر العدل الواحد حجة، فالنتيجة اذن ثبوت الحكم برؤية الهلال الا ان يرد دليل آخر مغاير.

الثانية : مضي ثلاثين يوماً من بداية الشهر:

عند تعذر رؤية الهلال ليلة الثلاثين منه، فعندما نعد ثلاثين يوماً من شهر شعبان يجب صيام اليوم التالي، وكذلك عندما نصوم ثلاثين يوماً من شهر رمضان أي منذ رؤية هلاله واحراز أوله فعلينا ان نفطر في اليوم التالي باعتباره الأول من شوال قطعاً، اذ ان السنة القمرية تتكون من ثلاثمائة واربعة وخمسين يوماً وبعض يوم تنقسم على اثني عشر شهراً هي شهور السنة، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ......﴾ الآية، لذا يكون الشهر القمري تارة ثلاثين يوماً واخرى تسعة وعشرين، ولا تكون الأشهر الكاملة اكثر من سبعة، والأشهر الناقصة تكون خمسة او ستة كما في علم الهيئة ويؤكده ويثبته الواقع والوجدان والحساب.

---

(١) الوسائل ١٦١/٢ طبعة حجرية.

انه تخفيف ورحمة تجسد الحكمة الإلهية في الكون والتشريع معاً، نعم ان اللجوء الى عدّ ثلاثين يوماً مدة للشهر، تأتي بعد التماس الهلال ليلة الثلاثين وعدم ثبوت رؤيته او ان يكون مانع من غيم ونحوه.

وقد بحث الفقهاء في عدة شهر رمضان ومنهم من قال انه تام دائماً لا ينقص أي انه ثلاثون يوماً ولكن الواقع والوجدان بخلافه وعلم الهيئة يؤكد تعرض كل الشهور لإحتمال النقصان مع توالي السنين وتعاقب الايام، كما وردت في ذلك جملة من الأحاديث البيانية منها ما روي بالإسناد عن اسحاق بن جرير عن ابي عبد الله-الإمام الصادق- عليه السلام قال: "ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان الشهر هكذا وهكذا وهكذا يلصق كفيه ويبسطهما،ثم قال وهكذا وهكذا وهكذا ثم يقبض اصبعاً واحدة في آخر بسطة بيديه وهي الإبهام، فقلت شهر رمضان تام ابداً ام شهر من الشهور، فقال: هو شهر من الشهور، ثم قال: ان علياً عليه السلام صام عندكم تسعة وعشرين يوماً فاتوه فقالوا: يا امير المؤمنين قد رأينا الهلال فقال: افطروا"[1].

لقد سمُي القائلون بتمام شهر رمضان ابداً اصحاب العدد الذين قالوا ايضاً ان شوال ناقص وذا القعدة تام، ولكن الواقع لم يبق لقولهم أي اثر في الخارج ولعلك لا تجد من المتأخرين من يقول به والأخبار بخلافه، وبالإسناد عن معاوية بن وهب عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "ان الشهر الذي يُقال انه لا ينقص ذو القعدة ليس في شهور السنة اكثر

---

(1) الوسائل ١٦١/٢ طبعة حجرية.

نقصاناً منه"[١].

وقيل ان العدد هو عد خمسة من هلال الماضي أي من ذات الشهر من السنة الماضية وجعل الخامس اول الحاضر ولعله الأنسب لأن التعريف الأول قريب من الجدول.

وهناك طرق اخرى لثبوت الهلال ذكرها بعض الفقهاء وارسلها المعاصرون منهم ارسال المسلمات الا انها تحتاج الى بيان الدليل والوضوح والتحديد المانع من الإلتباس وهي:

الأول: التواتر

والمراد به نقل جماعة عن جماعة انهم رأوا الهلال وبما لا يظن معه تواطؤهم على الكذب وذلك لعدالتهم أو وثاقتهم وكثرتهم وتباين احوالهم.

واستدل عليه احياناً بخبر عبد الحميد الأزدي قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام اكون في الجبل في القرية فيها خمسمائة من الناس فقال عليه السلام: اذا كان كذلك فصم لصيامهم وافطر لفطرهم"[٢].

ولكن الرواية لا تخرج عن دليل البينة الشرعية وانما تفيد تبعية الأفراد للمجموع اذ وردت النصوص والسيرة باعتبار البينة الشرعية او اتمام العدة دون غيرهما، ويمكن ان يضرب له مثل في هذا الزمان هو تلقي خبر الصوم او الفطر من اجهزة الإعلام ووسائله الحديثة المرئية والمسموعة الحاكي لرؤية جماعة عدول للهلال.

الثاني: الشياع المفيد للعلم

(١) الوسائل ١٦١/٢ طبعة حجرية.
(٢) الوسائل ١٦٥/٢ طبعة حجرية.

يقال شاع الخبر في الناس يشيع شيعاً فهو شائع: أي انتشر وذاع وافترق وبلغ الناس واستوى علمهم به، وتقييد الشياع بافادة العلم لبيان عدم اعتبار الشياع والخبر الضعيف المبتنى على الظن والحدس والإحتمال ونحوها، ولكن هذا الشياع المفيد هل يمكن تحصيله من غير حصول البينة الشرعية وانتشار امرها، الجواب بـ(لا) هو المناسب وفي صحيحة عبد الله بن بكير بن اعين عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "صم للرؤية وافطر للرؤية، وليس رؤية الهلال ان يجيء الرجل والرجلين فيقولان رأينا انما الرؤية ان يقول القائل: رأيت فيقول القوم: صدق"[1].

ان قول القوم في الحديث: صدق له معنيان:

الأول: انهم ايضاً رأوا الهلال.

الثاني: التوثيق للرائي وانه لا يكذب في كلامه.

ومنهم من ذهب الى المعنى الأول من غير التفات الى المعنى الثاني مع احتماله، وربما يكون المقصود بلفظ (القائل) الوارد في الحديث متعلقاً بالرجل والرجلين الذين يشهدان ويخبران عن الرؤية واذا ورد الإحتمال بطل الإستدلال، كما حمل على حصول الشبهة والتهمة، وعلى فرض رؤية القوم فان الأمر لا يتعدى حجية البينة ولكنه يفيد معها الإطمئنان، وفي الحديث اخبار بأن رؤية الهلال تكون متيسرة لعدد غير قليل من الناس ولا تنحصر في شخص او شخصين وبعيداً عن التردد والشبهة للرائي، ولذا قيل بان رؤية الشخص الواحد حاد النظر لا يؤخذ بها، لأن الاحكام تنزل منزلة العرف ولا عبرة بالشاذ النادر ولكن لو حصلت

---

(١) الوسائل ٢/١٦٥ طبعة حجرية.

بــه البينــة فيكــون حينئــذ مــن عمومــات فضــله تعــالى واســباب التخفيف.

ولــو كــان الشــياع مســتنداً الى البينــة أي انــه شــياع رؤيــة البينــة والتســالم علــى رؤيــة الهــلال مــن قبــل شــطر مــن النــاس لا يمكــن تواطــؤهم علــى الكــذب او وقــوعهم في الشــبهة يمكــن قبولــه باعتبــاره طريقــاً عقليــاً الى العلــم بحصــول البينــة او بحكــم الحــاكم المســتند الى البينــة الشــرعية، وفيــه تخفيــف عــن النــاس فلــيس علــيهم ان يتحملــوا عنــاء البحــث عــن البينــة لســماع خــبر الرؤيــة مــن العــدل مباشــرة او الإتصــال المباشــر مــع الحــاكم لمعرفــة امــر الهــلال، فالشــياع المفيــد للعلــم فــرع البينــة ويمكــن اعتبــاره دلالــة التزاميــة جليــة علــى حصــول البينــة بمــا يفيــد العلــم والقطــع ولــيس الظن، اما اعتباره مطلقاً ومجرداً حجة ففيه تأمل ونظر.

ومشــهور علمــاء الإســلام قبــول الشــهادة علــى الشــهادة في غــير عقوبــة، و لا يجــوز للشــاهد الثــاني أن يقــول: رأيــت الهــلال، بــل يقــول: ذكــر فــلان أنــه رأى الهــلال، وهــل يشــترط تحمــل الثــاني لهــا بــأذن الأول كمــا لــو قــال: أشــهد بــأني رأيــت الهــلال، الجــواب، مــادام الشــاهد الثــاني والســامع يعرفــان فلانــاً بالعدالة، وإحتاط القضاة إذن الأول بشهادة الثاني.

بحث علمي

وصــحيح ان حجيــة العلــم ذاتيــة وانــه يمتلــك مقومــات الحجيــة لافادتــه القطــع وانكشــاف الشــيء واســتبانته ومــن غــير لــبس، والعقــل يحكــم بوجــوب اتباعــه، ولكــن طريقيتــه واقعيــة غــير خاضــعة لوضــع الشــارع الــذي قيــد الحكــم بــالهلال بالبينــة الشــرعية والرؤيــة بــالعين المجــردة تخفيفــاً وتيســيراً وتوظيفــاً للاســتهلال كعمــل وســعي يســتحب ان تشــترك فيــه الأمــة، والنتــائج العلميــة والحســابات الفلكيــة في هــذا الزمــان لا تكفــي

ولا تجزي عن الاستهلال والبينة لموضوعيتها، ولأنها مقصودة بالذات وان كانت طريقاً للحكم، وقد تفيد الحكم الظاهري دون الواقعي، كما لو غم الهلال في الافق في هيئة وحجم يمكن رؤيته بسهولة، فالمدار حينئذ على البينة وهذا من الحالات التي يؤخذ بها بالحكم الظاهري مع احتمال مخالفة الحكم الواقعي الذي هو الأهم والأولى لأن الظاهري لا يؤخذ به الا اذا كان الواقعي مجهولاً او متعذراً.

لا يثبت الهلال بقول المنجمين وان اتصف اخبارهم بالدقة كما في هذا الزمان لاسيما وان المدار على الحكم الظاهري، ولا يثبت برؤيته قبل الزوال، اي لا يحكم بكون ذلك اليوم اول الشهر.

وقد يقول قائل لماذا لا نعتمد الاجهزة العلمية في رؤية الهلال خصوصاً وانها تخبر عن منزله وارتفاعه والقسم المنار منه وامكان رؤيته بالعين المجردة وعلى نحو الدقة.

الجواب: ان المدار على الرؤية بالعين المجردة غير المسلحة وليس على ولادة الهلال او وجوده في الأفق ولم يؤمر الناس الا بما يستطيعون، والابحاث العلمية يستأنس بها وتكون عوناً على تعيين موقع الهلال، لقد أراد الله عز وجل ان يكون الاستهلال مناسبة لتجديد الصلة بين العالم السفلي والعالم العلوي، وتذكيراً للانسان بعظيم فضله تعالى اذ جعله خليفته في الارض وسخر له ما في السماوات والارض ولان اخبار الرصد الفلكي يحتمل أمرين:

الأول: الصدق.

الثاني: الترجيح.

واذا كان من الأول فلابد ان يراه الانسان ايضاً، واذا كان من الثاني يحتاج الرؤية بالعين المجردة لطرد الاحتمال

الآخــر، واذا اخــبرت الارصــاد عــن رؤيتــه ولم تــره البينــة، فلابــد ان تتبــع البينــة لأن الحكــم يــدور مــدار الرؤيــة، لقــد أراد الله عــز وجــل لحكــم الهــلال ان يكــون علــى نحــو القضــية الشخصــية وبامكــان كــل انســان يــراه ويــؤدي فرائضــه ومعاملاتــه الخاصة بحسب رؤيته.

ولا بــأس بتصــنيع منظــار صــغير متــداول لإنتفــاع المــؤمن مــن العلــوم في العبــادات وتكــون لــه وظيفتــان علــى نحــو الإســتقلال والإنفصال.

الأولى: اخــــتراق البصــــر للغيــــوم لرؤيــــة الهــــلال بحجمــــه الطبيعــــي مــــن غــــير تكــــبير ولا تقريــــب ونحوهمــــا، ورؤيــــة الهلال فيه حينئذ شرعية وان كانت في السماء علة.

الثانيــة: تقريــب الهــلال ونحــوه ممــا يســاعد علــى معرفــة منزلــه وموضــعه، وثبــوت الهــلال حينئــذ لا يكــون الا بــالعين المجــردة بعد تنحية المنظار.

وورد في صــحيحة ابــراهيم بــن عثمــان الخــزاز عــن الإمــام الصــادق عليه السلام قــال: "قلــت لــه: كــم يجــزئ في رؤيــة الهــلال؟ فقــال: ان شــهر رمضــان فريضــة مــن فــرائض الله فــلا تــؤدوا بــالتظني ولــيس رؤيــة الهــلال ان يقــوم عــدة فيقــول واحــد قــد رأيتــه ويقــول الآخــرون لم نــره، اذا رآه واحــد رآه مائــة، واذا رآه مائــة رآه الــف، ولا يجــوز في رؤيــة الهــلال اذا لم تكــن في الســماء علــة اقــل مــن شــهادة خمســين، واذا كانــت في الســماء علة قبلت شهادة رجلين يدخلان ويخرجان من مصر".

ولا تعــارض لهــذه الروايــة مــع الروايــات القائلــة بالبينــة فضــلاً عــن تلــك الــتي تحكــى حكــم الــنبي صــلى الله عليــه وآلــه وســلم بــالهلال بشــاهدين، وانمــا تتعلــق باحتمــال تــوهم مــدعي

الرؤيـة بمخالفـة غـيره ممـن الـتمس الهـلال ورؤيتـه مـع إمكـان ان يدلـه علـى مكـان الهـلال ووضـعه لحظـة الرؤيـة، وصـدر الروايـة يتعلـق بادعـاء واحـد للرؤيـة، وقـد يكـون ذيلـها مرتبطـاً بـه مـن خـلال تأييـد نفـر مـن الآخـرين لصـاحبهم الـذي ادعـى الرؤيـة، وهـي لا تنحصـر بالتمـاس افـراد قلـيلين للـهلال لأي سـبب كـان كوجـود غيـوم متقطعـة تبعـث علـى اليـأس مـن الرؤيـة، او ان احـد الشـهور كشـعبان مـثلاً كـان ناقصـاً ولكـن غـب علـى النـاس ولم يـروا الهـلال فـاكملوا عدتـه ثلاثـين يومـاً وهـو في الواقـع تسـعة وعشـرون ووافـق ان كـان رمضـان تاليـه ايضـاً ناقصـاً، كمـا حـدث مـرة في ايـام أمـير المـؤمنين علـي عليـه السـلام، والقليـل مـن النـاس حينئـذ يسـتهل في ليلـة هـلال شـوال لأنهـا بحسـابهم ليلـة التاسـع والعشـرين ولـيس هـي ليلـة الشـك الـتي يحتمـل فيهـا رؤية الهلال.

ومـنهم مـن حمـل هـذه الأخبـار في احـد وجهـين علـى عـدم وجـود العـدلين في جملـة اولئـك النـاظرين فلابـد حينئـذ مـن الكثـرة المفيـدة للعلـم ، ولـيس في الروايـة مـا يشـير الى عـدم وجود العدلين.

قـد يقـال ان العلـم بـالهلال لا يتحصـل مـن البينـة الـتي تفيـد الظـن والحكـم الظـاهري ولكـن ورد في الخـبر ان شـهادة العـدلين تفيـد العلـم، امـا لأن العـرب ترتقـي بـالظن الى درجـة الـيقين او لأن للعلـم مراتـب متفاوتـة يتحقـق في درجاتـه الـدنيا باخبـار العـدل والثقـة وان كـان للمقـام والحكـم اثـر في تحديـد مرتبة العلم التي يحتاج اليها.

تـرى هـل تكـون شـهادة العـدلين دائمـاً طريقـاً لثبـوت الهـلال؟ وانـه في احـوال خاصـة يحتـاج الى الشـياع المفيـد للعلـم لإمكانيـة تحقيـق ذلـك واقعـاً واسـتبعاد رؤيـة شخصـين للـهلال

دون الناس ممن التمس رؤية الهلال معهم خاصة عند عدم وجود علة في السماء.

لقد قال جمع من الفقهاء بثبوت الهلال بشهادة ذكرين مطلقاً ، سواء كان صحواً او غيماً ، وهو الاصح والموافق للنصوص والقواعد الفقهية المعتبرة.

وهل تم في ايام النبوة المباركة وايام الخلافة الحكم بالشياع المفيد للعلم؟ انه امر غير مستبعد ويؤيده العقل والوجدان ولكن بدخول البينة الشرعية فيه او ارتكازه الى حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالهلال وهو الأظهر وما دام طريقاً للعلم فلا ضير في ترتيب ا:لأثر على مفاده، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع علمه الحضوري ينتظر الشهود ليعلم الأمة وقياداتها الدينية والسياسية واهل الحل والعقد كيفية الحكم ومناهجه ولزوم اختيار الطرق الشرعية الصحيحة المؤدية اليه، وفي الحديث: "انما احكم بينكم بالأيمان والبينات".

وقد تتفرع عن الموضوع مسألة ثبوت الهلال بالشهادة على الشهادة[1] والتي ظهر الإختلاف فيها بين الفقهاء ومرجعه هل هي عامة واخبارها مطلقة كما ذهب اليه الشهيد الثاني، ام انها مختصة بالأموال وبحقوق الآدميين كما قال العلامة الحلي في التذكرة.

الاقوى قبولها في الشهادة على الهلال لأنه نوع اخبار ولعمومات أدلة الشهادة ولأنها ايضاً من حقوق الآدميين بل اهل الايمان والمسلمين منهم خاصة.

ولو كان استناد الشاهدين الى الشياع المفيد للعلم فهل

---

(١) أي يشهد شخص بأن فلاناً رأى الهلال.

تقبل شهادتهما وتكون شهادة أصل أم فرع، الجواب: الاقوى انها لا تقبل لعدم صدق الاصل وعدم ثبوت عنوان الفرع عليها لأن القدر المتيقن من الشهادة ان تكون عن الاصل أي عن الرائي للهلال نفسه وليس من الشياع.

اما اذا كانت شهادة الشاهدين على الشياع المفيد للعلم في احد الأمصار الإسلامية الأخرى فتصح وتقبل، شهادتهما، لأنه اخبار عن حالة نوعية عامة ظاهرة للعيان ولما ورد في الصحيح عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام: "انه قال فيمن صام تسعة وعشرين قال: ان كانت له بينة عادلة على اهل مصر انهم صاموا ثلاثين على رؤيته قضى يوماً"[1]، ولكن يمكن حمل رؤية اهل المصر على ثبوت البينة الشرعية عندهم.

الثالث: حكم الحاكم الذي لم يعلم خطأه ولا خطأ مستنده والمرتكز على البينة الشرعية.

وهو امر صحيح ومن المسلمات العقلية والعرفية عند كثير من الناس وفي الأعصار المختلفة خاصة في مثل امر الهلال النوعي العام وعمومات القضاء واطلاقات ابواب الحكم شاملة للمقام ويمكن ان يستدل بالسيرة، والتسالم بين المتشرعة، وفي صحيحة محمد بن قيس عن ابي جعفر عليه السلام قال: "اذا شهد عند الإمام شاهدان انهما رأيا الهلال منذ ثلاثين يوماً امر الإمام بالإفطار في ذلك اليوم، وأخر الصلاة الى الغد فصلى بهم"[2].

---

(١) الوسائل ١٦١/٢ طبعة حجرية.

(٢) الوسائل ٤٦٩/١ طبعة حجرية.

وهـذه الرواية لا تـدل على الأخذ بأمر الحاكم من غير البينة، وهي ناظرة الى التأخر في اداء الشهادة حتى مرور ثلاثين يوماً على رؤية الهلال وللتوكيد على بقاء باب الشهادة مفتوحاً حتى الساعات الأخيرة من الشهر وضرورة عدم تردد الحاكم في اتخاذ قرار الهلال واعلان ثبوت رؤيته وترتيب الأثر وان مر ثلاثون يوماً من بدايته.

ان حكم الحاكم طريق عقلي لثبوت البينة الشرعية وليس طريقاً مستقلاً مبنياً على الإجتهاد ويمكن ان ينتقض بدليل علمي وبالبينة خاصة وان امر الهلال خارجي وجداني ورد الدليل بعدم ثبوته الا بالرؤية لقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وللروايات الكثيرة في المقام والسيرة، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع ما عنده من علم حضوري واتصال الوحي ونزوله عليه لم يحكم بالهلال الا بالبينة والرؤية مما يعتبر بياناً ودرساً للفقهاء والحكام وتعليماً للأمة في ابواب الشريعة وصيغ ترسيخها.

ولقد طور الفلكيون من المسلمين أساليب حسابية وطرقاً هندسية لتحديد اول كل شهر وصفة الهلال، ولكن الهلال لا يثبت بقول المنجمين والذي غايته الظن الذي لا يغني عن الحق وليس بحجة.

والمشهور في المذهب المالكي هو عدم اعتبار قول المنجم والحاسب لسير الكواكب وعليه اتفق اكثر اصحاب ابي حنيفة، اما مذهب الحنابلة فقد قال صاحب المغني: وان من بنى على قول المنجمين واهل المعرفة بالحساب فوافق الصحابة لم يصح صومه، وان اكثرت اصابته لأنه ليس بدليل شرعي يجوز البناء عليه، ولا العمل به، فكأن وجوده كعدمه، واجماع الإمامية على عدم اعتبار قول المنجمين في

الهلال.

وبين وجود الهلال ورؤيته عموم وخصوص مطلق فقد يكون الهلال موجوداً ولكنه لا يرى بالعين المجردة، فمدار الحكم على الرؤية بالعين غير المسلحة بمنظار ونحوه ، ولا مانع من النظارات الطبية التي تعيد للبصر نضارته وقوته في الجملة.

ولقد تشدد بعضهم ومنع من الرجوع الى قول المنجمين لما روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قوله "ومن صدق كاهنا او منجما فقد كفر بما انزل على محمد" ولكن القدر المتيقن من الحديث تصديقه بالمغيبات.

وقد يقول قائل ان التنجيم في الباب اصبح مختلفاً عنه في الأزمان السابقة، وان التطور العلمي والتقني في هذه الأيام شمل في موضوعه الهلال وولادته واخذت اجهزة الرصد الفلكية المتطورة والحديثة تحدد وبدقة ساعة ولادته، ومدى امكان رؤيته وساعتها واماكنها، وعمر وسمت وارتفاع القمر عند غروب الشمس، ومدة بقائه بعد غروبها، والزاوية بينه وبين الشمس عند غروبها والقسم المُنار منه، واعطاء المعلومات عنه لسنوات كثيرة تالية وبما يستوعب امصار الارض وفق جداول قريبة من الواقع وان لم تكن حجة شرعية، وفي المستقبل ستتمكن من الإخبار عن درجة العين التي تستطيع رؤيته ونحوها من متعلقات الرؤية وبلحاظ الغبار والأبخرة المتصاعدة.

فهل يختلف الحكم بخصوصه؟ الجواب لا، لتعلق اصالة عدم الحجية بالتنجيم مطلقاً وان الرصد الفلكي واخباره غايتها الظن الذي لا يجزى في المقام وقد نهى عن التظني في موضوع الهلال.

واذا قال بعضهم ان خبر الإرصاد الفلكي اصبح من باب العلم وجاء بادلة وبراهين لإثبات ذلك نقول له: انه لا يتعدى الطريقية المحضة وانه سبيل صالح لتحقيق الرؤية البصرية وتيسير لأمرها، والأدلة تحصر الثبوت بالرؤية أي يمكن اعتبار اخبار الرصد الفلكي في تحديد موقع الهلال ومعرفة ولادته وارتفاعه في الافق والقسم المضيء منه.

واذا كانت في السماء علة وكانت ملبدة بالغيوم التي تحول دون تحقيق الرؤية، والإرصاد الفلكية الدقيقة تثبت ولادته وامكان رؤيته واقتنع الحاكم ان الهلال موجود ويمكن رؤيته لولا الغيوم فما هو الحكم؟ نقول انه داخل ضمن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ان الله تعالى جعل الأهلة مواقيت للناس، صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فان غم عليكم فاتموا العدة"[1].

أي ان الحجية تدور مدار الرؤية وليس من اثر واقعي في المقام لقول الإرصاد لعدم تحقق الرؤية الواقعية، نعم اذا صنعت اجهزة رصد فلكية يمكن بها رؤية الهلال مع وجود الغيوم أي ان تلك الأجهزة تتيح للرائي ان يخترق الغيوم ببصره فهل تثبت بذلك الرؤية الشرعية والبينة ام تلحق الحال بالغم واتمام العدة، الجواب: تثبت الرؤية بالبينة الشرعية في المقام لشمولها بادلة الحجية ولتحققها خارجاً وثبوتها وجداناً وربما استحدث في المستقبل ومع التطور العلمي الهائل في هذا الباب مبحث فقهي متسع حول موضوعية الرؤية البصرية وطريقتها يكون وعاء لإتحاد الحكم وتقارب المسلمين في هذه المسألة العامة البلوى.

---

(1) عن مجمع الزوائد ١٤٥/٤.

مسائل

الأولى : هل يثبت التطويق ان الهلال لليلتين بمعنى ان الهلال اذا رؤي مطوقاً بالنور في جميع اطرافه فهل يعنى ان هذه الليلة هي الليلة الثانية.

وفي صحيحة محمد بن مرازم عن ابيه عن الصادق عليه السلام قال: "اذا تطوق الهلال فهو لليلتين، واذا رأيت ظل رأسك فيه فهو لثلاث"، وقد اعرض الفقهاء عن هذه الرواية، ولم يثبت هذا الإعراض عند بعضهم ورمى العلامة الرواية بالضعف[1].

والمشهور شهرة عظيمة عدم اعتبار التطويق، وهو الأصح لأن المدار على الرؤية كتاباً وسنة.

لقد ذكرت الروايات بان يوم الشك لا يقضى الا اذا قامت البينة على رؤية الهلال ليلته وعليه الإجماع.

كما ان السيرة خالية من العمل بمضمون حديث التطويق وقد يتنافى مع قاعدة نفي الحرج، وربما رأى القائل بالتطويق هلال شهر رمضان مطوقاً فأفتى انه لليلتين وعندما رأى هلال شوال مطوقاً لم يقل انه لليلتين لأن ذلك يعني صيامه ليوم عيده.

ان التطويق ليس طريقاً لإثبات الهلال، لا لأن الطريق منحصر بالبينة لبيان الواقع ولكن لأن الصحيحة وردت للإخبار عن امر كوني خارجي بدليل ذيل الرواية "واذا رأيت ظل رأسك فيه فهو لثلاث"، ولأن التكليف متعلق بالرؤية وكذا القضاء ترى ماذا يقول العلم الآن، هل يمكن ان يكون الهلال مطوقاً مع تعذر رؤيته في الليلة

(١) مستند العروة الوثقى كتاب الصوم ١٠٣/٢.

السابقة؟ ان القول بالإيجاب شاهد على ان الرواية تتعلق بعالم التكوين والآيات الكونية.

كما يمكن الإستدلال على عدم الأخذ بالتطويق بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين[1]، فاذا لم يره المسلمون ليلة الثلاثين بسبب الغيوم واكملوا لعدة ثم خرج مطوقاً فيدخل ضمن عمومات الصحيح باتمام العدة وعدم اعتبار التطويق.

الثانية : لا يثبت الهلال ببقائه بعد ان يغيب الشفق[2]، واليه ذهب المشهور فقد يكون عالياً مرتفعاً في الأفق بسبب مدة ولادته فيتأخر في وجوده الى ان يغيب الشفق، فجعله بعضهم امارة على انه لليلتين باعتبار ان الهلال لا يتأخر في ليلته الأولى الى ما بعد الشفق، أي انه يغيب قبله الامر الذي يحتاج الى دليل واثبات، في رواية عن اسماعيل بن الحر[3] عن ابي الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: "اذا غاب الهلال قبل الشفق فهو لليلة"، ولكن الرواية ضعيفة السند لأن اسماعيل بن الحر مجهول كما انها معارضة بمعتبرة ابي علي بن راشد الظاهرة في عدم اعتبار اوان غيبوبة الهلال.

---

(١) صحيح البخاري ٣٢٧/١.

(٢) الشفق: بقية ضياء الشمس وحمرتها اول الليل، وعن الخليل الشفق: الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة فاذا ذهب قيل غاب الشفق.

(٣) ورد في نسخة الوسائل اسماعيل بن الحسن بن الحر نقلاً عن الكافي، ولعله سهو في النسخ، انظر الوسائل ١٦٤/٢ طبعة حجرية.

وعلى فرض التعارض بين الروايتين يكون التساقط فيرجع الى الأصل، وعمومات الرؤية والبينة الشرعية، بالإضافة الى امكان حمل الرواية الأولى عن اسماعيل بن الحر بانها تتعلق بعالم التكوين وبيان الآيات الكونية.

الثالثة : لا يثبت الهلال بالعدد، وهو عد شهر شعبان ناقصاً ابداً وشهر رمضان تاماً ابداً، واليه مال المفيد والصدوق ولكن شهر رمضان كباقي الشهور قد يصيبه النقصان ويكون تسعة وعشرين يوماً وفي صحيح حماد بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام: شهر رمضان شهر من الشهور يصيبه ما يصيب الشهور من النقصان ولا يثبت بالحساب والجدول الراجع الى سير القمر واعتبار التوالي بين الشهر التام والناقص ابتداء من محرم فهو تام، وان جاءت بمضمونه بعض الروايات ولكنها مرسلة وضعيفة ويمكن حملها على الغالب والإستئناس به لا القاعدة الكلية الثابتة فى كل السنين، وربما كانت لبيان موعد الهلال فى تلك السنة.

ان الواقع والوجدان ومتابعة الحساب في تعاقب السنين تثبت عدم امكان تخصيص شهر بالتمام او بالنقصان دائماً من بين الشهور، كما ان حركة كل من الشمس والقمر تجري بانتظام من غير ان تتأثر بشهر معين في سرعة او بطئ، وقد يأتي شهران متتابعان ناقصين او تامين ، لذا جعلت الرؤية الشرعية هي الطريقة لمعرفة أوانه ، وعن عبد الله بن مسعود قال: ما صمت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسعاً وعشرين، اكثر مما صمنا ثلاثين[1].

([1]) سنن الترمذي ٣/٧٣ الحديث ٦٨٩.

واستشهد بقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.

ان الصوم لا يثبت بالعدد وانه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نص على ان الأهلة هي المعتبرة في المواقيت[1].

ولكن الآية لا تعني بالضرورة حصر التوقيت بالأهلة دون العدد وليس فيها ما يفيد عدم ثبوت اوان الصوم بغير الأهلة اذ ان كلمة مواقيت وردت نكرة وقد ثبت في علم الأصول ان النكرة في مقام الإثبات تخص ولا تفيد الصلاحية للعموم.

ومستند عدم صلاحية العدد والحساب للصوم هو الكتاب والنصوص والروايات بالإضافة الى قاعدة الإشتغال اليقيني يقتضي الفراغ اليقيني، بالإضافة الى سيرة المسلمين وما دل عليه الوجدان ، وما يظهره العلم الحديث والتوثيق التأريخي لرؤية الهلال وتحديد ليلة الصيام والإفطار في كل سنة وعلى مستوى العالم الإسلامي وعموم الأرض يظهر لك الحاجة النوعية والعقائدية لإعتبار الرؤية البصرية ومنافعها ، وعدم صلاحية العد والحساب او اعتبار التمام لشهر معين، بمعنى ان العلم الحديث شاهد على دقة الأحكام الشرعية الإسلامية مع خلوها من التعقيد والتركيب والتشديد.

اختلاف الآفاق

اذا ثبتت رؤية الهلال في بلد فهل تثبت في بلد آخر؟ اختلف فيه على اقوال:

(١) مجمع البيان٢/٢٨٤.

الأولى : تثبت ولو اختلف الأفق ولا عبرة باختلاف المطالع، فلو ثبت الهلال في البلاد الغربية مثلاً فان ذلك يكفي لثبوته في البلاد الشرقية من غير اعتبار لإتحاد الأفق، وهو ظاهر الحنفية.

وبالنسبة لمذهب الحنابلة جاء في المفتي: اذا رأى الهلال اهل بلد لزم جميع البلاد الصوم.

قال نفر من المحققين منهم العلامة في المنتهى ان ثبوته في قطر كاف لجميع الأقطار، باعتبار ان الرؤية طريقية محضة ليس لها موضوعية خاصة، وان الإختلاف بين البلاد الإسلامية لم يكن بمقدار يوم وليلة.

وفي الحدائق نفي كروية الأرض وما يترتب عليها من طلوع الهلال في بعض من الأرض دون غيرها، وقال: ومما يبطل القول بالكروية انهم جعلوا من فروع ذلك ان يكون يوم واحد خميساً عند قوم وجمعة عند آخرين وسبتاً عند آخرين وهكذا.

والتالي باطل فالمقدم مثله اذ ان القول بكروية الأرض لا يستلزم هذا الإختلاف في الأيام، كما يدل عليه الواقع العالمي المحسوس بالوجدان والإتصالات السريعة في هذا الزمان، كما ان موضوع الأيام اجنبي عن واقع الأرض وكرويتها التي هي آية من بديع صنعه تعالى.

الثانية : ان رؤية الهلال في بلد لا تثبت رؤيته وترتيب الأثر عليها في بلاد اخرى تختلف معه في الأفق.

الثالثة : يثبت الهلال اذا علم توافق افق البلدين وان كانا متباعدين الا اذا كان التباين كلياً، أي بمقدار ليلة فلا يترتب الحكم.

الرابعة : اذا ثبتت رؤيته في بلد يكفي ذلك لثبوته

وترتيب الأثر في بلد آخر قريب منه للأدلة الواردة في المقام ولقبول شهادة الشاهدين اللذين يدخلان المصر.

واختلف علماء المالكية في المقام على اقوال:

الأول : لا عبرة باختلاف المطالع سواء تقارب البلدان او تباعداً.

الثاني : ثبوت الرؤية عند حاكم خاص لا يشمل ما هو خارج ولايته من الأمصار.

الثالث : اعتبار اختلاف المطالع في البلاد، نقل عن ابن عبد البر اجمعوا على عدم لحوق حكم رؤية ما بَعُدَ كالأندلس وخراسان.

واختلف علماء الشافعية، قال النووي: اذا رأوا الهلال في رمضان في بلد، ولم يروه في غيره فاما تقارب البلدان، فحكمها حكم بلد واحد بلا خلاف وان تباعدا، فالأصح انه لا يجب الصوم على اهل البلاد الأخرى.

الرابع : لكل اهل بلد رؤيتهم، ومما استدل القائلون به (حديث كريب عندما عاد من الشام واخبر ابن عباس ان أهل الشام رأوا الهلال ليلة الجمعة وصاموا الجمعة فقال ابن عباس: لكن رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوماً او نراه"[1].

وكما هو حاصل بين المتقدمين والمتأخرين في فتوى المقام فان المسألة لا زالت محل خلاف واجتهاد عند علماء الإسلام، وقد يحدث في هذا الزمان ان تثبت رؤية الهلال في بلد ولا تثبت في غيره، فتارة يتبع الأخير الأول وتارة لا حسب العرف الشرعي السائد فيه، واحياناً ترى فقيهاً لا

---

(١) انظر سنن الترمذي٣/ ٧٧.

يقول باعتبار وحدة الأفق او انه يقول لكل بلد حكمه ولكن اتباعه والذين يرجعون اليه في فتوى ثبوت الهلال يتبعونه وان كانوا في بلد غير متحد في الأفق مع بلاده او البلاد التي رؤي فيها الهلال وبنى على ذلك حكمه.

وبلحاظ مستحدثات المسائل والتقارب المتعدد الابعاد الحاصل بين مختلف البلدان في هذا الزمان فقد تتجه الفتوى نحو وحدة الحكم مع اختلاف الآفاق، والأقوى ان ثبوت رؤية الهلال في بلد تكفي لثبوته في غيره من البلدان الا ان يكونا متباعدين بحيث لا يجمعهما ليل واحد.

ان اختلاف مطالع القمر امر وجداني ثابت واقعاً ويؤيده الحس والوجدان وعلم الهيئة كجزء من عظيم صنعه تعالى وآية كونية تتعلق بنظام سير الكواكب واختلاف مواقيت العبادات وليكون عمار الأرض دائماً منشغلين بالفرائض والعبادات وعلى نحو التوزيع والتفريق الزماني، فقد يكون الفجر في بلد هو زوال في بلد آخر، والزوال غروب في بلد آخر، لذا ترى النصوص تؤكد بان المعتبر في كل بلد هو فجره وزواله وغروبه ومطلق وقته بالنسبة للصلاة والصوم ونحوها من العبادات وفي بعض الأخبار قال عليه السلام "انما عليك مشرقك ومغربك"، ولكن حكم الهلال أوسع.

ان الأرض بمقتضى حكمته تعالى في كرويتها يكون نصفها تارة مواجهاً للشمس وهو الذي يسمى في علم الهيئة بقوس النهار، وتارة يكون النصف الآخر مواجهاً للشمس فيظلم الأول ويسمى قوس الليل لذا قد يحدث شروق في مكان من الأرض غروباً في مكان من الأرض مقابلاً له وبالعكس وفي نفس الساعة.

والقمر في ذاته جرم مظلم ولكنه يكتسب النور من

الشمس في النصف المواجه منه للشمس في آية كونية بديعة تدعو الى التفكر في عظم مخلوقاته تعالى، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: "اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمة الله فانظروا الى عظم خلقه".

وليس من تقسيم بالدقة العقلية للأرض الى نصفين في موضوع الهلال فالبقعة التي تكون في اول النصف تكون في وسط نصف آخر، وهي ايضاً في آخر نصف آخر للحكمة الإلهية الكونية في كروية الأرض، فاعتماد النصفين في رؤية الهلال امر ضعيف وغير واقعي فتكون سالبة بانتفاء الموضوع، فاي بقعة من الأرض تكون في كل حركة للشمس جزءاً من نصف الأرض هو غير النصف السابق بمجموعه الكلي، نعم يمكن ان يقال باختيار وتحديد النصف الذي يكون في المكان الذي يرى فيه الهلال ساعة الرؤية، وكل بقعة يكون فيها الليل ساعة الرؤية فهي من النصف المظلم غير المواجه للشمس، قلت: ما الدليل على ذلك؟ وخروج الهلال من تحت الشعاع أي تولده مرة واحدة ليس كافياً للحكم الا ان يراد الأمر الإستقرائي والوصف التقريبي.

ونرجع الى النصوص التي يفيد ظاهرها الإطلاق في الثبوت الشرعي وان اختلفت الافاق، وكل من الفريقين القائل بان لكل بلد حكمه، والقائل بوحدة الحكم مع اختلاف الآفاق استدل بالآية الكريمة.

ولكن الرؤية بمعنى رأى الهلال بنفسه او ثبتت الرؤية عنده، وهل يتعدى الحكم الى بلدان اخرى بعيدة او لا؟ اثبات هذا التعدي في منطوق الآية بعيد بقرينة التقييد فيها ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وكذا في قول النبي صلى

الله عليه وآله وسلم "صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته".

وبعض العلماء ممن فسر الآية بان لكل بلد رؤيته استدل بقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ [١].

أي عدم التمكن من تبليغ المسلمين في الإقطار الأخرى او التكلف له، ولكنها حالة متغيرة وزالت عنها المشقة والحرج في الوقت الحاضر واصبح الإنسان يستطيع الإتصال بالوسائل الحديثة باي وقت شاء في دقائق، فمن استدل بالآية على ان لكل بلد رؤيته ربما يفتي بالعكس هذا الزمان لإختلاف الموضوع، كذلك يستظهر التعميم في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم "صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته".

واستدل بالدعاء الوارد عن الإمام عليه السلام في يوم العيد "اسألك بحق هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيداً"[٢] باعتبار انه يوم واحد شخصي وانه عيد لجميع المسلمين المنتشرين في ارجاء المعمورة على اختلاف آناتها لا لخصوص بلد دون آخر.

وقد لا يكون هذا الإستدلال تاماً لإعتبارات لغوية فيحتمل ان الألف واللام في المسلمين لبيان الجنس وجاءت لتعريف الحقيقة وهي التي لا تخلفها (كل)، او انها للعهد وخاصة بمسلمي البلد واذا ورد الإحتمال بطل الإستدلال.

واستشهد بقوله تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وانها ليلة واحدة معينة ذات احكام خاصة لكافة الناس، وجميع أهل العالم، لا ان لكل صقع وبقعة ليلة خاصة مغايرة لبقعة

---

(١) سورة البقرة ٢٨٧.

(٢) مستند العروة الوثقى/كتاب الصوم/١٢٢/٢.

اخرى من بقاع الأرض[1].

ولكن الإستدلال بليلة القدر ليس تاماً لوجهين:

الأولى : لأن ليلة القدر ليست محدودة في زمانها، وان وردت الروايات بحصرها في العشرة الأخيرة من شهر رمضان وبالليالي الفرد منها وبسبعة بقين من الشهر ونحوه، نعم يمكن اعتبارها ليلة واحدة في الجملة وبالنسبة لكل سنة وقد تكون محدودة كونياً بغض النظر عن وقوعها في اقطار الأرض بما يستوعب ليلة كل بلد بتمامها، وادنى تلبس لليل في ذات البلد يتحقق اسم الليل وليلة القدر لاسيما وان غالب اقطار الأرض مع الإختلاف في الأفق بينها يتداخل ليلها فيكون بعضها في الساعات الأولى من الليل والبعض الآخر في اوسطه او في الساعات الأخيرة منه.

الثانية : عدم وجود ملازمة بين ليلة القدر ويوم العيد، وقد اخفيت ليلة القدر اجمالاً بين ليالي شهر رمضان في آية كونية وعقائدية، اما يوم العيد فهو أمر مختلف متعلق برؤية الهلال فلا ملازمة بين الأمرين موضوعاً وحكماً واستدلالاً.

(وقد ورد عن العلامة الحلي في المنتهى: اذا رأى الهلال اهل بلد وجب الصوم على جميع الناس سواء تباعدت البلاد او تقاربت) وهو موافق لقول الحنابلة.

وقال الشيخ الطوسي باختلاف الحكم في البلاد المتباعدة دون المتقاربة قال: ان كانت البلاد متقاربة لا تختلف في المطالع كبغداد والبصرة كان حكمها واحداً، وان تباعدت كبغداد ومصر كان لكل بلد حكم نفسه وهو مشهور

---

(1) مستند العروة الوثقى/كتاب الصوم/١٢٢/٢.

الشافعية.

ترى هل يمكن الإحتجاج بوحدة المسلمين في التقيد وعدم الفرقة والتشتت وانه يستدعي ان يكون العيد في الأمصار وان تباعدت واحداً؟ الجواب لا، فمتى ما ثبت الحكم الشرعي يستلزم اختصاص كل بلد برؤيته او الرؤية القريبة منه لا يبقى مجال لإحتمال الفرقة للتسليم بتعدد الموضوع والحكم.

لقد تقاربت بلدان العالم بالإتصالات السريعة المرئية والمسموعة وصار خبر الهلال يعرف في ارجاء الأرض بلحظات، ولكن القمر لم يخرج من تحت الشعاع في جميع الأمصار بنفس السرعة الصناعية التي اصبح ينقل فيها خبره، وسيبقى على حاله يجسد آية كونية تثبت عظيم صنعه تعالى وعجز الإنسان عن التغيير فيما هو مختص بقدرته تعالى فلا غرابة ان تكون وحدة الأفق واختلاف الحكم فيها مسألة عامة البلوى، او ان تصبح النفوس تميل الى وحدة الحكم مع اختلاف الآفاق خاصة وان شطراً من الفقهاء قالوا به والنصوص تؤيده.

وربما يتساءل المرء انه لو كانت هذه الوسائط الإعلامية والنقل السريع موجودة ايام النبوة والخلافة وجاء الخبر في ذات الليلة برؤية الهلال في البلاد البعيدة عن الجزيرة العربية ماذا كان الحكم في الشريعة التي بنيت على نفي الحرج وارادة التيسير والتخفيف، كما ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم "صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته" يعتبر خطاباً شرعياً لعامة المسلمين.

وهل يمكن القول بان لغة العموم والإطلاق في النصوص الخاصة بالهلال ناظرة على نحو الإعجاز واسرار الوحي الى

مـا يحـدث في هـذا الزمـان مـن التـداخل وسـرعة الإتصـال لتصـبح مسـتوعبة لـه ويكـون الحكـم مطابقـاً للواقـع الجديـد، الجـواب: ان الشـريعة لا يكـون لهـا وجهـان متباينـان ومختلفـان بحيـث يعمـل باحـدهما ويـترك الآخـر بحسـب الحـال، ولكـن قـد تكـون الأحـوال المسـتحدثة عونـاً علـى التأويـل المناسـب للنصوص وحافزاً لإتحاد الفتوى.

وكـذا بالنسـبة للإفطـار خاصـة وان مـا ورد بالإسـناد عـن محمـد بـن قـيس عـن الإمـام ابـي جعفـر عليـه السـلام: "اذا شـهد عنـد الإمـام شـاهدان انمـا رأيـا الهـلال منـذ ثلاثـين يومـاً امـر الإمـام بافطـار ذلـك اليـوم اذا كانـا شـهدا قبـل زوال الشـمس، وان شـهدا بعـد زوال الشـمس امـر الإمـام بافطـار ذلـك اليـوم وأخـر الصـلاة الى الغـد فصـلى بهـم[1]"، فـان ظـاهر الروايـة بالإضـافة الى الروايـات الأخـرى في الشـهادة مـن خـارج المصـر يفيـد قبـول شـهادة مـن رأى الهـلال في بلـد أخـر قبـل ثلاثـين يومـاً، ويعـني احتمـال قـدوم البينـة مـن بلـد بعيـد يحتـاج الى ثلاثـين يومـاً للوصـول الى البلـد والشـهادة، فتـدل علـى وجـوه الحكم مع اختلاف الافق وتباعد الأمصار.

ومـذهب الأئمـة الأربعـة جـواز الصـيام أو الإفطـار للمسـافر، وعـن أنـس قـال: كنـا نسـافر مـع الـنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم في رمضـان فمنـا الصـائم، ومنـا المفطـر، فـلا يصـيب الصـائم علـى المفطـر، ولا المفطـر علـى الصـائم، وعنـد أحمـد والشـافعي ومالـك أن مقـدار المسـافة الـتي يفطـر بهـا المسـافر مسـيرة يـومين قاصـدين بسـير الأبـل والأقـدام وهـو سـتة عشـر فرساً كما بين مكة وجدة، وقال أبو حنيفة: مسيرة ثلاثة أيام.

---

(١) الوسائل٢/١٦٣ طبعة حجرية.

دعاء الهلال

الدعاء سفر مبارك وصلة بين العبد وخالقه وباب لقضاء الحوائج ودفع الشدائد، والهلال آية كونية تخبر عن شهر جديد ووعاء زماني يحمل في ثناياه حوادث ووقائع لا يعلمها الا الله عز وجل فتأتي وظيفة الدعاء رجاء وطمعاً وخوفاً ولجوءً اليه تعالى.

ويعتبر الدعاء عند الهلال سنة مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واجماع فقهاء المسلمين على استحبابه، ولا عبرة بالقول المنفرد اذا خالف الإجماع خصوصاً مع عدم وجود دليل لديه، ولقد وردت في السنة الشريفة ادعية خاصة بالهلال وهي على نوعين:

الأولى : الدعاء المطلق: وهو الدعاء الذي ورد لكل شهر او ذكر فيه الهلال مطلقاً من غير اضافة او نسبة الى شهر معين.

روى الجمهور ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول اذا رأى الهلال:"الله اكبر، اللهم اهله علينا بالأمن والأيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربي وربك الله"[1].

وبالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام عن ابي جعفر محمد بن علي عن آبائه عليهم السلام قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأى الهلال استقبل القبلة وكبر ثم قال: هلال رشد اللهم اهله علينا بيمن وايمان، وسلامة واسلام، وهدى ومغفرة وعافية مجللة ورزق واسع انك على شيء قدير".

([1]) منتهى الطلب ٢/٥٩٤.

وعـن الحسـين بـن المختـار يرفعـه قـال: "قـال امـير المـؤمنين عليه السلام اذا رأيـت الهـلال فـلا تـبرح بـه وقـل: اللـهم انـي اسـألك خـير هـذا الشـهر وفتحـه، ونـوره ونصـره، وبركتـه وطهـوره ورزقـه، واسـألك خـير مـا فيـه وخـير مـا بعـده، واعـوذ بـك مـن شـر مـا فيـه وشـر مـا بعـده، اللـهم ادخلـه علينـا الأمـن والإيمـان والسـلامة والإسـلام والبركـة والتوفيق لما تحب وترضى.

هـذا وقـد ورد دعـاء عـن الـنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم يتضـمن حكمـة واقـراراً بالربوبيـة وثنـاءاً علـى الله عـز وجـل وبـديع صـنعه وعظـيم خلقـه وانقيـاد الخلائـق صـاغرة لمشـيئته، فقـد روي عـن الإمـام الرضـا عليه السلام عـن آبائـه علـيهم السـلام قـال: "كـان رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم اذا رأى الهـلال قـال ايهـا الخلـق المطيـع الـدائب السـريع المتصـرف في ملكـوت الجـبروت بالتقـدير ربـي وربـك الله، اللـهم اهلـه علينـا بـالأمن والإيمـان والسـلامة والاسـلام والإحسـان، وكمـا بلغتنـا اولـه فبلغنـا آخـره، واجعلـه شـهراً مباركـاً، تمحـو فيـه السـيئات وتثبـت لنـا فيـه الحسـنات، وترفع فيه الدرجات، يا عظيم الخيرات".

الثانيـة : الـدعاء الخـاص: وهـو الـوارد عنـد رؤيـة هـلال شـهر معـين كشـهر رمضـان الـذي ذكـرت لمناسـبته ادعيـة كـثيرة بالإضـافة الى ملائمـة الأدعيـة المطلقـة في الهـلال لشـهر رمضـان وغـيره مـن الشـهور، وربمـا جـاءت تلـك الأدعيـة الخاصـة بهـلال شـهر رمضـان لمـا في الشـهر المبـارك مـن خصوصـية وللحاجـة الى التوفيـق لأداء فريضـة الصـيام واستثماره بالعبادة والذكر.

بالإسـناد عـن الإمـام البـاقر عليه السلام قـال: "كـان رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم اذا اهـل هـلال شـهر رمضـان

استقبل القبلة ورفع يديه فقال: اللهم اهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والعافية المجللة، والرزق الواسع، اللهم ارزقنا صيامه وقيامه وتلاوة القرآن فيه، اللهم سلمه لنا وتسمله منا وسلمنا فيه".

وهناك ادعية اخرى مأثورة في رؤية الهلال تحكي اهمية مناسبته ومنافع المبادرة عندها بالدعاء والتضرع.

ولرؤية الهلال آداب تبين موضوعيته واهميته واستثمار مناسبة رؤيته كظاهرة كونية مباركة ذكرها القرآن وحث على متابعتها ورصدها ومن تلك الآداب:

الأول : ان لا يشير الى الهلال بيده ولا بشيء من جوارحه.

الثاني : الدعاء في المكان الذي يرى فيه الهلال لقول الإمام علي عليه السلام: "لا يبرح مكانه"، ويعني ضمناً اولوية قراءة الدعاء في الليلة الأولى وان قيل بجواز تأخيره ما دام هلالاً.

الثالث : استقبال القبلة في الأمصار التي يمكن فيها مواجهة الهلال مع الإستقبال، بل ان اختيار الإستقبال في حال التقائه مع جهة الهلال، امر لا خروج فيه عن وجوه الخطاب وله شواهد فقد تخاطب شخصاً مستدبراً.

قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

لقد مر تفسير الآية الكريمة فهي مكررة من حيث اللفظ في الجملة لا يعني ذلك عدم اختلاف المضمون والمعنى لتعدد وجوه تفسير القرآن واتساع رقعة ما فيها من المعاني، وهناك

آيات كثيرة تكررت او تكرر بعض منها لحكمة الهية، وعلى رجال التفسير تقع مسؤولية البحث والتحقيق واستنباط العلل والمفاهيم وبيان الأسرار التي يتضمنها ذلك التكرار خاصة عند إختلاف نظم الآيات وسياقها فانت ترى مثلاً قوله تعالى ﴿ واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ يتكرر خمس مرات في القرآن الكريم وورد موضوع التيمم مرتين في القرآن بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ جاء ذلك في سورة النساء مرة[1]، واخرى في سورة المائدة وفي الآية السادسة منها.

وبما ان المائدة آخر سورة نزلت من القرآن فقد تضمنت ذات الآية منها علة الحكم وبيان تشريعه، وكان الأمر في آية الصيام اعلاه جامعاً فقد كانت خاتمتها وآخرها بياناً وعلة للحكم ومناسبة للشكر والتأمل في رحمته تعالى عند قراءة الآية او عند ادراك منافعها في حال السفر او المرض وتدبر ما فيها من معاني التخفيف والتسديد الى التوفيق والصلاح والحفاظ على هذه الفريضة وتعاهدها بقبول حسن.

واما القائلون بالنسخ في قوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ... ﴾ فذكروا انها تكررت بسبب تجديد الفرض وورود الناسخ بقوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ الآية.

وللتكرار فوائد مقصودة وتوكيد لثبات الحكم وربما كانت في الآية بشارة الحياة وابتعاد شبح الموت عن

---

(١) سورة النساء ٤٣.

المكلف الذي ينوي القضاء بعد الشفاء او العودة من السفر الى ما بعد شهر رمضان، وحدوث حالات فردية نادرة مخالفة لهذه القاعدة لا يضر بصحتها وسلامتها والله اعلم.

بيان الرخصة للذي يكون عليه الصوم أمراً شاقاً، فجاء الأمر للمريض والمسافر بالرخصة في الصوم، وقد إختلف الفقهاء هل الإفطار في السفر عزيمة أم رخصة، ومن أدلة العزيمة ووجوب الإفطار، (بالإسناد عن جابر بن عبد الله قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قد اجتمع الناس عليه وقد ظُلِّل عليه، فقالوا: هذا رجل صائم! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس من البر أن تَصوموا في السفر)[1].

ومنهم من قال بالتخيير بين الصيام والإفطار في حال السفر، وإستدل وأستدلوا بما ورد في الصحيحين عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حَرٍّ شديد، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة) [2].

وقال جماعة ومنهم الشافعي بأفضلية الصيام على الإفطار في السفر، وإستدل بالحديث أعلاه، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأن يصوم صوم الوصال ونهى المسلمين عنه، وقد وردت نصوص عنه بأنه أمر بالإفطار في السفر.

---

(١)تفسير الطبري ٤٧٤/٣.

(٢)تفسير ابن كثير ٥٠٣/١.

(وقالت طائفة الإفطار في السفر أفضل من الصوم، لأن الله يحب أن يؤخذ برخصة كما يحب أن يؤخذ بعزائمه ولما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن الصوم في السفر، فقال: من أفطر فحسن، ومن صام فلا جناح عليه).

حكم المسافر

مثلما يرتبط وجوب صيام شهر رمضان بالحضر والإقامة وعدم السفر كذلك فان صحته تتعلق بذات الأمر ويلتزم المكلف الذي يسافر في شهر رمضان بالقضاء أي صيام ايام اخر من غير شهر رمضان مساوية لأيام سفره وبدلاً عنها، سواء على القول بان الإفطار في السفر رخصة وهو مشهور علماء الإسلام او عزيمة وهو المروي عن اهل البيت عليهم السلام.

واختار أحمد واسحاق الفطر في السفر للحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم "ليس من البر الصيام في السفر"، ومنهم من حمل الافطار على الأفضلية.

(ونسبه الترمذي الى بعض اهل العلم من اصحاب النبي وغيرهم وقال: حتى رأى بعضهم عليه الإعادة اذا صام في السفر).

(وعن بعض اصحاب النبي ان وجد قوة فصام فحسن، وهو افضل، وهو قول سفيان الثوري ومالك بن أنس، وعبد الله بن المبارك)[1].

والسفر هو حال الإنسان وتنقله وترحاله في مقابل

---

(1) سنن الترمذي ٣/٩٠.

الحضر واستقراره في وطنه ومحل اقامته الشرعي وهو مسكن الإنسان وعائلته او المكان الذي اتخذه محل اقامة دائمة او مقراً مؤقتاً ولمدة من الزمن ولكن ليست بالقليلة.

فالذي يتخذ بلداً موطناً من اجل مواصلة دراسته فيها - كما في الطالب الجامعي- فانه يعتبر بحكم الوطن له ولمن هو تابع له في السكنى فيها طيلة مدة المكوث للدراسة، ولكن لا تنطبق عليه احكام الوطن بعد انقضاء مدة الدراسة ومغادرته وترك الإقامة فيه، ويجوز ان يكون للإنسان منزلان او اكثر تتوفر فيهما شروط واحكام الوطن او يقيم في كل منهما شطرا من سنته، ولا يشترط ان يكون البلد مسقط رأس الإنسان او وجود ملك له فيه.

والظاهر انطباق أحكام الوطن على الوطن الشرعي وهو البلد الذي سكنه المكلف ستة أشهر أو أكثر عن قصد ونية ولا يزال له فيه منزل فيتم صلاته ويصوم الفريضة كلما وصل الى هذا البلد.

ويجب أن يكون السفر الذي يفطر فيه الصائم سفرا شرعيا وهو ما تؤدي فيه الصلاة قصرا بأن لا تقل مسافته عن ثمانية فراسخ وتساوي اربعة وأربعين كيلومتر والفرسخ ثلاثة اميال والميل اربعة آلاف ذراع (والذراع من المرفق الى اطراف الأصابع من يد الإنسان)، ويجوز ان تكون المسافة ملفقة أي ان نصفها ذهاب ونصفها اياب سواء اتصل ايابه بذهابه او انفصل عنه بمبيت ليلة او اكثر مع عدم تخلل اقامة لاغية لعنوان السفر.

وعند الشافعي يكون السفر الموجب للإفطارحسناً ولستة

عشر فرسخاً، وعند أبي حنيفة اربعة وعشرين فرسخاً[١].

ومن خصائص السفر الشرعي ان تكون المسافة المحددة اعلاه خالية من قواطع السفر الثلاثة وهي:

الأولى : المرور بالوطن.

الثانية : اقامة عشرة ايام متوالية بنية وعزم.

الثالثة : المكث في مكان واحد ثلاثين يوماً متوالية من غير نية وعزم على البقاء فيه.

واذا كان السفر بدأ او انتهى في يوم معين فالمناط فيه هو وقت الزوال، فاذا سافر قبل الزوال فعليه الإفطار، واذا بدأ في سفره وخروجه من بلده بعد الزوال فلا يجوز الإفطار، وعليه اتمام صومه لأن عامة النهار انقضت عند الزوال.

اما بخصوص العودة الى بلده او محل اقامته فان دخل بلده او مكان اقامته قبل الزوال ولم يكن قد اكل او شرب او تناول مفطراً آخر يجب عليه الصيام مجدداً للنية او انه بالخيار لما ورد في صحيحة محمد بن مسلم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث قال: فاذا دخل ارضا قبل طلوع الفجر وهو يريد الإقامة فعليه صوم ذلك اليوم، وان دخل بعد طلوع الفجر فلا صيام عليه، وان شاء صام[٢]؛ ان تلبسه تلبسه بالسفر حال طلوع الفجر نفى الحكم بوجوب الصوم واحال الأمر الى ارادة المكلف بحاله وآثار السفر على نفسه وبدنه.

وتعتبر الآية اختصاص الصوم بالسليم الحاضر، وذكر المرض جاء باعتباره عنواناً للضرر والفرد الغالب والظاهر منه، وجاءت الأخبار بالمعنى الأعم وان المدار على الضرر

(١) التبيان في تفسير القرآن ١٢٨/٢.

(٢) الوسائل ١٥٢/٢ طبعة حجرية.

مطلقاً، فيفطر الذي يضر الصوم بدنه ولا يشمل من كان مصاباً بامر عارض لا يلبث ان يزول كصداع مؤقت في رأسه او نحو ذلك من الأعراض المرضية الطفيفة، وان كان من المرض حسب لسان اللغة واصطلاح الأطباء خاصة بمفاهيم الطب الحديثة والتي تدخل ضمن العرف. أي انه يخرج بالتخصص لعدم منافاته للصوم، وتسري احكام هذه الرخصة وتأجيل الأداء الى كل من يضره الصوم كمن به قرح او جرح يؤدي الصوم الى عدم اندماله وتأخر الشفاء منه ونحوها من وجوه الضرر الذي لا يحتمل عادة.

وفي مبحث المشتق اعتبر استعماله في ذات لم تتلبس بعد بالمبدأ ولكنه سيتلبس به فيما بعد بانه مجاز، كما في الذي يدرس الهندسة فنطلق عليه لقب مهندس مجازاً، اما في الصوم فالذي يسبب له الصيام المرض تشمله احكام الرخصة والعفو من الصيام وان لم يكن متلبساً بالمرض حقيقة عند الشروع بالصيام.

صوم الصبي مدرسة اخلاقية

لا يجب الصوم على المكلف الا عند الإحتلام[1]، او بلوغ سن الوجوب وهو خمس عشرة سنة واتمامها بالنسبة للرجال على الأظهر وتسع في النساء او انبات الشعر، والبلوغ مع العقل هما عنوانا التكليف في العبادات والمخاطب في الأوامر والنواهي هو البالغ العاقل وهو الذي يشمله موضوع التكليف هذا الى جانب حديث رفع القلم عن الصبي كما وان الصوم عبادة تتطلب قدرة في تحملها وهي شرط في وجوبها كما تقدم وغير البالغ قد يفتقر اليها،

---

(١) الإحتلام: خروج المني وهي علامة للبلوغ وان كان عمر الصبي اقل من خمسة عشر عشر عاماً، والإنبات: نبات الشعر الخشن على العانة.

ولـو صـام الصـبي المميـز فصـومه صـحيح لشـرعية عبـادات الصـبي واسـتحبابها خاصـة وان الإسـتحباب لا يرفعـه حـديث الرفـع الـذي يتعلـق برفـع الوجـوب فقـط والعقـاب، ويـأتي الإستحباب من باب التمرين والتأديب.

عـن معاويـة بـن وهـب في حـديث قـال: "سـألت ابـا عبـد الله الصـادق عليه السلام في كـم يؤخـذ الصـبي بالصـيام، قـال مـا بينـه وبـين خمـس عشـرة سـنة واربـع عشـرة سـنة فـان هـو صـام قبـل ذلـك فدعه ولقد صام ابني فلان ذلك فتركته".

وفي صـحيحة الحلـبي عـن الإمـام جعفـر الصـادق عليه السلام قـال: "انـا نـأمر صـبياننا بالصـيام اذا كـانوا بـني سـبع سـنين بمـا اطـاقوا مـن صـيام اليـوم فـان كـان الى نصـف النهـار او اكثـر مـن ذلـك او اقـل فـاذا غلـبهم العطـش والغـرث[1] افطـروا حتـى يتعـودوا الصـوم ويطيقـوه، فمـروا صـبيانكم بالصـيام اذا كـانوا بسـن تسـع سـنين مـا اطـاقوا مـن صـيام اليـوم فـاذا غلـبهم العطـش افطروا"[2].

وتظهـر الاخبـار تشـجيع الصـبي واعانتـه في المبـادرة الى الصـيام طواعيـة علـى نحـو الموجبـة الجزئيـة شـطراً مـن النهـار للتربيـة وتنميـة ملكـة التحمـل وارادة الإنصـياع والإسـتعداد لتلقـي الأوامـر الإلهيـة في خصـوص التكليـف بالصـيام، وقـد تعـرض في علـم الأصـول لمسـألة الأمـر بـالأمر بالشـيء وانـه امـر بـذلك الشـيء لـو كـان الغـرض حصـوله مـع اخـذه بالروايـة علـى نحـو الطريقيـة وتوسـيط الغـير لتبليـغ امـره وتبادرهـا عرفـاً عنـد الشك ايضاً لتكون الثمرة المترتبة هي شرعية عبادات الصبي.

---

(١) الغرث: الجوع، وغرث على وزن فرح أي جاع فهو غرثان وقوم غرثى وغراثى.
(٢) الوسائل١٥٧/٢ طبعة حجرية.

لقد اضفى الصيام على شهر رمضان بركة ورونقاً ايمانياً اعطى ايامه مسحة خاصة ذات نكهة عبادية تنير طرق الهداية ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1]. وفضل شهر رمضان لا ينحصر في ايامه وساعات نهاره بل يتعداها الى لياليه التي يعيشها الصائمون في غبطة وفرح وادراك لما في الدنيا من نعم بالإضافة لما في ساعاتها من المضاعفة في الثواب لمن استثمرها بالدعاء والعبادة.

يعتبر الصيام أمانة عند الانسان وشاهداً على أهليته للخلافة في الارض مما يعني ضرورة تعاهد الأجيال لهذه الأمانة وتوارثها بالأداء الحسن، وتتجلى مقدمات هذا التوارث بتأديب وتعليم الأبناء للصيام خصوصاً وان أداء الفريضة لم ينحصر بالآباء بل يدور مدار بلوغ سن التكليف، فقد تجد الابن والأب والجد مشتركين باداء فريضة الصيام، وصوم الصبي والصبية مدرسة اخلاقية لتنمية ملكة العفة والفضيلة وحصانة من الاخلاق المذمومة، وهو مستحب نفسي وغيري أي انه مطلوب بذاته على نحو الندب والاستحباب ومقدمة مستحبة لصيام الفريضة عند البلوغ.

احكام المريض

شرع الصيام لما فيه منفعة العبد في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا يمكن ان يكلف المؤمن بالصوم وبه اذى ومشقة ضارة عليه لما تحمله الآيات القرآنية الكريمة من معاني الرحمة والرأفة والتخفيف لذا يعتبر في وجوب الصوم الأمن من

---

(١) سورة الأنفال ٨.

الضرر بسببه، فالذي يكون مصاباً بمرض اثناء شهر رمضان يشق عليه معه الصيام او يكون الصيام سبباً لمضاعفة مرضه واشتداده أو ان الصيام يسبب له مرضاً مستحدثاً وضرراً غير محتمل يسوغ له الإفطار سواء تأكد من الضرر وورود الأذى مع الصيام او احتمل ذلك بظن معتبر ونتيجة لمعرفته لحالته الصحية او نتيجة لقول الطبيب الثقة الحاذق الذي يتقن فنه ووظيفته.

وقد يحتمل الإنسان الضرر على نفسه ولكن نسبة هذا الإحتمال ضئيلة ولا ترتكز الى اساس ودليل واقعي ملموس فيكون الصيام معه مطلوباً.

ان تقدم الطب في هذا الزمان وارتقاءه وتعدد فروعه وظهور الإختصاص في مختلف ميادينه جعل الصيام وآثاره على المصابين بالأمراض ومن يتوجس الضرر ويخاف الأذى قريباً من اليقين والحقيقة وذلك باستشارة الطبيب وبيان الحال له فقد يسبب الصيام صداعاً خفيفاً ومؤقتاً او التهاباً جزئياً بسيطاً في الإذن او اللوزتين او نحو ذلك مما لا يكون مانعاً عن مزاولة الأعمال ولا تتضاعف خطورته فلا يكون مسوغاً للإفطار.

ولا يصح الصوم من المريض الذي يتضرر بالصوم او ان مرضه شديد او مقرون بالإلم، ومن ضمن القواعد الفقهية قاعدة "نفي العسر والحرج" في العبادات والأحكام وقاعدة لا ضرر ولا ضرار، لما جاءت به الشريعة من تخفيف ولسان تيسير لعمومات قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1].

---

(١) سورة الحج٧٨.

صيام المرأة ونقاؤها

المرأة مكلفة بالصيام ومشمولة بالخطاب في قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾ الذي ورد بتغليب المذكر على المؤنث مع افادته الإطلاق وعموم الجنسين، واولت الشريعة اهتماماً كبيراً بالإحوال الخاصة للمرأة والتي تتعرض فيها للحيض[١]، او الحمل او النفاس[٢]؛ إذ يتوقف وجوب الصيام وصحته بالنسبة للمرأة على انعدام دم الحيض وحال النفاس عندها طيلة نهار الصيام وساعاته، فلو صادف انقطاع الدم عند الحائض والنفساء بعد طلوع الفجر بقليل فلا صيام عليها في ذلك اليوم وكذا اذا جاءها الدم قبل الغروب ولو بدقيقة، وصيامها في هذه الحالة وحالات انعدام النقاء من الدم في جزء من اجزاء ساعات الصوم غير مطلوب ولا يسقط وجوب القضاء وصيام يوم آخر بدل ذلك اليوم.

ان قضاء الحائض والنفساء لصيامها دون صلاتها مما يستدل به على غياب القياس في المقام فالصلاة كعبادة اكبر واهم من الصيام، ويمكن القول بان الصيام عبادة موقوتة

---

(١) الحيض: في اللغة السيلان يقال حاض السيل اذا فاض، وفي الشرع هو الدم الذي ينفضه رحم امرأة بالغة سليمة ولم تصل مرحلة من الأياس ويكون دورياً كل شهر؛ ويقال حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً.
ولمعرفته واثباته طريقان؛ اما بملاحظة صفاته فهو غالباً ما يكون احمر قان ويخرج بدفق وفيه حرقة او على اساس العادة وايامها ووقتها.

(٢) النفاس: مرحلة ولادة المرأة اذا وضعت فهي نفساء؛ ودم النفاس ما يقذفه الرحم بسبب الولادة وبتنقيح المناط تكون احكامها فالحائض فتترك العبادات عنده وعليها غسل النفاس عند نقائها منه.

وفي حياة المرأة ايام اكثر خالية من الحيض وتستطيع القضاء فيها لأن ظاهر الأدلة ان ايام السنة كلها تصلح مناسبة لقضاء الصيام الا ما خرج بالدليل كيوم الفطر والأضحى بينما ايام سنتها جميعاً تتضمن صلاة يومية مفروضة، وان الصلاة لها وقت محدود فصلاة الصبح مثلاً يبدأ وقتها من طلوع الفجر وينتهي عند طلوع الشمس، فاذا كانت المرأة حائضاً ساعتها فليس من خطاب تكليفي بالأداء، وهو سبحانه يرضى بالقليل ويجزي عليه بالكثير، بالإضافة الى ورود النص واجماع علماء الإسلام، وعن عائشة: "كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأمرنا بقضاء الصوم ولا يأمرنا بقضاء الصلاة"[1].

اما المرأة الحامل وخاصة التي في الأشهر الأخيرة من حملها فان كان الصوم يضر بها او بحملها فيجوز لها الإفطار والقضاء فيما بعد وعليه الإجماع.

وتكون المرأة المرضعة في احكامها كالحامل فيجوز لها الإفطار والقضاء فيما بعد اذا كان الصيام مضراً بها او بالرضيع ويؤدي الى قلة حليبه والنقص في غذائه وتتصدق كل منهما بمد من الطعام أي ثلاثة ارباع الكيلو عن كل يوم، وبافطار الحامل والمرضع وقضائهما الصيام والإطعام قال الإمام مالك والشافعي وأحمد.

لوحدة الموضوع في المقامين - الحامل المقرب والمرضعة- وعدم الفرق بين الضرر على النفس او الحمل والولد، عن أنس بن مالك رجل من بني عبد الله ابن كعب قال: (أغارت علينا خيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيت رسول الله

(1) سنن الترمذي ١٥٤/٣.

صلى الله عليه وآله وسلم فوجدته يتغدى، فقال: ادن فكل، فقلت إني صائم، فقال: ادن احدثك عن الصوم أو الصيام: إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة، وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام والله لقد قالهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم كليهما أو أحدهما، فيا لهف نفسي أن لا أكون طعمت من طعام النبي صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وفي صحيحة محمد بن مسلم قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: الحامل المقرب والمرضع القليلة اللبن لا حرج عليهما ان تفطرا في شهر رمضان لأنهما لا تطيقان الصوم، وعليهما ان تتصدق كل واحدة منهما في كل يوم تفطر فيه بمد من طعام، وعليهما قضاء كل يوم افطرتا فيه تقضيانه بعد.

ومن الفقهاء من ذهب الى تعلق الفدية بما اذا تعلق الضرر بالحمل بالنسبة للحامل، والرضيع بالنسبة للمرضع فلا تشمل الحامل والمرضعة فيجزيهما القضاء فقط، واطلاق الحكم هو الأولى والأحوط.

الكفارة ووجوبها

تجب الكفارة مع القضاء لشهر رمضان اذا اقدم المكلف على المفطرات عن عمد واختيار، أي ان الكفارة ملازمة ومتفرعة عن حال العمد والإقدام على المفطر عن قصد ومن غير اكراه او اضطرار او مسوغ شرعي سواء كان الافطار بالأكل والشرب او الجماع لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ولأن المدار على حصول الافطار العمدي.

---

(١) سنن الترمذي ٣/١٠٩.

وقـد وردت النصـوص بوجـوب الكفـارة علـى مـن افطـر عمـداً، وادعـى بعـض الفقهـاء انصـرافها الى خصـوص الأكـل والشـرب ولكنهـا في الحقيقـة اعـم مـن ذلـك (صـحيحة جميـل بـن دراج عـن ابـي عبـدالله الصـادق عليه السلام انـه سـئل عـن رجـل افطـر يومـاً مـن شـهر رمضـان متعمـداً فقـال: ان رجـلاً اتـى الـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم فقـال هلكـت يـا رسـول الله، فقـال: ومـا لـك؟ قـال: النـار يـا رسـول الله قـال: ومـا لـك؟ قـال: وقعـت علـى اهلـي، قـال: تصـدق واسـتغفر ربـك، فقـال الرجـل: فوالـذي عظـم حقـك مـا تركـت في البيـت شـيئاً لا قلـيلاً ولا كـثيراً قـال: فـدخل رجـل مـن النـاس بمكتـل مـن تمـر فيـه عشـرون صـاعاً يكـون عشـرة اصـوع بصـاعنا[1] فقـال لـه رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم: خـذ هـذا التمـر فتصـدق بـه، فقـال يـا رسـول الله علـى مـن اتصـدق بـه وقـد اخبرتـك انـه لـيس في بـيتي قليـل ولا كـثير، قـال: فخـذه واطعمـه عيالـك واسـتغفر الله[2]، وقد ورد الحديث في الصحاح وفيه تفصيل.

ويظهـر الحـديث حـرص المسـلمين علـى اداء فريضـة الصـيام والتقيـد المطلـق بهـا واسـتيلاء الواجـب العبـادي علـى جـوارحهم وقلـوبهم، ثـم تظهـر كيفيـة الإسـتفادة مـن سماحـة الشـريعة والخلـق العظـيم للـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسلم ولتستنبط من الواقعة جملة من المسائل الفقهية.

وقـال الحنفيـة والمالكيـة ايضـاً بوجـوب القضـاء والكفـارة بتنـاول أي مفسـد مـن مفسـدات الصـوم مـن غـذاء ودواء ومـا تنقضـي بـه شـهوة الـبطن واسـتدلوا علـى ذلـك بمـا رواه الـدار قطـني عـن عـامر بـن سـعد عـن ابيـه انـه قـال: جـاء رجـل الى

(1) الصاع: ثلاث كيلو غرام تقريباً.
(2) الوسائل١٣٥/٢طبعة حجرية.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: افطرت يوماً من شهر رمضان متعمداً فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اعتق رقبة او صم شهرين متتابعين او اطعم ستين مسكيناً، وقال الشافعي واحمد بالكفارة في الجماع من المفطرات لإنحصار النص به[١].

وكفارة افطار يوم من شهر رمضان مخيرة بين عتق رقبة وصوم شهرين متتابعين واطعام ستين مسكيناً يدفع لكل مسكين مد من الطعام أي ما يساوي ثلاثة ارباع الكيلو غرام تقريباً.

ولا تجب الكفارة على الناسي الذي ليس عليه قضاء، ايضاً كما تقدم، ولا تجب على المكره وغير القاصد للفعل كمن اوجر في فمه بغير ارادته واختياره، وهل تجب الكفارة على الجاهل بالحكم والمقصر والقاصر المشهور وجوبها احتياطاً كما في حالة شرب الصائم الدواء اعتقاداً منه بانه لا يضر صومه وانه ليس من المأكول والمشروب المتعارف، وقيل بان الأقوى عدم وجوبها في الجاهل القاصر والمقصر لصحيحة عبد الصمد: أي رجل ركب امراً بجهالة فلا شيء عليه[٢].

وتدفع الكفارة الى الفقراء وعيالاتهم او اشباعهم عند الإطعام وتكون مادة الكفارة من الحنطة او الشعير او الأرز، وجاءت موثقة اسحاق بن عمار في كفارة الإطعام قلت: فيعطيه الرجل قرابته ان كانوا محتاجين، قال نعم، ولا يجزي اعطاؤها لمن تجب نفقتهم عليه كالأب والأولاد الصغار.

---

(١) انظر سنن الترمذي ١٠٢/٣.

(٢) الوسائل ١٢٦/٩.

ولا تجـب الفوريـة في الكفـارة ووقتهـا موسـع، ولكـن لا يجـوز التـواني والتـأخير والتسـويف الخـارج عـن الحـد الا مـع عـدم الإسـتطاعة علـى الكفـارة فيلجـأ الى الإسـتغفار وهـو افضـل كفـارة ومتـى مـا اصـبح قـادراً علـى الكفـارة فعليـه ان يكفـر لقاعـدة الإشتغال.

قَضَاءُ الصِّيَامِ

القضاء دون الكفارة

القضـاء في المقـام هـو اتيـان العبـادات ذات الوقـت المحـدد مـن قبـل المكلـف بعـد خـروج وقتهـا، وهنـاك مـوارد يحكـم فيهـا بقضـاء الصـوم واتيانـه في غـير ايـام شـهر رمضـان مـن دون ان تقـترن بهـذا القضـاء كفـارة، ومنهـا الإخـلال بالنيـة وان لم يـأت بشـيء مـن المفطـرات اذ ان الصـوم عبـادة ولابـد فيهـا مـن القصـد والعزيمـة بـداعي القربـة فـلا يصـح الصـوم اذا كـان لغايـة اخـرى وان كانـت مباحـة كاتخـاذ الإمسـاك علاجـاً او للتعـود علـى الصبر.

ولا تجـب الكفـارة في المقـام لأنهـا عقوبـة تترتـب علـى تنـاول المفطـر والـذي لم يـتم، ومنهـا تنـاول المفطـر وفعلـه مـن دون تفحـص للفجـر ومراعاتـه ثـم يتـبين ان طلـوع الفجـر كـان سـابقا للفعـل، وقـد يعتقـد في المقـام ان الأصـل يقتضـي صـحة الصـوم لأن فعلـه بترخـيص الشـارع وجـائز تكليفـاً لأنـه كـان يعتقـد بقـاء الليـل ولـورود قاعـدة الإستصـحاب في المقـام، ولكـن الصـيام لم يتحقـق والإمسـاك عـن جميـع المفطـرات في مجمـوع الوقـت لم يتم لفوات بعضه.

وقـال الجمهـور بـأن مـن اكـل بظـن بقـاء الليـل وقـد طلـع الفجـر في الواقـع بطـل صـومه ويجـب عليـه القضـاء، فـان الصـوم

يفسد بتناول المفطر مع ظن الإباحة.

ومنها سبق الماء الى الجوف نتيجة ادخاله الى الفم للمضمضة والتبرد ونحوه، وقال بالقضاء الحنفية ومالك والشافعي في احد قوليه وقيدوا فساد الصوم في المقام بالمبالغة في الإستنشاق وماء المضمضة وعده الإمام احمد واصحاب الشافعي والأوزاعي بحكم الناسي وانه لا يفسد الصوم.

وظن بعضهم ان القائلين بعدم افساد الصوم استدلوا بحديث عمر قال: هششت يوماً فقبلت وانا صائم فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: صنعت اليوم امراً عظيماً، قبلت وانا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ارأيت لو تمضمضت بماء وانت صائم قلت: لا بأس بذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ففيم.

ولكن الجامع بين الأصل والفرع وجهة الشبه بينهما هو الرطوبة السارية الى فضاء الفم فالحكم فيه يختلف عن دخول الماء الى الجوف، وذكره ابو داود في باب القبلة للصائم[1]، وتكره المبالغة في المضمضة وينبغي أي يستحب للصائم ان يبزق ثلاث مرات قبل ان يبلع ريقه عند المضمضة.

<u>والمكلفون على اقسام:</u>

<u>الأولى :</u> من يجب عليه الأداء في شهر رمضان وهو السليم المعافى، والحاضر المقيم.

<u>الثانية :</u> من يجب عليه القضاء فيما بعد وهو المريض والمسافر وجاءت الأدلة بالحاق من ترك اداء فريضة الصيام بهما، سواء كان الترك عن نسيان او جهل وبعذر او بغير عذر فالملاك في الفريضة التي قد وجبت عليه والمقتضي ثابت

([1]) سنن ابي داود ٢٣٨٥.

في حقه ولا يشمل ذلك ايام الطفولة والجنون، لرفع القلم، واصل البراءة، وعدم تعلق التكليف.

الثالثة : من يجب عليه الفداء لعدم القدرة على اداء الصيام كالشيخ والشيخة.

وللقضاء شروط تتعلق بفوات اداء الصوم وهي البلوغ والعقل والإسلام، فليس على البالغ الذكر تأدية ما فاته قبل اكماله خمس عشرة من العمر، ولا الأنثى قبل اتمامها تسع سنوات هلالية كذلك لا يجب القضاء على من فاته الصوم بسبب اصابته بالجنون اذ ان الأمر الأول بالتكليف لم يتعلق به لإفتقاره الى شرط العقل في حينه، حتى على القول بان القضاء بامر جديد الذي موضوعه الفوت فلم يوجه اليه خطاب ولا تكليف ولا ملاك وكذلك بالنسبة للمغمي عليه.

وقال جماعة بالتفصيل فلا قضاء على من سبقت منه نية الصيام، ويقضي من لم تسبق منه النية وربما شمله بعضهم مطلقاً بالقضاء لإلحاقه بباب المرض واحكام قضاء المريض او لإستنباطه من وجوب قضاء ما فات من الصلاة، ذهب الى ذلك العلامة الحلي وفي صحيحة علي بن مهزيار انه سأل ابا الحسن- الإمام علي الهادي عليه السلام- عن هذه المسألة يعني مسألة المغمي عليه فقال: لا يقضي الصوم ولا الصلاة وكل ما غلب الله عليه فالله اولى بالعذر[1].

ومن انعم الله عليه بالإسلام بعد كفر فلا يجب عليه قضاء ما فاته ايام الكفر لأن الإسلام يجب ما قبله كما ورد في حديث وان قيل في سنده ضعف لأن الشهرة جابرة للحديث الضعيف السند والسيرة، وللسيرة القطعية فان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكلف من دخل الإسلام

(1) الوسائل١٥٧/٢ طبعة حجرية.

بقضاء ما فاته من صلاة او صيام وكذا المتصدون للأمر وحفظ الشريعة واحكامها.

والمرتد يجب عليه قضاء ما فاته ايام ردته سواء كان ملياً او فطرياً لشموله بادلة التكليف الخاصة بالمسلمين ويكون بعد التوبة والرجوع قادراً على القضاء، كما يجب على الحائض والنفساء قضاء ما فاتهما في حال الحيض والنفاس وكذلك المستحاضة ان فاتها الأداء بلا خلاف في ذلك وقد وردت نصوص كثيرة ناطقة به.

ويقضي من كان نائماً طيلة ساعات الصوم ومن غير نية مسبقة بالصيام لبطلان الصوم الذي لم تقارنه النية والا فان النوم لا يضر بالصوم كعبادة ولا يعد منافياً لها، وعن حفصة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من لم يُجْمع الصيام قبل الفجر، فلا صيام له"[1].

كيفية قضاء الصيام

القضاء في الصيام هو صيام يوم بدل يوم من شهر رمضان افطره المكلف ليكون عوضاً عما فاته لثبوت المقتضي وزوال المانع ووجود الملاك الملزم، وقد يفوت الإنسان صيام ايام عديدة من شهر رمضان او ربما فوات صيام شهر رمضان لأكثر من سنة سواء كان لعذر كالمرض او السفر او من غير عذر، والقاعدة هي ان القضاء كالأداء أي قضاء يوم عن كل يوم ويجب عليه صيامه مع الكفارة ان كانت واجبة في الحكم ولا تجب عليه المبادرة الفورية الى القضاء حال ارتفاع المانع، لإطلاقات الأدلة من القرآن الكريم والسنة

---

(١) سنن الترمذي ١٠٨/٣.

المطهــرة الــتي شملــت وجــوه المبــادرة وغيرهــا، وفي صــحيحة حفــص بــن الــبحتري عــن الإمــام الصــادق عليه السلام قــال: كــن نســاء الــنبي محمــد صــلى الله عليــه وآلــه وســلم اذا كــان علــيهن صــيام اخــرن ذلــك الى شــعبان- الى ان قــال: فــاذا كــان شــعبان صــمن وصام معهن[١].

وروى مثلــه احمــد والترمــذي عــن عائشــة[٢]، وقــال بــه اهــل العلــم لإقــراره مــن قبــل الــنبي صــلى الله عليــه وآلــه وســلم وقــال الشــافعية بلــزوم الفوريــة في القضــاء لمــن تعمــد الإفطــار بغــير عذر.

والتتــابع في ايــام قضــاء الصــيام ايضــاً لا يجــب، ولكنــه امــر مســتحب ومستحســن باعتبــاره وفــاء لــدين، وديــن الله اولى ان يــؤدى وليطمــئن العبــد الى وفائــه بالتزامــه وليكــون مســتعداً دائمــاً للحســاب كمــا هــو عرضــة للمــوت في كــل لحظــة مــن لحظات ايام عمره.

وقــد ورد هــذا التفصــيل في صــحيحة عبــد الله بــن ســنان عــن الإمــام الصــادق عليه السلام قــال: مــن افطــر شــيئاً مــن شــهر رمضــان في عــذر فــان قضــاه متتابعــاً كــان افضــل وان قضــاه متفرقــاً فحسن[٣].

وكــذلك الأئمــة الأربعــة لم يقولــوا بلــزوم التتــابع واســتدلوا بقولــه تعــالى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾، ولا يجــب في القضــاء تعــيين الأيــام الــتي فــات صــيامها ولا يجــب الترتيــب، أي ان الــذي يقضــي

(١) الوسائل ١٧٢/٢ طبعة حجرية.
(٢) سنن الترمذي ١٥٢/٢.
(٣) الوسائل ١٧٢/٢ طبعة حجرية.

صيامه لا يجب عليه ان يخصص يوماً محدداً او مرتباً مما فاته، فلا يلزمه القول او النية بان هذا اليوم من القضاء بدل اليوم الأول من شهر رمضان الذي افطرته، وهذا بدل اليوم العاشر منه للسنة كذا مثلاً، لخلو الأدلة من الإشارة الى التعيين او الترتيب، ولان الفائت غير متميز عن غيره ولا يتصف بخصوصية، وانما هي افراد من طبيعة واحدة اشتغلت الذمة بها من غير امتياز ولا فروق خاصة لذا يكفي في القضاء القصد الى ذات الطبيعة من غير حاجة الى اعتبار التعيين او الترتيب، وهو باب من ابواب التيسير والتخفيف.

ولو كان على المكلف وجوب قضاء اكثر من شهر كما لو فاته صيام رمضانين او اكثر فيجوز له قضاء اللاحق قبل ما سبقه لما يمتاز به من خصوصية خارجية عن ذات الطبيعة لمقام الكفارة وثبوتها.

ومن فاته صيام شهر رمضان او بعضه نتيجة المرض واستمر هذا العذر قائماً حتى دخول شهر رمضان من قابل سقط منه قضاء ذلك الشهر، وقد وردت فيه نصوص متواترة والنصوص في المقام اقرب الى التفسير والبيان ولأن المرض استوعب ايام الأداء في شهر رمضان والقضاء في بقية ايام السنة.

واذا كان السفر المتصل هو العذر او ان المرض لم يستمر وتحقق البرء والشفاء منه قبل حلول شهر رمضان فانه يجب القضاء اذ ان النصوص المذكورة قيدت الإطلاق في مورد استمرار المرض.

بحث أصولي

ينقسم الواجب إلى عدة تقسيمات إستقراءً وبحسب اللحاظ، فهو ينقسم بإعتبار الوقت إلى قسمين:

الأول: الواجب المؤقت وهو الذي يكون له وقت مخصوص لإتيانه وهو على شعبتين:

الأولى: الواجب الموسع الذي يكون الوقت فيه أعم من أداء الصلاة يستغرق بضع دقائق منها وسمي الواجب الموسع لما فيه من التوسعة على المكلف في الوقت مع الحفاظ على الكبرى الكلية في الواجب وهي المنع من تركه، ليكون للمكلف التخيير في الأداء ضمن أفراد الزمان الطولية من ذات الوقت الذي له حدان، فيجوز صيام بعض أيام السفر في شوال وأخرى في ذي القعدة أو في شعبان مثلاً وذهب عدد من العلماء إلى وجوب التتابع في القضاء.

ولا يجوز فيه التفريق، لأن الأداء كان متتابعاً، ولكن الآية جاءت بالإطلاق والتنكير(أياماً أخر) يريد الله بكم اليسر ليكون من اليسر التفريق في الأيام، إنما كان التتابع في شهر رمضان لأنه واجب أصلي مضيق مكتوب على المسلمين في شهر رمضان على نحو الخصوص، وتصومه الأمة في زمان وفعل عام يلتقي فيه الغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والرجل والمرأة.

(وبالإسناد عن غاضرة بن عُروْة الفُقَيْمي، حدثني أبي عُرْوَة، قال: كنا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم فخرج رَجلا يَقْطُرُ رأسه من وضوء أو غسل، فصلى، فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه: علينا حرج في كذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن دين الله في يسر" ثلاثًا

يقولها)[١].

الثانية: الواجب المضيق، وهو الذي يكون منطبقاً وموافقاً لوقته المعين له من غير زيادة في الوقت، مثل الوقوف في عرفات من الزوال إلى الغروب، ومثل الصيام الذي هو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قال تعالى ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٢].

الثاني: الواجب غير المؤقت، وهو الذي ليس له وقت مخصوص يؤدي فيه مثل قضاء الصيام بالنسبة للمريض والمسافر الذي جاءت به آية البحث(فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) وهو على شعبتين:

الأولى: الواجب الفوري الذي لا يجوز تأخيره مثل رد السلام، والأمر بالمعروف في بعض الموارد.

الثانية: الواجب غير الفوري: وهو الذي يجوز تأخيره عن أول الوقت كدفع الزكاة للمستحق وقضاء الصوم إذ يجوز تأخيره عن أول البرئ، وإنقضاء السفر والصيام واجب مؤقت مضيق، نعم يكون حكم المريض والمسافر في القضاء موسعاً لأنه بديل جاء القرآن بالتخيير فيه بين أيام السنة الأخرى بقوله تعالى(فعدة من أيام أخر) وهل يمكن إعتبار القضاء كبدل واجباً غير مؤقت وغير فوري الجواب نعم، وهو رحمة إضافية من الله عز وجل، ومن عمومات قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

---

(١)تفسير ابن كثير ٥٠٤/١.

(٢)سورة البقرة ١٨٧.

تفسير قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

ارادته تعالى مشيئته وقضاؤه، فاذا اراد شيئاً اوجده واحدثه لأنه تعالى لا يهم ولا يفكر فهو العالم بشؤون الخلق واحوال المكلفين، وضمن هذه المعاني يجب النظر الى حكمة الإفطار في حالتي السفر والمرض أي بتلمس حالات التخفيف واعتبار ذلك الإفطار التزاماً باحكامه تعالى وقبولاً لهباته وتنعماً بفضله وما امر به وسنه من ابواب التخفيف المتعلق بالمكلف وبالمكلف به، واسباب اليسر والسهولة وسد دروب الضيق وطرد المشقة في وجوه العبادة واداء الفرائض، وتتضمن الآية تعاهداً لفريضة الصوم ورحمة وتوفيقاً لأدائها من قبل المسلمين كي يقبلوا عليها في حال الإستعداد والعافية في الحضر، فلو كان الصيام مسنوناً في السفر والمرض لنجمت عن ذلك معاناة وحرج قد تمتد آثاره السلبية الى الأداء النوعي والفردي الإجمالي للفريضة.

ان الترخيص للمسافر والمريض بالإفطار جزء وشعبة من مطلق اليسر الذي يطبع احكام الشريعة وموارد التخفيف فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وفي القواعد الفقهية قاعدة تسمى نفي العسر والحرج مستقرأة من قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

والآية ترغيب بالإفطار في السفر وحال المرض ومنع للتشديد على النفس وهي ايضاً حث على الإلتزام بالصيام في الحضر وعند السلامة من المرض، وفي الحديث ان الله يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه[1]، والآية

---

(1) الدر المنثور ٤٤٦/١.

تخفيف ضمن دائرة القدرة والإطاقة وهي نهي عن حمل النفس على المشقة والحرج وخلافاً لما قاله المجبرة، وفي الآية مسائل:

الأولى: من اليسر انحصار الصوم بمدة معينة وهي شهر واحد وكون هذا الشهر معلوماً ظاهراً للعيان ومتحداً في كافة ارجاء الأرض.

الثانية: ان الصيام باب للرزق الكريم وفرصة للدعاء والإنقطاع الى الله تعالى فتكون ارادة اليسر بالواسطة فبسبب ادائكم لفريضة الصوم تقضى الحوائج ويتغشى التيسير الأعمال ويتجدد الأمل بتحقق الرغائب والآمال.

الثالثة: تدل الآية في مفهومها على المنع من التشديد على النفس والحرص على اداء الفرائض وإتيان المستحبات مع عدم توفر كامل اسبابها وشرائطها.

والآية حجة في قدرة المكلفين على اداء الصوم كما انها مصداق وتفسير لقوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ وان التكاليف نوع يسر وخالية من العسر على نحو السالبة الكلية وليس السالبة الجزئية.

واليسر الوارد في الآية مركب يراد منه الفرد والنوع أي اليسر على كل مكلف على نحو العموم البدلي، واليسر للمسلمين عموماً في أداء الصيام، كما ان الآية قاعدة كلية مباركة لا تنحصر بفريضة الصوم ولا باب العبادات وحده بل هي شاملة لوجوه العبادات والمعاملات والاحكام ودعوة للفقهاء للإمتناع عن التشديد على الناس في الفتوى واختيار كثرة الإحتياط، نعم ارادة اليسر واتخاذها منهجاً وضابطة كلية لا تعني التفريط بالواجبات او التهاون في ادائها.

تفسير قوله تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾

الأولى : أمر باتمام صوم ايام شهر رمضان وانجاز افراد الفريضة جميعاً كما روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في حديث: "ثم صوموا حتى تروا الهلال او تكملوا العدة"[1].

الثانية : ان اكمال صيام الشهر واتمامه يتعلق ايضاً بقضاء ايام السفر والمرض.

الثالثة : في الآية اشارة وتنبيه الى عدم التفريط بقضائها وتوكيد على عدها واحصائها، والحرص والاهتمام باتمام ما يجب من ايام الصيام سواء كان شهر رمضان تسعة وعشرين او ثلاثين يوماً.

الرابعة : لعل في الآية حثاً على اتمام الصوم في شهر رمضان باجتناب السفر فيه وفضل ذلك ظاهر بالوجدان.

الخامسة : للمؤمن في اكمال فريضة الصوم واتمام ايامه من غير تهاون او تسويف.

السادسة : قال بعضهم ان الآية تدل على ان شهر رمضان تام ولا ينقص ابداً، والحقيقة انه خاضع لحكمته تعالى في نظام الطبيعة فلا يختلف عن بقية الشهور في عدد ايامه وفيه نصوص عديدة ومباحث عقلية وفلكية وقد تقدم الكلام فيه.

السابعة : من التخفيف والتيسير الأمر باتمام العدة لما تتضمنه من تدارك الإفطار في السفر والمرض.

الثامنة : في الآية اخبار عن الحاق القضاء بالأداء اذا كان

---

(1) سنن ابي داود ٢٩٨/٢.

عن عذر ولوصفه بانه متمم للعدة.

التاسعة : كأن اكمال العدة خارج بالتخصيص من مسألة اليسر والتخفيف لأنها واجب وجزء من الصيام وان كانت افراده غير ارتباطية، فالآية تنهى عن التفريط في اليوم الأخير من الشهر او التهاون في حكمه وهو من التخفيف المخالف للتخفيف واليسر.

تفسير قوله تعالى ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾

بما ان معنى التكبير هو التعظيم والإجلال، فان الآية توصي باتخاذ شهر رمضان وختامه باداء فريضة الصيام مناسبة لتعظيم الله تعالى واجلاله وتنزيهه وشكره لعظيم نعمه واحسانه على الناس وهدايتهم في هذا الشهر المبارك سواء بنزول القرآن وما نتج وترشح وتفرع عنه من نعم لا تحصى او بالتوفيق لأداء فريضة الصوم فان اداء المسلمين لها مع ما يلازمه من استعداد وجهد وصبر ما كان ليتم لولا توفيقه تعالى ومدده وعونه وانت ترى ان العبادات تبدو صعبة وفيها مشقة اذا نظر اليها بصورة مجردة بعكس الدخول والشروع فيها اذ يحس المرء بسهولتها في الواقع ويسر بادائها الى جانب ما يملأ النفس ويغمرها من السعادة والغبطة للنجاح في امتثال امره سبحانه وتعالى، وهذه امور تجسد عظمة الباري عز وجل الذي تنقاد له النفوس، وجعلها تتجه نحو عبادته تعالى واختيار تحمل الجهد والجهاد في رضاه والإمتثال لأمره والإنجذاب لطاعته، وفي الحديث: قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشاء.

ولا ينحصر موضوع الآية في الأمر بالتكبير وقول الله اكبر وان كان هذا احد وجوهها وشعبة من الإمتثال لما تتضمنه الآية من الأمر بل تتعداه الى التعظيم القلبي واتجاه

اركان البدن الى خشية الله تعالى وتمجيده وتعظيم نعمه بالشكر والإستقامة وليكون اداء الصوم واتمامه وسيلة وسبباً للتفكر في قدرة الله عز وجل وادمان التأمل في عظيم سلطانه وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: التفكر ساعة خير من قيام ليلة[1].

ويمكن القول في المقام ان اضواءاً مباركة تنطلق من منطوق الآية لتكون بياناً وكشفاً لما تفرزه فريضة الصوم من نتائج وافعال ايمانية وما تدفعه وتطرده من المنكرات الى جانب مساهمتها في سلامة الدين ومعافاة النفوس ونشر الصلاح وكل ذلك لم يتم الا بسلطان قدرته تعالى وحكمته وارادته، فيجب تعظيمه قلباً واعتقاداً وتكبيره باللسان، والتكبير في المناسبة مندوب، ووردت فيه روايات منها ما جاء في الكافي عن سعيد النقاش قال: قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام اما في ان في الفطر تكبيراً، ولكنه مسنون قلت: واين هو؟ قال: في ليلة الفطر في المغرب والعشاء الآخرة، وفي صلاة الفجر، وفي صلاة العيد ثم يقطع قلت: كيف اقول قال: تقول الله اكبر، الله اكبر، لا اله الا الله والله اكبر، ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا وهو قول الله ولتكملوا العدة يعني الصيام ولتكبروا الله ما هداكم[2] والتكبير ان تقول: الله الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد.

وروي عن ابن عباس وزيد بن اسلم وسفيان وابن زيد ان التكبير يوم الفطر[3].

وهناك ادعية خاصة في وداع شهر رمضان، تؤكد

---

(1) الوسائل٢/٤٩٥ طبعة حجرية.

(2) تفسير الصافي، طبعة حجرية غير مرقمة.

(3) التبيان في تفسير القرآن ٢/١٢٥.

ضرورة تمجيد الله وتعظيمه وشكره على ما انعم علينا من التوفيق لأداء الفريضة التي تعتبر بحق سبيلاً سالكاً للهداية بالإضافة الى كونها عبادة واداءها شعبة من شعب الإيمان.

تفسيرقوله تعالى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

جاءت لعل لتوقع محبوب ممكن، وان نزول القرآن في شهر رمضان تشريف اهل الأرض عامة والمسلمين خاصة وليبقى دليلاً واماماً وفيضاً سماوياً وكنزاً ملكوتياً ورحمة، الى جانب تشريع الصيام في هذا الشهر الكريم والرخصة التي وردت للمسافر والمريض وغيرها من اسباب التخفيف ووجوه التيسير مناسبة متجددة للشكر، وباب لإستحقاقه، ودعوة للمبادرة الى الثناء، والحمد له تعالى على هذه النعم، مجتمعة ومنفردة، كي يثاب المؤمن الذي يبادر الى شكره تعالى ذلك ان الضمير (كم) في (لعلكم) يعود الى اهل الإيمان فهم المخاطبون بقوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... ﴾ الآية، والشكر يكون باللسان او الجنان او الأركان او بها جميعا وفي ذلك يقول الشاعر:

افادتكم النعماء مني ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحجبا[1]

والشكر فعل ينبيء عن تعظيم المنعم في رد فعل محدود لإحسانه وهو ايضاً اقرار ضمني بكونه محسناً وتصريح بالإعتراف بالنعم وحمد وثناء على موليها (وفي الحديث: الحمد رأس الشكر)[2].

---

(١) تفسير الكشاف ٤٧/١.

(٢) تفسير الكشاف ٤٧/١.

بحث عرفاني

اعتبر اهل العرفان الشكر احد اهم مقامات السالكين وعدوه من منازل الدين، وذكروا تفصيلاً لماهيته وقالوا: فيه علم، وحال، وعمل، والعلم هو معرفة المنعم ونوع النعمة التي تفضل بها، والحال عبارة عن السعادة والغبطة التي تملأ جوانح العارف بسبب تلقي النعمة ليأتي بعدها العمل، وهو السعي والإمتثال في مرضاة المنعم.

والمعروف ان مواضع الشكر غير مواضع الصبر فما يصيب الإنسان من الأذى والبلاء والمصيبة في النفس والمال يستلزم الصبر، فجاءت هذه الآية لتبين ان التكليف نعمة وانها لا تتضمن شدة بالمعنى الحقيقي بل هي رحمة ويسر وليست من النعمة المقترنة بالإبتلاء والأذى، بل انها نعمة مباركة متعددة الجوانب بلحاظ التشريع والموضوع والأداء والحكم، اذ ان التوثيق للطاعة في فريضة الصيام يستحق الشكر المركب، الشكر لذاته ولما فيه من الحجب عن المعاصي خصوصاً وانه يأتي باختيار العبد.

ان آيات كونية تتغشى ليالي شهر رمضان وأيامه ويحس المسلم خلاله من السكينة ما لم يشعر بها الا في شهر رمضان وتكون عوناً على أداء الصيام بعشق وبهجة بعد استقبال الشهر بشوق وقبول واستعداد للإمتثال.

وتعتبر ليلة القدر جزاء خاصاً للشاكرين جعلها الله في شهر رمضان لإنقطاع المسلمين الى الله تعالى بالعبادة أي ان مجيئها في شهر رمضان بالذات رحمة اضافية ودعوة للسياحة في عالم الملكوت وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال:

ذلك كل ليلة القدر يرفع ويخفض ويرزق الله غير الحياة والموت والشقاوة والسعادة فان ذلك لا يزول.

سِفرٌ لُغَوِيٌّ

شهر رمضان في اللغة

وفي سبب وعلة تسمية شهر رمضان وجوه :

الأول : وهو مأخوذ لغة من رمض الصائم يرمض اذا حر جوفه من شدة العطش[١] ولإرتماض الناس فيه من حر العطش وآثار الجوع يقال ارتمض الرجل من كذا: اشتد عليه واقلقه إذ يصبر المسلمون على ما في الصيام من امساك عن الأكل والشرب وتناول الطيبات طيلة ساعات النهار.

الثاني : مأخوذ من الرمض وهو شدة الحر[٢]وازدياد وقع حرارة الشمس على الأرض وارتفاع درجات الحرارة وظهور ذلك واضحاً في حر الحجارة، يقال: رمِض الإنسان يرمض رمضاً: اذا مضى على الرمضاء واحترقت قدماه من شدة الحر، ويقال ايضاً: رمض يومنا-بالكسر- أي اشتد حره وارمض الناس الحر أي اشتد عليهم، ورمض الفصال: أي تشتد حرارة الرمضاء وهو الرمل فتبرك الفصال- جمع فصيل وهو ولد الناقة- من شدة حرها واحراقها اخفافها وفراسنها.

الثالث : سمي هذا الشهر شهر رمضان لأن وجوب صومه صادف شدة الحر حكاه الأصمعي، وقيل لما نقلوا أسماء الشهور من اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي هي فيها كما في شهر ربيع الأول والثاني ولموافقة شهر رمضان

(١) لسان العرب ١٦١/٧.

(٢) لسان العرب ١٦٠/٧.

وايامه رمض الحر وشدة وطأته سمي به.

الرابــع : مــأخوذ مــن قــول القائــل رمضــت النصــل رمضــاً أي جعلتــه بــين حجــرين ثــم دققتــه لــيرق، فســمي هــذا الشــهر رمضــان لأن العــرب كانــت تــرمض أســلحتها أيامــه للإنتفــاع منهــا في شــوال وقبــل دخــول الأشــهر الحــرم ذي القعــدة وذي الحجــة ومحــرم، حكــي هــذا القــول عــن الأزهــري ، وعليــه يكــون الإسم موجوداً قبل الإسلام.

الخــامس : مشــتق مــن الــرمض وهــو المطــر يــأتي قبــل الخريــف، فيجــد الأرض حــارة (والرمضــي مــن الســحاب والمطــر هــو مــا كــان في آخــر القــيض واول الخريــف)[1]، وكانــت العرب تقسم السنة الى أربعة فصول :

الأول : الربيــع وهــو الــذي يســميه النــاس في هــذه الأزمنــة الخريــف وسمتــه العــرب ربيعــاً لأن بــدايات المطــر تكــون في ايامــه، ويســمى ربيــع المــاء والأمطــار وهــو الــذي يســبق الشــتاء وربيــع الكــلأ ويجمــع أربعــة، ويســمى خريفــاً لأن الثمــار تخــرف فيه، أي تقطع وتمييزاً له عن فصل الربيع .

الثاني : الشتاء.

الثالث : الربيع وهو ربيع النبات لبلوغ النبات فيه منتهاه.

الرابع : فصل الصيف.

وحكــى الأزهــري قــولاً آخــر فيــه فصــل الصــيف بــدل الربيــع والقيظ بدل الصيف.

وقــال بعضــهم ان العــرب تجعــل الســنة ســتة ازمنــة شــهرين منهــا الربيــع الأول، وشــهرين صــيف، وشــهرين قــيظ، وشــهرين ربيع الثاني، وشهرين خريف، وشهرين شتاء.

---

(١) القاموس المحيط ٣٣٣/٢.

وكما يدرأ المطر الرمضي سخونة الشمس فان شهر رمضان وصيامه يغسل الأبدان من الذنوب والآثام ويدرأ عن المسلم حر جهنم هذا وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: انما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب.

لقد كان اثر الزمان واحوال الأيام واضحة في اختيار اسماء الشهور فمثلما كانت تسمية شهر رمضان بسبب شدة الحر وازدياد حرارة الشمس ورمض الأرض، كذلك فشوال لما شالت الإبل باذنابها للطروق، وذو القعدة لما ذللوا القعدان للركوب، ولقعود الناس عن الغزو والقتال لأنه شهر حرام.

وذو الحجة لأن فيه حج البيت الحرام، قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، والمحرم لما منعوا فيه القتال وحرموه في ايامه، وقيل حرموا فيه ايضاً التجارة.

وصفر لما تركوا بيوت غيرهم صفراً وخالية بسبب الغزو بعد انقضاء الأشهر الحرم المتتالية ذي القعدة وذي الحجة ومحرم قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا

(١) سورة البقرة ١٩٧.

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، ليكون من الإعجاز في ذكر شهر رمضان في القرآن ضبط الأشهر الأخرى وتعاقبها وأنها لا تزيد على اثني عشر شهراً ولا تنقص عنها ثم ذكرت الآية الأشهر الحرم فلابد من تعيينها، ويكون مجئ شهر رمضان في أيام الشتاء الباردة وذات الساعات القصيرة تخفيفاً عن المؤمنين والمؤمنات.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الصِّيَامُ فِي الشِّتَاءِ هِيَ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ[2].

ويكون صيام رمضان في الحر إمتحانا وزيادة في الأجر وقال الحسن: ان عيسى بن مريم اصابه الحر وهو صائم حتى اشتد به فقالوا يا روح الله وكلمته لو بنينا لك بيتا تسكنه ويكنك من الحر والبرد قال لا حاجة لي به فالحوا عليه فأذن لهم فبنوا عريشا.

فلما دخله فنظر إليه قال سبحان الله اعادي انا انما اردت بيتا إذا جلست اصاب رأسي سقفه وإذا اضطجعت اصاب جنبي حائطه ولا حاجة لي بهذا فلم يسكن بعدها ظل بيت حتى رفع[3].

ليأتي الإسلام فيعم السلام أرجاء الجزيرة ويمتنع الناس عن الغزو والثأر ويسود قانون القصاص الذي هو زاجر عن القتال والقتل، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة ٣٦.
(٢) تفسير الثعالبي ١١١/٢ .
(٣) تأريخ دمشق ٤١٧/٤٧ .
(٤) سورة البقرة ١٩٧.

وشهر ربيع لما اربعت الأرض وبدأ موسم الأمطار.

وجمادي لما جمد الماء[١].

ورجب لما ارجبوا الشجر وهو تدعيمها اذا كثر حملها لئلا تنكسر اغصانها وقيل وضع الشوك حولها لئلا يصل اليه اكل فلا تسرق.

وسمي رجب - بفتح الجيم وكسرها هو الأكثر- لتعظيمهم له في الجاهلية، وعدم استحلال القتال فيه وهذا القول هو الأرجح.

وشعبان لأنه شعب أي ظهر بين شهري رمضان ورجب، وقيل لأنهم كانوا فيه يتشعبون لطلب الماء او في الغارات بعد انقضاء رجب.

ورمضان مصدر رمض وقال بعضهم ان جعله مصدراً يحتاج الى صحة نقل ففعلان ليس مصدر (فعل) اللازم فلا يكون ذلك الا شاذاً ، وعده مرتجلاً أولى من جعله منقولاً.

ورمضان غير منصرف للعلمية ولزيادة الألف والنون.

وجمع (المُحَرَّم مُحَرَّمات، وصفر أصْفار، وربيع يقال فيه: شهور ربيع، وكذلك رمضان يقال فيه: شهور رمضان ورمضانات أيضاً، ويقال في جمادى: جُمَاديات، وفي رجب أرْجاب، وفي شعبان شَعْبَانات، وفي شوّال شَوّالات، وشواويل، ويقال في الباقيين ذوات القَعْدَة وذوات الحِجَّة، والسماء إذا كانت المعروفة فجمعها سَمَوات، وإذا كانت المطر فجمعها سُمِيّ، وربيع الكلأ يجمع أربِعة، وربيع الجدول يجمع أربعاء)[٢]، والمراد من الربيع أي الجدول

---

(١) مجمع البحرين ٣٣٠ طبعة حجرية.

(٢) المزهر ٢٦٥/١.

الصغير .

لقد جرت العادة على ذكر الشهور كلها مجردة من لفظ شهر الا شهري ربيع وشهر رمضان هذا مع جواز اضافة لفظ شهر الى اسماء الشهور جميعها.

وفي التزام العرب باضافة شهر الى هذه الأشهر الثلاثة، أقوال :

الأول : ان اضافة شهر مختص بما في اوله راء وهو ربيع الأول وربيع الآخر ورمضان ويشكل عليه بان شهر (رجب) يبدأ بحرف الراء.

الثاني : خصت العرب هذه الأشهر الثلاثة بذكر شهر معها للدلالة على موضع الاسم كما يقال ذو يزن وذو كلاع فجاءت زيادة (ذي) للدلالة على الإسم، والمعنى صاحب هذا الاسم.

الثالث : العلم هو مجموع المضاف والمضاف اليه في قولك شهر رمضان وشهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، وفي البواقي لا يضاف اليه، فلذلك حسنت اضافة شهر اليها ولكن دعوى العلم في المضاف والمضاف اليه في هذه الأشهر دون غيرها لا دليل عليها في اللغة.

الرابع : قال بعضهم ان الضابط ما كان من اسمائها اسما للشهر وصفة قامت مقام الاسم فهو الذي لا يجوز ان يضاف اليه الشهر ولا يقتضي الأمر ذكره معه كالمحرم الذي يعني الشهر المحرم وكصفر وهو اسم معرفة كزيد، ورجب وجمادي وهما معرفة وليسا بصفة، وشوال وهو صفة جرت مجرى الاسم وصارت معرفة، وذو القعدة وهو صفة قامت مقام الموصوف.

واما الربيعان ورمضان فليست باسماء للشهر ولا

صفات له فلابد من اضافة، وذكر تعليلاً له ان رمضان فعلان من الرمض كقولك شهر الغليان وليس الغليان بالشهر، ولكن الشهر شهر الغليان، اما ربيع فهو اسم للغيث وليس الغيث بالشهر .

وقال أبو فراس الحمداني :

نظُر إلى زَهْرِ الربيعِ ... والماءِ في بِرَك البديع

إذا الرياحُ جرَتْ علي ... هِ في الذّهابِ وفي الرجوعِ

نثَرَتْ على بِيض الصَّفَا ... ئح بيننا حَلَق الدروعِ[1].

والربيع نعمة وتذكير بلزوم الشكر لله عز وجل إذ تخضر الأرض ، وتنضج الثمار ، ويحصل الخصب.

(والربيع يَنْعَش الناس، أي، يُخصبهم ، قال رؤبة : أنعشني منه بسيب مُفْعِمِ)[2].

ومن أمثلة العرب تنفس الربيع ، والربيع شباب الزمان ، والشكر نسيم النعيم[3].

والظاهر ان العرب والمسلمين حرصوا على ذكر لفظ شهر مع ربيع لإشتراك الأخير بين الشهر والفصل فالتزم بالإتيان بلفظ شهر مع اسم الشهر لبيان الفرق بينهما ولمنع الإلتباس.

اما بالنسبة لشهر رمضان فللرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعتبار ذلك خاصة لورود الاسم في القرآن باضافة شهر اليه، وقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من

---

(١) اسرار البلاغة ٧٣/١ .

(٢) العين ٦٠/١ .

(٣) أنظر فقه اللغة ٩٣/١ .

اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان"[1] وضعف البيهقي هذا الحديث.

وروى هشام عن ابان عن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولوا رمضان انسبوه كما نسبه كما نسبه الله تعالى في القرآن فقولوا شهر رمضان.

عن سعد بن طريف قال كنا عند الإمام الباقر عليه السلام فذكرنا رمضان فقال : لا تقولوا هذا رمضان ولا ذهب رمضان ولا جاء رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى، وهو عز وجل لا يجيء ولا يذهب وانما يجيء ويذهب الزائل، ولكن قولوا شهر رمضان فان الشهر مضاف الى الاسم والاسم اسم الله عز ذكره، وهو الشهر الذي انزل فيه القرآن جعله الله مثلاً ووعيداً ووعداً، ورواه الصدوق بطريق آخر.

وبسنده عن الصادق عن ابيه عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تقولوا رمضان ولكن قولوا شهر رمضان فانكم لا تدرون ما رمضان[2].

وقد وردت احاديث اخرى تدل على جواز التلفظ بذكر رمضان من غير شهر كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النيران وصفدت الشياطين، لذا قال القاضي عياض في قوله : اذا جاء رمضان دليل على جواز استعماله من غير لفظ شهر[3]، وهذا القول مرغوب عنه.

ولكن الأحاديث وردت بالنهي عن التلفظ برمضان من

(1) البحار ٣٩٦/٢٤

(٢) البحار ٣٩٦/٢٤ .

(3) مجمع البحرين ٣٣٤ طبعة حجرية.

دون اضافة الشهر وتعليل ذلك بانه اسم من اسماء الله عز وجل كما وان وقوعه في بعض الأحاديث مجرداً عن لفظ شهر لا يضر هذه القاعدة لإمكان قصد الإباحة وهي لا تنافي الكراهة، اما اعتقاد التسامح بنقل النص وعدم اعتبار الدقة فيه فهو امر مستبعد، خصوصاً وان النصوص مستفيضة وظاهرة المعنى والدلالة.

نعم يمكن حمل النهي على الكراهة واعتباره للتنزيه لورود أخبار فيها لفظ رمضان، وذهب اصحاب مالك الى الكراهة مطلقاً، وقال كثير من الشافعية بانه اذا وردت قرينة تدل على انه الشهر كقولك صمت رمضان لم يكره والا كره، وقال غيرهم بجوازه من غير كراهة لأنه لم يرد في باب اسمائه تعالى ان رمضان من اسماء الله عز وجل خاصة وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ورود لفظ رمضان بغير ذكر شهر مما يدل على الجواز مطلقاً.

وقال الرازي: "رأيت في بعض كتب التذكير ان لله تعالى أربعة آلاف اسم: الف منها في القرآن والأخبار الصحيحة وألف منها في التوراة، وألف في الإنجيل، وألف في الزبور ويقال: ألف آخر في اللوح المحفوظ، ولم يصل ذلك الألف الى عالم البشر"[1].

وقال في القاموس: ان صح انه من اسماء الله تعالى فهو غير مشتق او راجع الى معنى الغافر أي يمحو الذنوب ويمحقها.

لقد جعل الله القرآن تبياناً لكل شيء وهدى للناس ورحمة للعالمين بما تضمنه من احوال الإنسان وسنن اعماله

---

(١) مفاتح الغيب ١٥٤/١.

ومنازل الدنيا والآخرة، فكان الصيام فريضة واجبة على اهل الإسلام ومستغرقاً لشهر رمضان.

ومع اهمية فريضة الصيام في بناء الإسلام واعتبارها ركناً من اركان الإيمان فان موضوعها انحصر في اربع آيات من القرآن الكريم لم يفصل فيما بينها الا آية واحدة في الدعاء ومضامينه قد يكون لتعلق جانب منها بالصيام كسبب لوجودها في هذا الموضع باعتبار ان الصيام مناسبة للدعاء وفرصة لقضاء الحوائج وقد جاءت نصوص متواترة تفيد استجابة دعاء الصائم.

وهذا الحصر يفيد الإعجاز لما فيها من الشمولية والتفصيل لأحكام الصيام وآدابه بروح البيان واداة الحكمة وتوضيح الإستثناء واعتبارات التخفيف وموارد الإعفاء من هذه الفريضة.

وقد وردت مادة (صام) في احدى عشرة آية، اربع منها في آيات الصيام التي يتضمنها هذا الجزء من الكتاب، وآية في صيام مريم[1]، وخمس في صيام الكفارة، وآية في مدح الذين يؤدون الفريضة بقوله تعالى ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾[2] ومع شمول صيغة جمع المذكر للنساء ايضاً كما هو ثابت في الخطاب القرآني وعلم الأصول فقد جاء ذكر الصائمات بالخصوص وكأنه زيادة في الفضل والأجر وعظيم ثوابهن، أي انهن يشتركن في عمومات خطاب الصائمين وينفردن بالخطاب الخاص ﴿وَالصَّائِمَاتِ﴾ وليس التعدد دليلاً على خروجهن بالتخصص من الخطاب العام

---

(١) سورة مريم ٢٦.

(٢) سورة الاحزاب ٣٥.

الأول ولعل اعباء اضافية تقع على المرأة في فريضة الصيام تتعلق بها بالذات وباولادها وافراد الأسرة.

ان حصر آيات الصيام عدداً وموضعاً وموضوعاً رحمة اضافية ومانع من اختلاف المسلمين في الصيام واحكامه وما قد يؤدي اليه تطور الخلاف في هذا الباب وتشعبه الى الضرر بهذه الفريضة وموارد ادائها، فانت ترى مثلاً موضوع الهلال ورؤيته وتعذر ايجاد سبيل للإجماع في الفتيا في اوان رؤيته وسعة الأبعاد المكانية لتعلق رؤيته في بلد معين وما في ذلك من ابواب الإجتهاد التي قد يكون في تجددها كل سنة ارباك نفسي عند بعض الصائمين يفرز نتائج سلبية محدودة الأثر والتأثير.

فماذا ترى يحدث لو لم يأت القرآن بالبيان الكامل والأمر الوافي لأحكام الصيام واوانه، وهذا البيان حاجز منع من ازدياد تأثير الإختلاف في رؤية الهلال، والصوم في السفر وقضائه ونحوها ويعتبر مبدداً للسلبية في تأثيرها والضرر في نتائجها وجعلها تمر بسلام تحت ظلال الرحمة ووقوعها ضمن اطلاق عناوين ما جاء في الحديث: "اختلاف علماء امتي رحمة" وان نوقش سنداً ودلالة.

بحث عقائدي

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العمر سن الأربعين بعثه الله بالنبوة بشيراً ونذيراً بعد ان حبب اليه الخلوة فكان يجاور بغار حراء متعبداً متنسكاً حيث جاءه جبرئيل رسولاً من الله بالكرامة والوحي وآيات القرآن ولتشهد السماوات والأرض وسكانهما ولادة الإسلام وبداية نزول آيات القرآن وتوالي الأفاضات من

رحمته تعالى.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: فجاءني جبرئيل وانا نائم بنمط[1][2] من ديباج فيه كتاب فقال: اقرأ، قلت: ما اقرأ...فغتني[3] به حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال: اقرأ، قلت: ماذا اقرأ فغتني حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ماذا اقرأ ما اقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي فقال ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[4]، قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً، قال فخرجت... الحديث[5].

ثم اخذت السور والآيات القرآنية تتوالى في نزولها طيلة وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة وفق الوظيفة المعروفة للسور المكية من ارشاد الناس وتوجيههم الى الإسلام وتعليمهم اصول الدين ومعالمه الأساسية وآيات الإنذار والتحذير والوعيد والتخويف وهي أهم المفاهيم التي تتصف بها السور المكية التي تتصف بالقصر الى جانب البلاغة في ابهى رداء سماوي مع بيان عاقبة الأعمال وفرض الصلاة وهي عمود الدين.

وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة،

---

(٢) النمط: وعاء كالسفط.

(٣) الغت: حبس النفس والعصر الشديد مما فيه المشقة.

(٤) سورة العلق (١-٥).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٦/١.

ذلك الانعطاف الذي غير مجرى التاريخ وأرسى قواعد الاسلام وثبت أركان التوحيد في مشارق الارض ومغاربها ومع بدايات إقامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، ازداد نزول آيات التشريع ودلالات الاحكام لتكون سببا لاستقرار الاسلام ومسببا عنه أيضا، فجاء تشريع الصوم في السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة وفيه شرعت الزكاة.

وقد روي بالاسناد عن أبي سعيد الخدري أنه نزل فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة الى كعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر من مهاجر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم"[1].

والصوم زكاة الابدان أي ان الوحدة الزمانية الاجمالية لتشريعهما ذات دلالات عقائدية و روحية خاصة ليعبرا عن بداية مرحلة جديدة في التاريخ الاسلامي تعكس الاستعداد التام لدى المسلمين للانقياد لاحكام الشريعة والامتثال للاوامر الالهية بخضوع و انقياد وبالصبر عن الشهوات البدنية في محبة الله و طاعته.

ان تشريع الصيام يجسد حالة الايمان ورسوخه في المجتمع الاسلامي وهو رمز لسلطان الاسلام والرسالة على النفوس واعراضها عن الحاجات والطيبات طاعة لله وواجباً شرعياً ودليلاً على التسليم والتضحية.

لقد كان الصيام مدرسة للمسلمين وباباً لبلوغ مراتب الكمال الذي يستلزم تحمل المشاق والإجتهاد في جهاد النفس وتمرينها على الصبر.

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٤٨/١.

بحث منطقي

قد عرف الكلي بانه المفهوم او الموجود الذي لم يمنع نفس تصوره عن وقوع الشركة فيه، والكلي الطبيعي هو نفس الماهية او المأخوذة لا بشرط شيء موجود في الخارج.

والصيام من المفاهيم الإسلامية التي تتغشى كل مسلم ومسلمة ليكون جزء من واقعهما اليومي في شهر رمضان وغيره من الشهور، وجزء من حياة المسلمين العامة لتترسخ الفريضة في الأرض ويكون سبباً للحيلولة دون تحريف أحكامها خصوصاً وانها علة او جزء علة لدوام الحياة على الأرض.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال في قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾[1] الصبر: الصيام، وقال: اذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم فان الله عز وجل يقول: واستعينوا بالصبر يعني الصيام[2].

والظاهر ان المراد به الصيام بالمعنى الأعم الشامل للواجب والمندوب، ومن منافع الصيام انه سلاح وعون على تحمل الشدائد بالاضافة الى كونه فريضة وفرعاً من فروع الدين، فبالأداء القهري للواجب يحس المؤمن بسهولة الإمساك عن المفطرات، عندما يكون طاعة الله، ومناسبة للأجر والثواب، وطريقاً الى الجنة والمغفرة، ويأتيه بشوق وانشراح وتغمره السعادة.

---

(1) سورة البقرة ١٥٣.

(2) تفسير الصافي ١/١٢٦.

ومن فلسفة الصيام انه يساهم بصورة ظاهرة وباطنة بتبديد ودفع ورفع الآثار السلبية للمصيبة والنازلة الشديدة لأن الصيام ليس هروباً مجرداً من المصيبة بل هو علاج ملكوتي وسياحة في عالم الروح ويترشح بسببه فضله تعالى في طرد الحزن وازاحة الخوف والمتوقع من البلاء، فالصوم مدرسة في الإلتجاء ومن احسن وجوه الإستجارة لأن الله عز وجل دعا اليه ودلنا عليه، والمعروف ان الإستجارة تكون من الخائف الطريد الى قوي الركن والأمين من غير ان يقدم المستجير ما يؤهله ولكنه يجد المقتضي عند المجير، فكيف بالنسبة للإستجارة بالعبادة والطاعة عند القهار الجبار وهو الذي يعطي الكثير بالقليل ومن اسمائه تعالى (المجير).

فَرِيضَةُ الصِّيَامِ

لقد اقبل المسلمون على اداء فريضة الصوم وتعاهدوها بصبر وحرص، وهم يحيطونها بهالة من التقديس والإجلال مع ما فيها من جوع وعطش، لأنها امر الهي ليس لهم الا الإمتثال والطاعة فيه، ولكن الأمر لم يتوقف عند الإمتثال بعنوانه المجرد بل رافقه ايمان بحكمة الصوم واعتباره سبيلاً للسلامة والأمان في الدنيا والآخرة، وهذا الإيمان ساهم في تخفيف الأداء واتساع رقعته ودوامه في الارض باعتبار انه سر من اسرار الإسلام، ودليل على ثبات الشريعة واحكامها في النفوس ولذلك اسباب:

الأولى : الإقرار العام بتنزيه الله عز وجل عن الأمر بالقبيح وما فيه الضرر، فهو ممتنع في فعله تعالى بالضرورة لوجود الصارف وانعدام الداعي، اما الصارف فعلم الله به ورأفته الدائمة على العباد، واما انعدام الداعي فانه تعالى

غير محتاج وليس عنده الا الحق، ومن حكمته بعث الأنبياء والمرسلين وسن الشرائع هذا مع عدم اتفاقنا مع النظام[1]. فيما يذهب اليه من عدم قدرته تعالى على القبيح وقوله لو كان ذلك ممكناً لكان وقوع القبيح ممكناً.

ان قدرته تعالى متساوية لجميع الأشياء وكلها مشتركة بالإمكان وان لم يستوجب ضرورة تعلق الوقوع في الكل لخضوع المقام للمشيئة الإلهية وهو الرؤوف الرحيم، ولما كان فعله تعالى وامره معللاً بالغرض، فالغاية من الصوم نفع العبد جاء التكليف والبعث على طاعته بما فيه من جهد ومشقة واعلام المكلف بمضمون التكليف ونوعه لقيام الحجة وتيسير طرق الثواب، ومن وجوه حسن التكليف ما يرجع الى التكليف ذاته وخلوه من المفسدة، وترى ذلك ظاهراً في صحة الصائم وبدنه وما يتغشى المجتمعات من البركات واسباب الصلاح لذا يتجدد الإستبشار والسعادة بقدوم شهر رمضان وفريضة الصيام. رغم مضي اكثر من اربعة عشر قرناً على التزام المسلمين بادائها.

الثانية : تقدم التكليف على اوان الفعل فقد ورد نص قرآني بوجوب الصوم واخذ كل مسلم يدرك وجوبه قبل حلول شهر رمضان كما وان الإستعداد له واستقباله خلال شهري رجب وشعبان بالأعمال التي

(1) النظام ابو اسحاق ابراهيم بن سيار البصري، وهو احد رؤساء المعتزلة، وابن اخت ابي هذيل العلاف، ولقب بالنظام لنظمه الخرز وبيعها في سوق البصرة، وقيل لحسن كلامه ونظمه، ويعد النظام من ابرز رؤساء المعتزلة وهو استاذ الجاحظ عاصر الخليفة العباسي هارون الرشيد وذكر ان ابا نؤاس كان يعنيه بقوله:

فقل لمن يدعي في العلم معرفة حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

وردت عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تنبيه وبعث اضافي حاضر ومتجدد يبعث الشوق للصيام ولشهر رمضان، فمن الاسرار في شهر رمضان ان النفوس تشتاق له ذاتاً وزماناً ومناسبة لاداء فريضة الصيام.

الثالثة : امكان وقوع التكليف وعدم كونه مستحيلاً او متعذراً فالصوم ممكن ومستطاع ما كرّ الجديدان الليل والنهار.

الرابعة : وجود صفة حسنة فيه تجعله يرتقي الى استحقاق الطلب والسعي اليه ويمتاز عن المباح الذي ينعدم فيه سبب الثواب، وفي الصوم منافع عظيمة فردية وجماعية نفسية وبدنية، دنيوية واخروية، وشطر منها يرجع الى المكلف باعتباره المتحمل لوظيفة التكليف وهي :

الأول : معرفته بصفات الفعل وشرائطه واحكامه وحسنه، ولقد حبب الله الإيمان الى النفوس قال تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾[1] والصوم ركن من اركان الإيمان وفرائضه ولقد بين الله حسنه بقوله ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وجاءت السنة الشريفة باخبار متواترة ومستفيضة عن منافعه وما فيه من عظيم الثواب الدائم والنعيم الخالد.

الثاني : توفر القدرة عنده على اداء ما كلف به واعتبارها شرطاً فيه فالذي لا يطيق التكليف يسقط عنه، وفي فريضة الصيام تتجلى اسمى معاني الحكمة الممتزجة

---

(١) سورة الحجرات ٧.

بالرحمة اذ أمر المسافر والمريض بالإفطار والقضاء، وعفى عن الشيخ والشيخة وذي العطاش من الصيام مع اهمية الفريضة في صرح الإسلام.

الثالث : امكان وتوفر آلة الفعل كي لا يكون التكليف متعذراً ولقد جعل الله العباد قادرين على تحمل الجوع والعطش ساعات الصيام والإمساك.

لقد اختلفت المعتزلة والأشاعرة في التكليف فقالت الأولى بوجوبه في الحكمة، وقالت الثانية بعدم وجوب شيء على الله عز وجل لا تكليف ولا غيره ولكل بيان وبرهان، وواقع التشريع واحكامه في هذا الباب تغني عن الإسهاب في هذا الموضوع فقد امر الله المسلمين بالصيام ليصبح رمزاً للطاعة، وعنواناً للمحبة، والإخلاص في العبودية، وزاجراً عن الشهوة، والميل الى القبيح وباباً للهداية ورسوخ الإيمان، وسبيلاً لإستحقاق الثواب ونيله.

ورغم ما يحتاجه الصائم من صبر وامساك موقوت عن الأكل والشرب فان فريضة الصيام لا تخرج عن قاعدة اللطف وهي ان الله عز وجل لطيف بعباده لا يمنعهم من التقرب والوصول اليه وانما يرشدهم الى مناهج الصلاح ويحذرهم من مساقط التهلكة، ويعبر عنها المعتزلة بالقول يجب عليه اللطف ويجب عليه تعالى كذا وكذا، والعبارة لا تناسب وجوب تنزيهه تعالى وتقديسه، خاصة وان الكل يتفق على وجوب تعظيم مقام الربوبية.

ان اداء فريضة الصيام ارتقاء وامتثال وتقرب لرحمته تعالى، وتحمل لمشقة يستلزم التعويض والثواب وفق موازين عدله تعالى ورحمته وانظمة التكوين وقد جعل الله الدار الآخرة مناسبة وموعداً للجزاء على الأعمال حيث يفرح

الصائم بما قدمه في زمان التكليف، ولكن التعويض والأجر على الصيام لم ينحصر بالدار الآخرة بل يشمل الحياة الدنيا لما يتضمنه من منافع ملموسة واسرار محسوسة بالإضافة الى اعتبار كرمه تعالى وسعة رحمته وسرعة نزول جزائه، وربما يرى الإنسان لو انكشف له الغطاء ما دفع عنه بالصيام من اهوال وبلايا وامراض وما جلبه عليه من سعة وعافية وسلامة ونحوها، فكما ان الزكاة بركة ونماء للمال، كذلك الصيام فانه زكاة الأبدان وباب للعافية والسلامة.

وصحيح ان الصوم عبادة قائمة بذاتها وغاية تتحقق بادائها الطاعة وترتفع المعصية، ولكن نتائجها لا تتوقف على اعتباره عبادة بدنية فحسب ولا تنحصر في ايام شهر رمضان بل تتعداه الى ايام السنة الأخرى ليكون مصدر اشعاع روحي وميدان عمل تفوح منه رائحة التقوى وتنبعث منه افاضات ايمانية تغطي سلوك العبد في ايام السنة الأخرى.

وانت ترى العالم الحديث وبتجارب شعوبه ودراسات العلماء ورواد الفكر قد توصل الى فكرة تخصيص يوم معين او اسبوع لنشاط او فرع من فروع العلم او جهة اجتماعية او ثقافية او حضارية يكون غالباً دورياً كل سنة، تكثف فيه الجهود الخاصة بالموضوع لتحقيق اغراض مقصودة وبرامج خاصة، وربما استلهموا ذلك من الإسلام واستفادوه من شريعته السماوية، عندما تصدى المستشرقون لدراسته ولعل الإطلاع على ما كتبوه ونشروه يظهر ان تلك الفكرة وليدة استنتاجاتهم وتحليلهم خاصة وان زمان انبثاق فكرة التخصيص هذه قريبة من ظهور تلك الدراسات وتسليط الأضواء والتحليل العالمي للتأريخ الإسلامي ويمتاز الصوم بخاصية من بين العبادات تلك فهو خالص لوجه الله عز

وجل لا مجال فيه للرياء ولا تقرب لغير الله، وروي ان الحفظة لا يعلمون الصيام فيكتبونه، فالله عز وجل يتولى بفضله وكرمه شأن الصيام وثوابه.

وهناك شرائط لوجوب الصوم بيناها مفصلة في كتبنا الفقهية.

النية

وهي لغة القصد والعزيمة على الفعل وتعتبر واسطة بين العلم والعمل ووعاء عقائدياً يتقدم ويلازم الفعل العبادي في ارادة القربة الى الله عز وجل واداء الفرائض، وفي الحديث: انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى[1].

ويؤتى بنية الصوم بصفة الإمتثال لأمره تعالى، والقربة، ولابد من استحضار نية الصوم بخصوصه عند اول جزء من الصوم وبداية الفجر الصادق، مقارنة لطلوعه او الإتيان بها في الليل بقصد صوم اليوم التالي لتعذر اقترانها مع طلوع الفجر او صعوبته، ومن نوى الصوم من الليل ثم نام قبل طلوع الفجر وبداية الإمساك واستمر في نومه ساعات النهار صح صومه و يجزي لصيام شهر رمضان نية واحدة ينويها في الليلة الأولى منه او مقارنة لطلوع الفجر من اليوم الأول من الشهر، فلو ترك او غفل عن استحضار النية في ايام اخرى كانت النية المتقدمة كافية ومجزية، وادعى على الإجزاء بها بالإضافة للإرتكاز الوجداني الإجمالي وانعدام الدليل على ضرورة الإلتفات التفصيلي اليومي.

والذي ينسى النية في الليل وعند اول الفجر فعليه ان يجددها ويأتي بها في النصف الاول من النهار حيث يمتد

(1) الوسائل ١/٨ طبعة حجرية.

وقتها عنده الى زوال الشمس[1] ولكن تجب المبادرة الفورية اليها حالما يتذكر. ولا يجوز تأخيرها عامداً أثناء تلك الفترة من النهار، والاولى ايقاع النية عند كل ليلة يصام نهارها. وتكفي نية واحدة عند حضوره، ويجب استدامة النية طيلة ساعات الامساك وحتى الغروب ولا يجوز له أن ينوي القطع.

والنية شرط في صحة الصوم. ولا يعتبر التلفظ بها ولا استحضار التفصيل عند القصد أو تخصيص ذكر الوجوب.

اقسام الصوم

ويعتبر الصيام مدرسة الفضيلة وتهذيب النفوس وتنمية العفة ومناسبة لغلبة القوة العاقلة وكبح جماح القوة الشهوانية والغضبية، وفيه افاضة تشع على القلب لتطرد الصفات المذمومة منه وهو الذي يسمى بعلم المكاشفة.

ومع الإقرار بان الصوم عبادة بدنية وفريضة واجبة على اهل الإيمان فقد قسم الى اربعة اقسام من حيث متعلق الحكم وموارده وهي:

الأولى : الصوم الواجب: ومنه صوم شهر رمضان وقضاؤه وهو اهم ابوابه واوسعها واكثرها وجوباً وضرورة والتزاماً، وصوم الكفارة التي تكفر الذنب وتستره رجاء محوه ككفارة إفطار يوم من شهر رمضان

---

(1) زالت الشمس زوالا : انحدرت عن كبد السماء متجهة نحو اليمين. ويعرف الزوال بزيادة الظل بعد نقصانه، وفي المسالك: لكن لا يعلم الزوال بهذه العلامة الا بعد مضي زمان طويل من اول الوقت، وقال بعض الفقهاء بانه المنتصف بين طلوع الشمس وغروبها، ولكن نظرة حسابية في مواقيت الصلاة واوقات ساعات النهار تبين صعوبة تحصيل ذلك واقعياً.

وفيها تخيير كما تقدم، وكفارة اليمين وهي صيام ثلاثة ايام بعد العجز عن اطعام او كسوة عشرة مساكين او عتق رقبة لقوله تعالى ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾[١] وقد ورد في بعض الروايات عدم اجزاء الصيام في حال القدرة على الإطعام.

ويجب الصوم في قتل الخطأ بعد العجز عن تحرير رقبة مؤمنة لقوله تعالى ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ الى قوله تعالى ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾[٢].

ومنه ما يجب فيه الصوم مع غيره ككفارة قتل العمد واختلف في شموله لموارد قتل العمد وجمعه مع حالة عدم تنفيذ القصاص بعد ثبوته او انه يختص بمورد ثبوت الدية، وكذلك صيام كفارة الصيد في احرام الحج بعد العجز عن البدل من الهدي واطعام المساكين في تفصيل مبين في كتب الفقه في باب كفارات الإحرام.

<u>الثانية : الصيام المندوب:</u> ومنه ما يتعلق بشرف هذه العبادة وارتقاء الإنسان بها في مراتب سبل السالكين دروب عروج الروح وابتعادها عن مواطن النفس البهيمية، بالإضافة الى ما ورد في فضل الصوم وثوابه من النصوص المتواترة وهذا النوع من الصيام لا يتعلق بايام

---

(١) سورة المائدة ٨٩.

(٢) سورة النساء ٩٢.

معينة دون غيرها، بل يشمل جميع ايام السنة باستثناء ايام محددة وردت فيها اخبار مخصوصة كالعيدين وايام التشريق لمن كان بمنى.

ومن هذا القسم من الصوم ما يكون بوقت معين من ايام السنة كصوم أيام البيض من كل شهر وهي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري.

وفي الخبر (عن زر بن حبيش عن ابن مسعود عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حديث: ان الله اهبط آدم الى الأرض مسوداً، فلما راته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت، الى ان قال فنادى مناد من السماء: ان صم لربك اليوم، فصام فوافق يوم ثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد ثم نودي يوم الرابع عشر ان صم لربك اليوم فصام فذهب ثلث السواد ثم نودي يوم خمسة عشر بالصيام فصام وقد ذهب السواد كله، فسميت ايام البيض للذي رد الله عز وجل على آدم من بياضه ثم نادى مناد من السماء يا آدم هذه الثلاثة ايام جعلتها لك ولولدك من صامها في كل شهر فكأنما صام الدهر[1]، ذكره الصدوق في العلل وقال: هذا الخبر صحيح.

وباستحباب صيامها قال الحنفية واحمد، وجمهور الشافعية وابن حبيب المالكي وكره المالكية تخصيص الأيام في المقام وقالوا باستحباب ثلاثة ايام من كل شهر، وقد وردت روايات عن اهل البيت

---

(١) الوسائل٢/١٨٣ طبعة حجرية.

باستحباب صيام ثلاثة ايام من كل شهر ولا منافاة بين الأمرين فابواب الندب والإستحباب في الشريعة متسعة، وفي حديث ابن عباس عن صيام الأنبياء قال للسائل: وان كنت تريد صوم خير البشر العربي القرشي ابي القاسم فانه كان يصوم ثلاثة ايام من كل شهر، ويقول هي صيام الدهر[١].

كما ورد عن أبى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من صام من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صيام الدهر فأنزل الله تبارك وتعالى تصديق ذلك في كتابه: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٢]، اليوم بعشرة أيام). وورد عنه انه قال: (يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة)[٣].

وظاهر الحديث استحباب ثلاثة ايام في الشهر على نحو التنكير وعدم الحصر او التعيين، والأولى والأفضل ان تكون ايام البيض الثلاثة.

ان الإمساك عن الأكل والشرب ونحوها من مبطلات الصوم يقرب العبد من منازل الملائكة ودرجاتهم ويجعله يرتقي الى عالم ملكوتي يستجاب فيه الدعاء، ويضاعف فيه ثواب الحسنات ويتقرب فيه الى رحمة الله تعالى ويكون مناسبة لنزول فضله تعالى.

---

(١) الوسائل١٥٧/٢ طبعة حجرية.
(٢) سورة الانعام ١٦٠.
(٣) سنن الترمذي ١٣٠/٣.

الثالثة : الصيام المكروه: الذي يقل فيه الثواب وهو يفتقر للرجحان الذاتي الذي يعتبر ضرورياً في العبادة، ومن هذا القسم من الصوم صوم الولد بدون اذن ابيه من النفل والصوم المستحب.

الرابعة : الصيام المحرم: الذي وردت النصوص في تحريمه لورود النهي عنه من حيث المتعلق والجهة كصيام يوم العيد.

وورد تقسيم وبيان تفصيلي للصوم في حديث للإمام زين العابدين عليه السلام: فبالإسناد عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام فقال لي: يا زهري من اين جئت؟ قلت: من المسجد، قال: فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا امر الصوم فاجمع رأيي ورأي اصحابي انه ليس من الصوم شيء واجب الا صوم شهر رمضان فقال: يا زهري..ليس كما قلتم ان الصوم على اربعين وجهاً فعشرة اوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وعشرة اوجه منها صيامهن حرام، واربعة عشر وجهاً منها صاحبها بالخيار ان شاء صام وان شاء افطر، وصوم الإذن على ثلاثة اوجه، وصوم التأديب، وصوم الإباحة، وصوم السفر والمرض.

والحديث فيه تفصيل مبارك مذكور في كتبنا الفقهية.

فضل شهر رمضان

لقد التقت في شهر رمضان نعمتان تفضل الله بهما على المسلمين احداهما نازلة والأخرى صاعدة، الأولى نزول القرآن تلك النعمة التي تملي على المسلمين إحداث شكر متجدد في مناسبة نزوله من كل عام، والثانية فريضة الصيام، ورد عن سعيد بن جبير عن ابن

عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو علمتم ما لكم في شهر رمضان لزدتم لله تعالى ذكره شكراً اذا كان اول ليلة منه غفر الله لأمتي الذنوب كلها سرها وعلانيتها ورفع لكم الفي درجة، وبنى لكم خمسين مدينة، وكتب الله لكم يوم الثاني بكل خطوة تخطونها في ذلك اليوم عبادة سنة واعطاكم الله يوم الثالث بكل شعرة على ابدانكم قبة في الفردوس من درة بيضاء في اعلاها اثنا عشر الف بيت من النور، الى آخر الحديث الذي فيه تفصيل وبيان لثواب صيام كل يوم من شهر رمضان [1].

وليس من الإتفاق والصدفة ان يكون تشريع الزكاة في ذات السنة التي فرض فيها الصوم في شهر رمضان فقد ورد في صحيحة عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام انزلت آية الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ في شهر رمضان فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناديه فنادى في الناس ان الله تبارك وتعالى، فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة.

ان شهر رمضان مناسبة كريمة لجعل حسن الخلق ملكة نفسانية ثابتة عند المسلم، ولقد كان الصيام مفروضاً على الملبين في الشرائع السابقة للاسلام ولكن احكامه في الشريعة الاسلامية تؤكد ان الاسلام هو الناسخ للشرائع السابقة، كما ان محافظة المسلمين عليه شاهد سنوي متجدد على أهليتهم لوراثة الارض، وهو مرآة الالتزام بسنن الشريعة والفرائض والعبادات، وفيه اظهار لقوة المسلمين ووحدتهم واخلاصهم العبودية لله تعالى، وفيه ترغيب للناس بدخول الاسلام.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

---

(1) انظر الوسائل٢/٥٩ طبعة حجرية.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ الآية ١٨٦.

اللغة والإعراب

واذا: الواو استئنافية، اذا ظرف لما يستقبل من الزمان مضاف للجملة الفعلية، سألك: فعل ماض، والكاف: مفعول به، عبادي: فاعل، والياء مضاف اليه.

فإني: الفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن وإسمها، قريب: خبر إن مرفوع بالضمة.

والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير حازم أجيب أفعل مضارع مرفوع بالضمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره(أنا) والجملة الفعلية خبر ثان للحرف المشبه بالفعل(إن).

دعوة: مفعول به، الداع: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة، وأسقطت الياء من(الداعي) و(دعاني) في رسم المصحف، والقراء فيها على وجوه:

الأول: إسقاط الياء وقفاً ووصلاً تبعاً لرسم المصحف.

الثاني: إثباتها في الحين.

الثالث: إثباتها وصلاً وحذفها وقفاً.

وفي صناعة النحو يجوز حذف الياء التي هي ضمير المتكلم من آخر الأفعال : مثل: قوله تعالى ﴿إِيَّايَ

فَاعْبُدُونِ﴾[1]، أي فأعبدوني، وقولك أكرمنِ والأصل: أكرمني.

فليستجيبوا: الفاء الفصيحة.

اللام: لام الأمر، يستجيبوا: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر.

لي: حرف جر واسم مجرور، وليؤمنوا بي: عطف على(فليستجيبوا لي).

لعلهم يرشدون: لعل وإسمها يرشدون: جملة من فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وفاعل وهو واو الجماعة، وجملة الرجاء حالية.

الدعاء: مصدر جعلوه محل الاسم تقول: حفظت دعاء، ودعاه دعاء ودعوى، وفي لسان العرب حكاه عن سيبويه في المصادر التي آخرها الف التأنيث وانشد لبشير بن النكث:

وَلّتْ ودَعْواها شَدِيدٌ صَخَبُهْ[2]

في سياق الآيات

تتحدث الآيات السابقة عن الصيام وجاءت هذه الآية لتتناول مفاهيم الدعاء، والحث على استثماره بصيغ الإمتثال والطاعة مما يدل على وجود ملازمة بين الصيام و الدعاء، أو بين أداء الفرائض مطلقاً وبين الدعاء، وقد ورد الأمر بالتكبير في الآية السابقة، وجاءت هذه الآية للإخبار عن مقدمات الايمان والجزاء الحسن.

صلة هذه الآية بالآيات المجاورة على شعبتين:

---

(١)سورة العنكبوت ٥٦.

(٢)لسان العرب ١٩٦/٢.

الأولى: صلة الآية بالآيات السابقة وفيها وجوه:

الأول: صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...﴾[1]، وفيها مسائل:

مسائل:

الأولى: جاءت آية البحث جملة شرطية، وخطاباً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجاءت آية السياق بصيغة الجملة الخبرية، وإرادة بيان اكرام شهر رمضان ومخاطبة المسلمين بلغة الأمر بلزوم صيام أيامه.

الثانية: ذكرت آية السياق نزول القرآن في شهر رمضان ولكنها لم تذكر على من نزل، وهو الأمر الذي بينته آيات القرآن الأخرى، ومنها آية البحث إذ جاءت تخاطب النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[2].

وتبين الآية عظيم منزلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه الرسول من الله الذي يسأله الناس عن أمور الدين والدنيا، ويتفضل الله عز وجل عليه وعليهم ببيان الأحكام والمسائل الكلامية.

الثالثة: جاء في آية السياق قوله تعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وفيه بلحاظ آية السياق بعث للمسلمين على صيام شهر رمضان، والإنتفاع من أيامه المباركة، بكسب مرضاة الله عز وجل، فهو قريب منا، مجتمعين ومتفرقين يعلم أحوالنا، وهو سبحانه منزه

(١) الآية ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ٩٧.

عن الجهة والكيف قال تعالى ﴿مَا مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾ (١).

وهل فرض الصيام من قرب الله للعباد، الجواب نعم، ولعل في الجمع بين الآيتين شاهداً على أن الناس جميعاً مكلفون بالفروع كتكليفهم بالأصول لأن الله عز وجل ذكر الناس في موضوع القرب بلفظ(عبادي).

الرابعة: ذكرت آية البحث إستجابة الله عز وجل للدعاء، وأمرت آية السياق بفريضة الصوم، لتأتي النصوص بخصوصية وشأن عظيم لدعاء الصائم.

الخامسة: جاءت في آية البحث قوله تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ ومن أبهى وأحسن مصاديق الإستجابة لأمر الله عز وجل أداء فريضة الصيام في شهر رمضان وإكمال العدة، لتكون آية البحث ترغيباً بالصيام ودعوة لتعاهده، ويكون الصيام مقدمة لإستجابة الدعاء، ووسيلة للفوز بمرضاة الله عز وجل، وهو من أسرار مجئ آية الدعاء بعد آية الصيام، وإذ جاء الصيام بخصوص النهار من شهر مخصوص من إثني عشر شهراً فان إستجابة الله عز وجل مطلقة، في الليل والنهار، والسر والجهر، وفي عموم أيام السنة، وهو من الثواب العظيم من الله عز وجل على الفعل القليل من العبد.

السادسة: لماّ أمر الله عز وجل المسلمين بصيام شهر رمضان بصفة الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ (٢)،

---

(١)سورة المجادلة٧.

(٢)سورة البقرة١٨٣.

جاءت آية البحث بعدها مباشرة بالإنتفاع الأمثل من الصيام بالتوجه إلى الله عز وجل بالسؤال والدعاء وطلب الحاجات.

السابعة: أختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في خطاب للمسلمين جميعاً للشكر لله عز وجل على نعمة الصيام ، وأختتمت آية البحث بذات معنى الرجاء ولكن بصيغة الغائب ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ وفيه آية في تأكيد العموم في آية البحث .

الثاني: صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ [1]، وفيه مسائل:

الأولى: ذكرت آية السياق أن أيام الصيام معدودات لإفادة قلتها ويسر وسهولة أداء الصيام، أما آية البحث فذكرت إجابة الله عز وجل للدعاء في كل أيام وليالي السنة، وفيه دعوة للإنقطاع إلى الله بالمسألة والدعاء سواء في حال العبادة وأداء الصيام أو خارج شهر رمضان.

الثانية: يفيد الجمع بين الآيتين بعث المسلمين على الإنتفاع من أيام الحياة الدنيا بصيام شهر رمضان، وبذكر الله والدعاء طيلة أيام السنة، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [2].

الثالثة: جاءت آية السياق باستثناء المريض والمسافر من وجوب الصيام في شهر رمضان مع قضائه في أيام السنة الأخرى، أما آية البحث فانها لم تستثن حال من أحوال

---

(١)الآية١٨٤.

(٢)سورة غافر٦٠.

الإنسان من الدعاء واللجوء إلى الله عز وجل بالمسألة وطلب الحاجة.

فالله سبحانه ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [1]، الذي يسمع الدعاء من الصحيح والسقيم والصائم والمفطر وفي حاجات الدنيا والآخرة، ووردت نصوص في دعاء المريض منها ما ورد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا دخل أحدُكم على مريضٍ فليصافحْه وليضعْ يدَه على جبهتِه وليسألْه كيف هو وليَنْسَئْ له في الأَجلِ وليسألْه أن يدعوَ له فإن دعاءَ المريضِ كدعاءِ الملائكة[2].

الرابعة: جاء في آية السياق قوله تعالى ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ بصيغة الإطلاق في اسم التفضيل(خير) ولم تقيد موارد التفضيل والحسن الذاتي والعرضي في الصوم، وما يترتب عليه من النفع الحاضر والآجل، وأنه من عمومات قوله تعالى في خاتمة آية البحث(لعلهم يرشدون) بتقريب أن الصيام من الرشد المترشح عن الإستجابة لأمر الله عز وجل والإيمان به سبحانه وإتيان فريضة الصوم التي أمر بأدائها في شهر رمضان.

الخامسة: لقد فاز المسلمون بأداء الفرائض وبالتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء من منازل العبودية والطاعة، قال تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [3]، ومن رحمته تعالى الإستجابة لدعائهم.

(١)سورة البقرة ٢٥٥.

(٢)السيوطي/جامع الأحاديث٣/١١٦.

(٣)سورة الأعراف٥٦.

السادسة: لقد جعل الله عز وجل الحياة دار إمتحان وإختبار فالإنسان مأمور بالفرائض والواجبات، ورغبّه بالدعاء والمسألة، وهل هو من باب الواجبات والحقوق بمعنى أن الصيام واجب، والدعاء حق، الجواب لا، لأن الدعاء نفع محض لصاحبه وباب رحمة فتحه الله فضلاً منه على العباد، وجاءت آية البحث لهدايتهم وإرشادهم، إلى نفعهم وصلاحهم.

الثالث: الصلة بين هذه الآية وقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [1]، وفيها مسائل:

الأولى: جاءت آية السياق بخصوص كتابة الوصية عند طرو أمارات الموت، وفي الجمع بينها وبين آية البحث دعوة للمسلمين لسؤال طول العمر والمنسأة في الأجل، وهو سبحانه يقول ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ بلغة الوعد الكريم.

الثانية: جاءت آية السياق خطاباً للمسلمين والمسلمات، لتكون الوصية نوع إكرام لهم وللوارث من بعدهم، وهي مناسبة للتدارك وإرجاع الأمانات وإبراء الذمة، والدعاء مع فراغ الذمة ورد المظالم أفضل وأحسن.

الثالثة: جاءت آية السياق بالحث على الوصية للوالدين لينفع دعاء الوالدين الولد في حياته وبعد مماته، بلحاظ أن الوصية حث لهم على الدعاء له.

وقد وردت مسألة إستجابة دعوة الوالد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث صيغ:

---

(١) الآية ١٨٠.

الأولى: دعوة الوالد على نحو الإطلاق، ومن غير تقييد بشرط وصفة مخصوصة، فقد جاء عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات لا ترد دعوة الوالد ودعوة الصائم ودعوة المسافر[١].

الثانية: حينما يدعو الوالد على ولده.

الثالثة: دعوة الوالد لوالده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث دعوات مستجابات: دعاء الوالد على ولده، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر[٢].

وفيه بيان لموضوعية دعاء الوالد، وحث للأولاد على الإنتفاع منه بالبر بالوالدين، وإجتناب العقوق وفعل المعاصي بما يؤدي إلى شكواه إلى الله عز وجل.

وفيه آية في الحث على الدعاء، فكما تدعو آية البحث إلى الدعاء وترّغب فيه، فانها تدل على الإنتفاع من دعاء الوالد وإجتناب العقوق والظلم مطلقاً.

وورد بالإسناد عن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ[٣]، وفي رواية أخرى: وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

وجاءت الكتب السماوية بالتحذير والإنذار من دعوة المظلوم، لذا وردت آية البحث بلفظ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ وما في لفظ عبادي من إرادة العموم.

---

(١)سنن الكبرى للبيهقي٣/٣٤٥.

(٢)الدر المنثور٦/٢٥٧.

(٣)مسند أحمد٢٥/١٢٧.

وبالإسناد عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

قلت يا رسول الله : فما كانت صحف إبراهيم؟

قال : أمثال كلها أيها الملك المتسلط المبتلي المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردها ولو كانت من كافر ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال ، فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات واستجماعاً للقلوب وتفريغاً لها ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه.

فإن من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه ، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمة لمعاش ، أو تزوّد لمعاد ، أو تلذذ في غير محرم . قلت يا رسول الله : فما كانت صحف موسى؟ قال : كانت عبراً كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، ولمن أيقن بالموت ثم يضحك ، ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها ، ولمن أيقن بالقدر ثم ينصب ، ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل[1].

الرابعة: كتابة الوصية بذاتها وأثرها توفيق وهداية ورشاد، وتدل آية البحث محل البحث على الدعاء لكتابتها

---

(١)الدر المنثور١٠/٢٤٦.

وجعلها وسيلة ومناسبة مباركة لدفع الحقوق، والتنزه عن الظلم.

ويجوز أن تتخذ الوصية مادة للدعاء، وأن يوصي المسلم بالدعاء له بعد وفاته، وباتيان العبادات والمستحبات نيابة عنه كما في الوصية بالحج، وبالإسناد عن علي عليه السلام قال: وَقَفَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بعَرَفَةَ فقَالَ هَذَا الْمَوْقفُ وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقفٌ ثُمَّ أَرْدَفَ أُسَامَةَ فَجَعَلَ يُعْنِقُ عَلَى نَاقَته وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ الْإِبِلَ يمينًا وَشمَالًا لَا يَلْتَفتُ إِلَيْهِمْ.

وَيَقُولُ السَّكينَةَ أَيُّهَا النَّاسُ وَدَفَعَ حينَ غَابَتْ الشَّمْسُ فَأَتَى جَمْعًا فَصلَّى بهَا الصَّلَاتَيْنِ يَعْني الْمَغْرِبَ وَالْعشَاءَ ثُمَّ بَاتَ بهَا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ عَلَى قُزَحَ فقَالَ هَذَا قُزَحُ وَهُوَ الْمَوْقفُ وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقفٌ.

قَالَ ثُمَّ سَارَ فَلَمَّا أَتَى مُحَسِّرًا قَرَعَهَا فَخَبَّتْ حَتَّى جَازَ الْوَادي ثُمَّ حَبَسَهَا وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا ثُمَّ أَتَى الْمَنْحَرَ فَقَالَ هَذَا الْمَنْحَرُ وَمنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ.

ثُمَّ أَتَتْهُ امرأة شَابَّةٌ منْ خَثْعَمَ فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ قَدْ أَفْنَدَ وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللَّه في الْحَجِّ فَهَلْ يُجْزِئُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ.

قَالَ نَعَمْ فَأَدِّي عَنْ أَبِيكِ قَالَ وَلَوَى عُنُقَ الْفَضْلِ.

فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ.

قَالَ رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَخفْتُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا.

قَالَ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَفَضْتُ قَبْلَ أَنْ أَحْلِقَ.

قَالَ فَاحْلِقْ أَوْ قَصِّرْ وَلَا حَرَجَ قَالَ وَأَتَى زَمْزَمَ فَقَالَ يَا بَنِي عَبْد الْمُطَّلِبِ سِقَايَتَكُمْ لَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَيْهَا لَنَزَعْتُ[1]، لَنَزَعْتُ[1]،

والمراد أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إذا أخذ من البئر بيده فان السقاية لا تبقى لبني هاشم لأن المسلمين يقتدون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيباشرون البئر والدلو بأيديهم وإن كان نزعه بيده باعتباره من بني عبدالمطلب.

وفي الحديث عدل وإنصاف لبني هاشم وحقهم في السقاية كما رد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح على عثمان بن طلحة بن عبد الدار[2].

فقد ذكر محمد بن إسحاق بالإسناد عن صفية بنت شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لَمّا نَزَلَ مَكّةَ ، وَاطْمَأَنّ النّاسُ خَرَجَ حَتّى جَاءَ الْبَيْتَ فَطَافَ بَهْ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِه يَسْتَلِمُ الرّكْنَ بِمِحْجَنٍ فِي يَدِه فَلَمّا قَضَى طَوَافَهُ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، فَفُتِحَتْ لَهُ فَدَخَلَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ فَكَسَرَهَا بِيَدِه، طَرَحَهَا ، ثُمّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اُسْتُكِفّ لَهُ النّاسُ فِي الْمَسْجِد.

قَالَ ابن إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ

---

(١)مسند أحمد٣/٢٨٣.

(٢) وهاجر عثمان بن طلحة، ودفعه إلى أخيه شيبة وبقي في ولده من بعده إلى اليوم.

الْـأَحْزَابَ وَحْـدَهُ أَلَـا كُـلّ مَـأْثُرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَـالٍ يُـدّعَى فَهُـوَ تَحْـتَ قَـدَمَيّ هَـاتَيْنِ إلّـا سَـدَانَةَ الْبَيْـتِ وَسِـقَايَةَ الْحَـاجّ أَلَـا وَقَتِيـلُ الْخطَـأِ شِـبْهِ الْعَمْـدِ بِالسّـوْطِ وَالْعَصَـا ، فَفِيـهِ الدّيَـةُ مُغَلّظَـةً مِئَـةٌ مِـنْ الْإِبِـلِ أَرْبَعُـونَ مِنْهَـا فِـي بُطُونِهَـا أَوْلَادُهَـا. يَـا مَعْشَـرَ قُـرَيْشٍ ، إنّ اللّـهَ قَـدْ أَذْهَـبَ عَـنْكُمْ نَخْـوَةَ الْجَاهِلِيّـةِ وَتَعَظّمَهَـا بِالْآبَـاءِ النّـاسُ مِـنْ آدَمَ وَآدَمُ مِـنْ تُـرَابٍ ثُـمّ تَلَـا هَـذِهِ الْآيَـةَ { يَـا أَيّهَـا النّـاسُ إِنّـا خَلَقْنَـاكُمْ مِـنْ ذَكَـرٍ وَأُنْثَـى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَـارَفُوا إِنّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ } الْآيَةَ كُلّهَا.

ثُـمّ قَـالَ يَـا مَعْشَـرَ قُـرَيْشٍ مَـا تُـرَوْنَ أَنّـي فَاعِـلٌ فِـيكُمْ ؟ قَـالُوا : خَيْـرًا ، أَخٌ كَـرِيمٌ وَابْـنُ أَخٍ كَـرِيمٍ . قَـالَ اذْهَبُـوا فَـأَنْتُمْ الطّلَقَـاءُ ثُـمّ جَلَـسَ رَسُـولُ اللّـهِ صَـلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَمَ فِـي الْمَسْـجِدِ فَقَـامَ إلَيْـهِ عَلِـيّ بْـنُ أَبِـي طَالِـبٍ وَمِفْتَـاحُ الْكَعْبَـةِ فِـي يَـدِهِ فَقَـالَ يَـا رَسُـولَ اللّـهِ اجْمَـعْ لَنَـا الْحِجَابَـةَ مَـعَ السّـقَايَةِ صَـلّى اللّـهُ عَلَيْـك، فَقَـالَ رَسُـولُ اللّـهِ صَـلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ أَيْـنَ عُثْمَـانُ بْـنُ طَلْحَـةَ ؟ فَـدُعِيَ لَـهُ فَقَالَ هَاكَ مِفْتَاحَك يَا عُثْمَانُ ، الْيَوْمُ يَوْمُ بِرّ وَوَفَاءٍ[1].

وقـال الزمخشـري: أنّ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم حـين دخـل مكـة يـوم الفـتح أغلـق عثمـان بـاب الكعبـة وصـعد السـطح ، وأبـى أن يـدفع المفتـاح إليـه، وقـال: لـو علمـت أنـه رسول الله لم أمنعه.

فلـوى علـي بـن أبـي طالـب رضـي الله عنـه يـده. وأخـذه منـه وفـتح ، ودخـل رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وصـلى ركعـتين . فلمـا خـرج سـأله العبـاس أن يعطيـه المفتـاح ويجمـع لـه

---

(١)سيرة ابن هشام٢/٤١٢.

السقاية والسدانة . فنزلت ، فأمر علياً أن يردّه إلى عثمان ويعتذر إليه

فقال عثمان لعليّ: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟ فقال : لقد أنزل الله في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبداً . وقيل : هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل[1].

والخبر بحاجة إلى تحقيق في علم الرجال والسند ومعرفة وجه الإعتذار وموضوعه، بعد أن امتنع عثمان بن شيبة عن فتح الكعبة وإنكار النبوة يوم الفتح.

الشعبة الثانية: صلة هذه الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه:

الأول: صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ. . .﴾[2]، وفيها مسائل:

الأولى: عادت آيات القرآن إلى موضوع وأحكام الصيام، مما يبين دلالات إعجازية في وجود آية الدعاء بين آيات الصيام الأربعة التي لم تذكر أحكام صيام شهر رمضان في غيرها من آيات القرآن، وبعث على الإنتفاع من سلاح الدعاء أيام شهر رمضان وعبادة الصوم، وما فيها من الجوع والعطش قربة إلى الله عز وجل.

---

(١)الكشاف١/٤٢٣.

(٢)الآية١٨٧.

وكأن الوعد الكريم من الله باستجابة الدعاء جزاء على أداء الوظائف العبادية، والتحلي بالصبر في مرضاة الله، قال تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1].

ومن خصائص أهل الخشوع والخضوع لله عز وجل الفزع إليه بالمسائل والحاجات، لقد جعل الله عز وجل كلاً من الصيام والدعاء بلغة لأمور الدين والدنيا، فتفضل وجمعهما في هذه الآيات وفيه أمور:

الأول: تفقه المسلمين في الدين، قال تعالى ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[2].

الثاني: نهل وتزود المسلمين من خزائن العبادة، وكنوز الدعاء بما يجعلهم يرتقون في سلّم المعارف.

الثالث: فوز المسلمين بحيازة المنافع.

الرابع: إهتداء المسلمين لسبل الفلاح وهو من خصال ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [3].

الثانية: من بديع خلق الإنسان أن الله تفضل وخلق حواء بعد آدم، وأسكنهما الجنة، فلم يهبط آدم إلى الأرض إلا وزوجه معه، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[4].

---

(١)سورة البقرة ٤٥.

(٢)سورة الأنعام٩٨.

(٣)سورة آل عمران١١٠.

(٤)سورة النساء١.

وجاءت العبادات والتكاليف شاملة للرجل والمرأة بعرض واحد إلا ماخرج بالدليل وإختصاص الرجل به دون المرأة أو العكس كما في الجهاد والتفقه بالنسبة للرجل، وغسل الحيض والنفاس وحسن التبعل بالنسبة للمرأة.

ووردت آية البحث بالخطاب العام للمسلمين والمسلمات بالدعاء والمسألة إلى الله عز وجل كل واحد منهما يدعو لنفسه وصاحبه وللأمة.

روي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام: ادعني بلسان لم تعصني به، فقال: أنى لي بذلك، فقال: ادعني بلسان غيرك، ومنها عن الباقر عليه السلام: أوشك دعوة وأسرع إجابة دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب[1].

الثالثة: لما جاءت آية البحث بالأمر بالإستجابة لأمر الله عز وجل جاءت آية السياق ببيان الفضل الإلهي على المسلمين بالتمتع في ليلة الصيام، وبيان قانون ثابت وهو أن العبادة لا تحجب إستدامة التنعم بالطيبات واللذات في الحلال، وأن هذا التنعم لا يتعارض مع الدعاء والإستجابة له.

الثاني: صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ...﴾[2]، وفيها مسائل:

الأولى: جاءت آية البحث بصيغة الجملة الشرطية، وتتضمن في دلالاتها الإخبار والإنشاء مجتمعين، وهو من

(١) بحار الأنوار ٩٠/٣٩٠.

(٢) الآية ١٨٨.

أسرار الإختلاف في معنى الجملة الشرطية فان الآية تتضمن الوعد الكريم بالإستجابة، وتبعث المسلمين على الدعاء، والأمر بالإستجابة لله عز وجل والإيمان به سبحانه.

وجاءت آية السياق بالنهي عن أكل الأموال بالباطل والحرام، وهل يفيد الجمع بين الآيتين أن أكل المال بالباطل برزخ دون قبول الدعاء، الجواب إن الله ذو الفضل العظيم، وهو الذي ينزه المؤمن الذي ينقطع إليه من أكل الباطل وفعل الحرام خصوصاً وأن موضوع الإستجابة أعم من المسألة وبيان الحاجة، فقد يسأل العبد الله في حاجة فيستجيب الله عز وجل له في غيرها، أو فيها وفي غيرها وهو أعلم بالمصالح، والمفاسد وملاكات الأحكام.

الثانية: يفيد الجمع بين الآيتين حث المسلمين على إتخاذ ليالي شهر رمضان مناسبة للدعاء وقراءة القرآن والإستغفار، والتنبيه إلى أن عبادة الصيام في النهار لا تبعث على الكسل في الليل.

وأخرج عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه لما أنزلت ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، قالوا : لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ إلى قوله { يرشدون}[2].

الثالثة: من خصائص ليلة الصيام وطئ الزوجة على نحو الإستحباب فان وزمان الليل فيه سعة ومندوحة، وجاءت آية البحث للحث على الدعاء، فيه والإنتفاع من ترشح بركات

(١)سورة غافر٦٠.
(٢)الدر المنثور١/٣٩٠.

صيام النهار على ساعات الليل، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة[١].

الثالث: صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى...﴾[٢]، وفيها مسائل:

الأولى: جاءت كل من الآيتين بموضوع واحد، وهو توجه المسلمين والناس لسؤال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نعم وردت آية البحث بصيغة الجملة الشرطية، وآية السياق بصيغة الجملة الخبرية.

الثانية: السؤال عن الأهلة دليل على التفقه في الدين، وإرادة معرفة وجوه الحكمة في الزيادة والنقصان الذي يصيب القمر، وإطلالته من جديد كل شهر، ويدل هذا السؤال بالدلالة التضمنية على التسليم بعظيم قدرة الله، وأنه سبحانه هو الذي سخّر الأفلاك، وفيه مناسبة التوجه له سبحانه بالدعاء والمسألة.

الثالثة: أخبرت آية السياق بأن الأهلة ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ وفيه إشارة إلى الصيام من وجهين:

الأول: شهر رمضان من المواقيت للناس، إذ ينتظر المسلمون إطلالته، لأنه أوان الصيام الواجب على نحو العموم المجموعي.

الثاني: ذكر الحج في الآية إشارة إلى العبادات مطلقاً، فكما يكون الحج في أجل معين، قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[١]،

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٠٩.

(٢) الآية ١٨٩.

فكذا الصيام فانه في وقت مخصوص ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٢)، ترى لماذا ذكر الحج على نحو التعيين في الآية أعلاه.

الجواب من وجوه:

الأول: ذكر الفرد وإرادة الكل من العبادات.

الثاني: يتصف الحج بتعدد أشهره وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، ففي كل شهر منها تتجدد التهيئة للحج، والإتيان بمقدماته، والتذكير بمناسك الحج والإستعداد لها، وشد الرحال إلى البقعة المباركة، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(٣).

أما الأن فان الزمان مختلف، فوسائط النقل تطوي الأرض وتبلغ سرعة الجوبة منها أضعاف التي في الأرض وهذا صحيح، ولكن الحاجة تبقى مستمرة لرؤية الهلال خصوصاً هلال ذي الحجة للإستعداد للحج، والحرص على إتيان العمرة قبله.

الثالث: لما جاء السؤال بصيغة الجمع في السائل والمسؤول عنه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ جاء ذكر الحج لأن أهلة أشهره من المتعدد، وهي ثلاثة شهور.

الرابعة: ذكرت آية السياق البر والعمل الصالح ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ وهو مقدمة لإستجابة الدعاء، وذات

---

(١)سورة البقرة١٩٧.

(٢)سورة البقرة ١٨٥.

(٣)سورة الحج٢٧.

الدعاء من البر لما فيه من التسليم بقدرة الله، وإتخاذه طريقاً لقضاء الحوائج.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد عن أبي ذر قال : يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح[1].

إعجاز الآية

نظم الآية وحده فيه نوع إعجاز فالآيات السابقة والآية التالية تتناول فريضة الصيام، وجاءت هذه الآية زينة وسلاحاً عقائدياً مباركاً بينها، ومن إعجازها وجوه الصلة بين استجابة الدعاء وحسن الإمتثال.

وجاء التكليف بتحريم الأكل والوطئ في الليل بعد هذه الآية وكأنه ملحق بنهار الصوم فشق عليهم التقيد والإمتثال للحكم فنزل التخفيف فضلاً منه تعالى، وهذه الآية بشارة ورحمة واخبار عن قبول التوبة وتجديد فتح باب الدعاء والمسألة.

تبين الآية المنزلة الرفيعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الله عز وجل فيسأله الناس، فيأتي الجواب من الله عز وجل، ليكون هذا الجواب مدرسة كلامية، وكنزاً متجدداً عند المسلمين ينهلون منه ما يقضون به حوائجهم، وفيه دعوة للمسلمين للتوجه إلى الله بالشكر، قال تعالى ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

وتتجلى في الآية وظائف النبوة في التبليغ، وبيان البلغة المباركة لتحقيق الرغائب، والوصول إلى الغايات.

---

(١)الدر المنثور١/٣٩٤.

(٢)سورة العنكبوت١٧.

أخرج عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا يعطى أحب إليه من أن يسأل العافية[١].

والدعاء سلاح الأنبياء، ويتخذونه لأمور الدين والدنيا، وللسلامة من القوم الكافرين والغلبة والنصر عليهم، وترى الكافر الذي يحارب النبي والأولياء يبتلى من غير علة ظاهرة، ومن أسباب الإبتلاء أن النبي يفوض أمره إلى الله، ويشتكي مما يلاقيه والمؤمنون من الطاغوت، كما في هلاك نمرود وفرعون.

وجاء ذكر فريضة الصيام بأنها مفروضة على المسلمين كما فرضها الله على الأنبياء السابقين بقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[٢].

وتعاهد المسلمون فريضة الصيام تفضل الله ورزقهم وراثة الدعاء الوسيلة التي كان يفزع بها الأنبياء إلى الله، وجعلهم يستثمرون أيام وليالي شهر رمضان للإنقطاع إلى الله تعالى بالدعاء والمسألة، ومن كرم الله عز وجل أن مسائل الدعاء في شهر رمضان لاتتقيد بذات الشهر بل تشمل أفراد الزمان الطولية الماضي والحاضر والمستقبل، والعوالم المتباينة وهي:

الأول:الحياة الدنيا.

الثاني:عالم البرزخ

الثالث:يوم النشور ومواطن الحساب.

---

(١)سنن الترمذي٥/٥٥٢.

(٢)سورة البقرة١٨٣.

الرابع: عالم الجزاء وسؤال اللبث الدائم في الجنة والسلامة من حر النار والدخول فيها.

ومن إعجاز الآية أنها وردت بخصوص السؤال عن الله عز وجل فأخبر سبحانه بأنه قريب وأنه يجيب الدعاء فلم يكتف بالإخبار بأنه قريب، لأن هذا الإخبار لابد وأن يقترن منه بالكرم والإحسان فتفضل وأنعم على المسلمين بالحث على الدعاء.

ويمكن تسمية هذه الآية آية (فاني قريب) ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا في هذه الآية.

وكذا لفظ (دعاني) ولفظ (يرشدون) ولفظ (وليؤمنوا بي) نعم ورد بصيغة النفي ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا﴾ [1]، مع التباين الموضوعي.

إذ جاءت آية البحث بصيغة الإيجاب والبعث على الإيمان وجعل الدعاء شاهداً عليه، ووسيلة لتثبيته في النفوس، وزيادته وهو من إفاضات القرآن، قال تعالى ﴿الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [2].

□

(١) سورة الأعراف ١٠١.

(٢) سورة محمد ١٧.

الآية سلاح

تحث الآية على اللجوء الى الدعاء واتخاذه سلاحاً وسبيلاً لقضاء الحوائج، وتجعله مناسبة للذكر والإلتزام بأحكام الطاعة وطلب مرضاته تعالى.

جاءت الآية بصيغة الجملة الشرطية، لتبقى غضة طرية في موضوعها وأحكامها، وما فيها من الوعد اللامتناهي باستجابة الله عز وجل للدعاء، ولا يقدر على هذا الوعد الذي يتجلى واضحاً في الآية إلا الله عز وجل، فلم يجعل حداً أو قيداً وشرطاً لإستجابة الدعاء، فلا غرابة أن يسمى الدعاء(سلاح الأنبياء) وتلقاه المسلمون تركة منهم بلطف من الله، وهذه الآية من مصاديق هذا اللطف وبعث المسلمين على الدعاء والمسألة.

ومن خصائص الجملة الشرطية في المقام ترغيب المسلمين بالدعاء، وتقريب الغايات، وصيرورة الأماني دانية ثمارها لأنه يأتي عن تسليم بأن الله عز وجل لا تستعصي عليه مسألة، وإذا كان ذات الدعاء إيماناً بالله عز وجل فلماذا ورد قوله تعالى في ذات آية البحث ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ والجواب من وجوه:

الأول: إرادة التسليم بالربوبية المطلقة لله عز وجل، وعدم الإشراك به.

الثاني: الإخبار بلزوم الإيمان بالله على نحو مستديم، وعدم حصره في ساعة الدعاء، وعند الحاجة والشدة.

الثالث: جاء قوله تعالى﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أي عند السؤال عن الله عز وجل.

الرابع: لما أخبرت الآية بأن الله قريب جاءت خاتمتها بوجوب الإيمان بالله عز وجل.

وبالإسناد عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله تعالى: يا ابن آدم، واحدة لك وواحدة لي، وواحدة فيما بيني وبينك؛ فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا، وأما التي لك فما عملتَ من شيء وَفَّيْتُكَه، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليّ الإجابة[1].

وجاءت خاتمة الآية لبيان منافع الدعاء والغايات الحميدة من إتخاذه سلاحاً وبلغة منها رجاء الرشاد والفلاح في أمور الحياة الدنيا، والتوفيق إلى مافيه الأمن والفوز في الآخرة.

أسباب النزول

ذكرت في أسباب نزولها وجوه:

الأول: ان اعرابياً جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اقريب ربنا فنناجيه، ام بعيد فنناديه؟ فانزل تعالى هذه الآية.

الثاني: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في كتيبة خيبر وقد رفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ايها الناس اربطوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً وهو معكم قريباً.

الثالث: ان الصحابة قالوا كيف ندعو ربنا يا نبي الله؟ فانزل الله الآية روي عن قتادة ذكر الرازي عن كعب: ان موسى عليه السلام قال: اقريب انت فنناجيك أو بعيد فنناديك؟ فقال: يا موسى انا جليس من ذكرني قال: يا رب فانا نكون

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٠٩.

على حال نجلك ان نذكرك عليها من جنابة أو غائط قال: يا موسى اذكرني على كل حال، فلما كان الأمر على هذه الصفة رغب الله تعالى عباده في ذكره وفي الرجوع اليه في جميع الأحوال فانزل الله تعالى هذه الآية.

الرابع: عن عطا وغيره انهم سألوه في أي ساعة ندعو الله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

الخامس: عن ابن عباس: قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء ذلك؟ فنزلت الآية.

السادس: يتعلق سبب النزول بآيات واحكام الصيام، فمن نام بعد الإفطار يحرم عليه الأكل فمن أكل ندم وسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قبول الله توبته فانزل الله هذه الآية.

ومع التسليم بان سبب النزول ليس علة تامة لنزول الآية فان له اعتباراً في دراسة الآية ومباحثها يتسع أو يتضيق بلحاظ ظاهر الآية أو إجمالها فإذا كانت الآية ظاهرة المعنى والدلالة يتضيق اعتبار أسباب النزول، كما هو في هذه الآية التي جاءت متضمنة لمفاهيم العموم وانحلال الخطاب فيها والإذن بالدعاء الى كل مؤمن، بمعنى ان الآية أعم في اسبابها ودلالتها.

وبالنسبة للوجوه التي ذكرت أعلاه فأنها لم ترفع الى المعصوم وليس فيها ما ينسب الى الصحابي الا الرابع والسادس منها، ونسبة هذين الحديثين تحتاج الى تحقيق في السند، أما من حيث الدلالة فان الرابع أخبار عن حال موسى عليه السلام واستصحاب الحال وحصول الشبه لا يصدق عليه انه من أسباب النزول وفق الإصطلاح، وأما السادس

فهو خلاف ظاهر الآية إذ انه دعوة للمؤمنين للإشتغال بالدعاء.

لقد جاء صدر الآية مطلقاً أي ان سؤال العباد لم ينحصر بموضوع الدعاء وحده مما يعني ان أسباب النزول اعم من ان تنحصر بالدعاء والوجوه المتقدمة.

مفهوم الآية

مع كثرة الآيات التي جاء فيها لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ وتعدد موضوعاتها ومجيء لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ مرتين في القرآن، وكثرة مادة (سأل) في القرآن فان هذه الآية هي الوحيدة التي جاء فيها السؤال باداة الشرط، مع نعت السائلين بصفة العبودية وفيها غاية التشريف للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتأديب له وللمسلمين لذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: "ادبني ربي فأحسن تأديبي".

والآية توكيد بان نزول القرآن من عنده تعالى وانه يتضمن الرحمة بالمسلمين واعانتهم على تنظيم شؤونهم العبادية والعقائدية والأخلاقية، وقد جاء السؤال بصيغة الإطلاق وبلا شرط، أي انه سؤال عنه تعالى ولكن وصف السائلين بالعباد يدل على مضامين السؤال وانها لم تصدر الا عن منازل الإيمان والإخلاص، وهذا الصدور كافٍ للبشارة والإخبار عن قربه تعالى وسماعه لسؤالهم وعلمه بافعال المسلمين وصدق ايمانهم.

فالآية مدح للمسلمين وثناء عليهم في عبادتهم وادائهم للفرائض ومنها الصلاة والصيام، ومجيء الآية وسط آيات

الصوم وضمن سياقها اخبار عن ارتقاء المسلمين باداءه منازل التقوى واظهار لأثر الصيام في خلق ملكة الخشوع والخضوع له تعالى والتفات الصائم لوظائفه خصوصاً وان العبودية درجة في سلم الصلاح والإيمان.

و(اذا) ظرف يدل على زمان مستقبل يتضمن معنى الشرط وقد يخرج عن مفهوم الإستقبال والشرط مع وجود القرينة الصارفة، والأقوى الذي عليه الجمهور هو عدم خروجها عن الظرفية.

وقد تدل على المضي والإستمرار والإستدامة كما هو في اغلب استعمالها في القرآن الكريم ضمن مصاديق القواعد الكلية بان القرآن لم ينزل لزمان دون آخر حتى بالنسبة للآيات التي لها اسباب نزول وموضوعات ووقائع لأنها لم تنزل بخصوصها بل ان احكامها باقية الى يوم القيامة فاذا جاءت في القرآن تضمنت معنى الدوام والبقاء موضوعاً واستقراء ودلالة .

فان قلت ان المسلمين بعد انتقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الى الرفيق الأعلى لم يتمكنوا من سؤاله فهل يعتبر الفصل بين الدنيا وعالم الآخرة قرينة على انحصار موضوع الآية بالصحابة، الجواب لا لأن الآية لم تترك السؤال معلقاً على حياته صلى الله عليه وآله وسلم ولم تحل السائلين على آيات اخرى او على السنة النبوية الشريفة بل جاء الجواب عن السؤال المحتمل واسعاً مباركاً من عنده تعالى بصيغة الإستدامة، وصلاحية الآية للوجوه المتعددة والمتباينة الجهات والحيثيات للسؤال تجلت في اطلاق السؤال

وتقييد الإجابة، ومن اعجاز القرآن ان الإجابة الإلهية المقيدة اعم واكبر واوسع من السؤال المطلق، فقربه تعالى يعني اتصال رأفته تعالى على عباده ونزول شآبيب الرحمة بالدعاء والعبادة واداء الفرائض.

لقد غادر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بجسده ليبقى حياً برسالته وسنته، كما ان القرآن امام المسلمين والناس جميعاً ويؤدي وظائف عديدة منها خلافة النبوة والرسالة بتوثيق وتثبيت الوحي.

وقوله تعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ قضية بسيطة غير مركبة لما فيه من الإخبار عن انتفاء الواسطة بين العبد والمولى وان الحجب والوسائط تغيب وتتلاشى عن وجه الإنسان بنيله لدرجة العبودية وتحمله للجوع والعطش ايام رمضان طاعة له تعالى، نعم جاء الجواب مركباً متكوناً من جهات :

الأولى : قرب رحمة الله تعالى من العباد.

الثانية : اجابة الله عز وجل للدعاء.

الثالثة : الحث على استجابة العباد له تعالى.

الرابعة : الدعوة للإيمان به سبحانه.

الخامسة : جاء الهداية والرشاد.

وهذا من فضله وكرمه تعالى، فان الملوك واهل الإحسان يسألهم الإنسان على نحو القضية الشخصية فيعطونه على نحو الموجبة الجزئية واذا تكرر السؤال قل العطاء وظهر الضجر وسوء الظنة اما الغني الكريم الذي انفرد بالألوهية فقد رغب الناس في عبادته ودعاهم الى سؤاله وضمن لهم الإستجابة المركبة المتعددة الأفراد والمواضيع والوجوه.

ان قربه تعالى اعم من استجابته للدعاء ويعني نزول رحمته واسباب الرزق والنماء ودفع البلاء ابتداء وفضلاً منه تعالى، فالآية لا يتعلق موضوعها باستجابته الدعاء فحسب بل هي اعم وفيها اخبار عن الفيض الإلهي، وطرد الشيطان والكدورات الظلمانية عن قلوب المسلمين، والقرب الإلهي عنوان التعاهد للمجتمعات الإسلامية ونصر المقاتلين في ميادين الدفاع وفي الثغور وحفظ القيم الإسلامية والمعارف الإلهية، ومن مضامين القرب الإلهي توفيق المسلمين لوراثة الأرض.

ان الإخبار عن قرب الله تعالى افضل مدد وعون للمسلمين في حياتهم الجهادية والعقائدية والعامة فيمكن تسمية هذه الآية (بآية الضمان الإلهي) فهي حرز وامل.

فان قربه تعالى ليس جهتياً لأنه سبحانه ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ولا يفتقر الى المكان للملازمة بين المكان والماديات، فالمادي هو الذي يحتاج المكان وواجب الوجود منزه عن المحل لأنه سبحانه بسيط مجرد لا يفتقر الى شيء، والإفتقار دليل الإمكان، ولا يكون في جهة لأن الجهة من مصاديق المحل، فقربه تعالى هو علمه وقرب رحمته وهو وعد كريم بالنصر والمدد، لتستقر السكينة في نفوس المسلمين ويذهب عنها الخوف من المستقبل المجهول والأخطار المحتملة.

ومن مفاهيم امره تعالى بالإستجابة انها من خصائص القرب الإلهي أي ان هذا الأمر وعد كريم باجابة الدعوة فكل من كان الله عز وجل قريباً منه يجب ان يتوجه اليه بالدعاء ويستجيب لأوامره شكراً له تعالى لأن القرب الإلهي

اعظم مصاديق التفضيل والعناية بالعباد، وقد اختص به المسلمون فلابد ان يتجلى شكرهم على قربه تعالى بحسن الإمتثال والظاهر ان قربه تعالى من الكلي المشكك أي انه بمراتب متباينة ومتعددة قوة وضعفاً، لذا جاءت الآية بالحث على الدعاء والإستجابة والإيمان فينتفع المسلمون عامة وكل مسلم بصورة خاصة من موائد القرب الإلهي والإفاضات المتصلة التي تترشح عنه.

ومن كرم الله تعالى انه لم يخبر عن قربه للمسلمين خاصة بل جاء بوصف العباد، وطلب من الناس الإيمان به تعالى لحيازة معاني القرب، فالآية دعوة لدخول للإسلام ورفع للحواجز الإختيارية التي يجعلها بعض العباد بينهم وبين نزول الرحمة، وتظهر الآية ان الرشاد غاية ومعلول يحتاج الى مستلزمات ومقدمات وسعي وكسب بالقول والجوارح والقلوب وصيام السمع والبصر واللسان ومخالفة الهوى.

فالآية حث على اتباع نهج الهدى والإجتهاد في طاعته تعالى ووعد كريم بالإعانة والعناية وحسن الجزاء في النشأتين.

إفاضات الآية

لقد سخّر الله عز وجل ما في السموات وما في الأرض لخدمة الإنسان ولنفعه، ولم ينحصر الإنتفاع منها بالمؤمن دون الكافر، وتلك آية في رحمة الله عز وجل.

وجاءت هذه الآية لهداية الناس جميعاً لمفتاح كنوز السموات والأرض ألا وهو الدعاء، وهو من عمومات قوله

تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [(١)]، فكل ما يخطر على الوجود الذهني تجد الطريق إليه بالدعاء، إذ ترشدك هذه الآية الكريمة إلى ذخائر الدين والدنيا بالمسألة ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [(٢)].

فان قلت قد يدعو الإنسان ولكن لا يتحقق ما يريده في دعائه والجواب بين الإستجابة والدعاء بلحاظ الموضوع عموم وخصوص مطلق، والإستجابة والدعاء بلحاظ الموضوع عموم وخصوص مطلق، والإستجابة أعم من جهات:

الأولى: حصول الإستجابة في ذات الموضوع الذي سأله العبد.

الثانية: تأخير الإستجابة ليسمع الله عز وجل صوت عبده وهو يناجيه ويتضرع إليه.

الثالثة: الإستجابة على مراتب والله أعلم بالمصلحة، وهو الذي لاتستعصي عليه مسألة.

الرابعة: إقتران الإستجابة كما وكيفاً بالشكر لله عز وجل فكلما إزداد العبد شكراً زاد الله عليه من فضله سواء كان الشكر قولياً أو فعلياً.

الخامسة: الإستجابة في موضوع آخر غير الذي سأله العبد ولما فيه خيره ونفعه.

السادسة: إرجاء الإستجابة إلى الآخرة، قال تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [(٣)].

---

(١)سورة إبراهيم٣٤.

(٢)سورة الأنعام٨٠.

(٣)سورة العنكبوت٦٤.

أخرج الحاكم عن جابر مرفوعاً: يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول : عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني؟ فيقول : نعم يا رب . فيقول : أما أنك لم تدعني بدعوة إلا أستجيب لك ، أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول : بلى يا رب . فيقول : فإني عجلتها لك في الدنيا . ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ، فيقول : نعم يا رب . فيقول : إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا . ودعوتني في حاجة قضيتها لك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فلا يدعو الله عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا ، وإما أن يكون ادخر له في الآخرة.

فيقول المؤمن في ذلك المقام : يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه[1].

لقد أخبر الله عز وجل بانه قريب ولأنه هو الكريم فانه قرن الإخبار بالعطايا والمنح والهبات لكي يدرك الناس بعقولهم وحواسهم قربه منهم، ويفرحون بهذا القرب لأن فيه خير الدنيا والآخرة، فليس بين الله وبين عباده حجاب، فهو يسمع دعاءهم وسؤالهم وتلاوتهم لآيات القرآن، ووقوفهم بين يديه للصلاة، والقريب منك يعلم عبادتك وتقواك وكيف تقضي نهار الصيام، ليكون في الإخبار عن قربه تعالى الثواب

(١)الدر المنثور١/٣٩٢.

العظيم، وبشارة الفوز في النشأتين، قال تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

يحتاج الصبر التقرب إلى رحمة الله، والنهل من كنوزها، وجاءت هذه الآية لتخبر عن قرب الله عز وجل من العباد مجتمعين ومتفرقين، وإجتماعهم بلباس الملة والعقيدة، أو بخصوص الإنسانية وحدها التي تعني بالأصل العبودية لله، وتتجلى مفاهيم العبودية والخشوع لله بالدعاء والمسألة، فأراد الله عز وجل للناس إظهار هذه الصفة بالدعاء، والترغيب به والوعد عليه بالإجابة.

وقال بعض العارفين الحق تعالى منزّه عن الأيْنِ والجهة والكَيْف والمادة والصورة. ومع ذلك لا يخلو منه أَيْنٌ ولا مكان ، ولا كم ولا كيف، ولا جسم، ولا جوهر ولا عرض ، لأنه لِلُطْفه سَارٍ في كل شيء ، ولنُوريته ظاهر في كل شيء ، ولإطلاقه وإحاطته متكيّف بكل كيف ، غيرُ متقيِّد بذلك، فمَنْ لم يعرف هذا ولم يُذقْه ولم يشهدْه فهو أعمى البصيرة، محرومٌ من مشاهدة الحق تعالى(٢).

وأول الكلام أعلاه صحيح وتام، وعليه إجماع المسلمين والعقل، ولكن قوله (لايخلو منه أين ولا مكان ولا جسم ولا جوهر ولا عرض) ضد لأول الكلام، لأن المخلوقات غير الخالق،قال﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ والقرب يفيد التعدد والغيرية بين القريب والقريب منه، فلا يصح القول أن الله عز وجل في الجسم والجوهر والعرض.

(١)سورة الأعراف٥٦.
(٢)البحر المديد ١٤٨/١.

ولعل في البين قسوة قسوة من أناس يظهرون الزهد في الحياة بقوله أعلاه: فمن لم يعرف هذا ولم يذقه ولم يشهده فهو أعمى البصيرة، محروم من مشاهدة الحق تعالى، والله سبحانه هو القائل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (١)، والمشاهدة تكون لآياته وبديع صنعه والتدبر في المخلوقات التي تدل على عظمة الخالق، وليس من محو وإضمحلال كما يقولون، وثبوت للوصال وزوال للبين، بل هي صلة العبد بخالقه، الذي جعل الدنيا دار عبادة ومزرعة للآخرة، وأمر الناس بالصلاة والصيام.

فان قيل إن الله عز وجل هو الذي يقول ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٢)، والمراد عدم صيرورة أعضاء البدن حاجزاً عن الله عز وجل فهو يعلم بها قال تعالى ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٣)، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الآية: السر ما كتمته في نفسك، وأخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته(٤).

وفي المقام حث على الدعاء بالعلانية والسر، والإنقطاع إلى الله عز وجل(وحبل الوريد : عرق العنق) (٥)، وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: نزل الله من ابن آدم أرفع المنازل هو أقرب

---

(١)سورة الانعام١٠٢.

(٢)سورة ق١٦.

(٣)سورة طه ٧.

(٤)بحارالأنوار٤/٧٩.

(٥)الكشف والبيان١٢/٢٩٢.

إليه من حبل الوريد ، وهو يحول بين المرء وقلبه ، وهو آخذ بناصية كل دابة ، وهو معهم أينما كانوا[1].

وفي أسباب النزول بيان لمعنى القرب، وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تعجزوا عن الدعاء فإن الله أنزل عليّ { ادعوني أستجب لكم } فقال رجل : يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾.

وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه لما أنزلت ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قالوا : لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب } إلى قوله { يرشدون }[2].

لقد أنعم الله عز وجل على الأنبياء والمؤمنين والناس جميعاً بالتنزيل، ثم تفضل وفتح لهم قوس الصعود بالدعاء، والمسألة ، وهو سبحانه قريب منهم، يحب أن يسمع مناجاتهم ومسائلهم، وليس من بلغة ووسيلة لقضاء الحوائج إمتلكها ويمتلكها الناس مثل الدعاء، وتلك آية في بديع خلق الإنسان، وتغشيه بفضل الله عز وجل في أمور حكمها.

وبالإسناد عن أبي موسى الأشعري قال: قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كتائب فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ

(١)الدر المنثور٩/٢٧٨.
(٢)الدر المنثور١/٣٩٠.

شَرَفًا وَلَا نَعْلُو شَرَفًا وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ قَالَ فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ[1].

الآية لطف

لقد ذكرت الآية طرفين:

الأول: النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني: الناس.

فيأتي الناس يسألون النبي عن الله عز وجل فتفضل وأخبر بأنه قريب من الناس حاضر معهم يسمع نجواهم، ويرى أعمالهم، وبالإسناد أعرابيًا قال: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2].

ومن الشواهد بلحاظ الآية بأن الله قريب منا أمران:

الأول: إن الله عز وجل يسمع سؤال المسلمين والناس للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني: إجابة الله عز وجل على السؤال الموجه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) مسند أحمد ٩١/٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٦/١.

الثالث: التحدي بتأكيد قرب الله عز وجل من الناس.

الرابع: تضمن هذه الإجابة الوعد الكريم بقضاء الحوائج بقوله تعالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ومجئ الآية بصيغة المضارع ولغة الجمع، أي أن الإجابة متكررة ومتعددة لذات السائل.

ومن اللطف الإلهي في الآية أنها إبتدأت بصيغة الجمع في السؤال(عبادي) بينما جاءت الإستجابة بصيغة المفرد(الداع) وفيه وجوه:

الأول: إرادة السائل المنفرد والمتعدد.

الثاني: إجابة الدعاء المتكرر من ذات السائل.

الثالث: إنتفاء الملازمة بين السؤال عن قرب الله وبين الدعاء، إذ تبعث الآية على الدعاء، وتدعو المسلمين إلى الإنتفاع من قانون قرب رحمة الله عز وجل من الناس بالدعاء والمسألة، والخشية من الله، فمتى ما شعر العبد أن الله رب العالمين قريب منه فانه يستحي منه، ويحرص على فعل الصالحات، وإستدامة إرتدائه لرداء التقوى، قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (١).

ترى لماذا لم تختتم الآية بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كما جاء في الآية التالية التي جاءت بخصوص إباحة وطئ المسلمين لأزواجهم ليلة الصيام، أو كما في الآية السابقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ والتي جاءت بلغة الخطاب للمسلمين.

والجواب أن آية البحث عامة للعباد تؤكد قرب الله عز وجل من كل إنسان مسلماً كان أو كتابياً أو كافراً، ومن يسمع بقرب الله منه يخشع ويخضع له عز وجل، فاذا كان مسلماً

---

(١) سورة الشعراء ٢١٧-٢١٨.

إزداد إيمانه، وإذا كان كافراً إستحى من الله، وإمتلأت نفسه بالنفرة من الكفر والضلالة، قال تعالى﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾(١).

الصلة بين أول وآخر الآية

جاءت الآية على وجوه ترتيبية:

الأول:إبتدأت الآية بادات الشرط المقرونة بلغة الخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾.

الثاني: صيغة الجملة الخبرية(فاني قريب) التي تفيد التصديق والقطع بقرب الله عز وجل من الناس مجتمعين ومتفرقين، وهو سبحانه قريب من كل مخلوق من مخلوقاته.

وفي الآية حذف والتقدير(فاني قريب منهم) وهل من إختلاف بين قربه تعالى من الناس وافعالهم وحضورها عنده سبحانه.

الجواب لا، لأن قربه بصفة الربوبية المطلقة، وفي التنزيل﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (٢).

الثالث:الوعد الكريم باجابة الدعاء، ومن الآيات تعلق الإجابة في الآية بذات الدعوة، لمنع دبيب الشك إلى نفس الإنسان عند تأخر الإجابة، فقد يظن بان أفعاله وذنوبه تحجب دعاءه، فمن اللطف الإلهي أن الإستجابة ملازمة لذات الدعوة من غير إعتبار لحال الداعي.

---

(١)سورة الحجرات٧.

(٢)سورة الحديد٤.

الرابـــع :الأمر الإلهـــي للنـــاس بالإســـتجابة لـــه ســـبحانه، والإقـرار بربوبيتـه والإمتثـال لأوامـره، وإتيـان الفـرائض الـتي أمـر بها من الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها.

لـذا إبتـدأت الآيـة بحـرف العطـف الـواو﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ لإفـادة عطفهـا علـى آيـات الصـيام، والإخبـار بعـدم وقـوف المسـلمين عنـد مراتـب الشـكر لله، فلابـد أن يبـادروا إلى المسـألة والـدعاء للفـوز في الـدارين، ليكـون الإيمـان والإمتثـال لأمـر الله وحفـظ حـدوده، وتـرك مـا حرّمـه مقدمـة لقبـول الـدعاء وشـكر لله عـز وجـل علـى قربـه مـن العبـاد، وعـدم تـركهم وشـأنهم، وسـبيلاً للرشـاد، وضياء ينير دروب الصلاح والفلاح.

ولمـا إحتجـت الملائكـة علـى جعـل آدم خليفـة في الأرض إحـتج الله عـز وجـل علـيهم بسـلطان الربوبيـة ولغـة البيـان والوعـد الكـريم وإحاطتـه بعلـوم الغيـب بقولـه تعـالى﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (1).

ومـن علمـه تعـالى أنـه سـبحانه قريـب مـن النـاس وإن كـانوا في الأرض ولـيس مـع الملائكـة في السـماء، وأنـه سـبحانه فـتح بـاب الـدعاء للنـاس جميعـاً، ووعـدهم عليـه الإسـتجابة بمـا فيـه صلاحهم ورشدهم وفلاحهم.

وجـاء تقييـد الـدعوة المجابـة بأنهـا لله عـز وجـل مـن غـير واسـطة ملـك أو نـبي أو ولـي، ولـيس مـن أحـد أقـرب إلى النـاس مـن الله عـزو جـل، لـذا قـال تعـالى﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي﴾ وفيـه تنميـة لملكـة الإيمـان والإسـتغناء عمـا في أيـدي النـاس، رجـاء لإسـتجابة الله عـز وجـل الـتي جـاءت في الآيـة

(1)سورة البقرة٣٠.

مطلقة ليس لها حدّ في الكم والكيف والجنس، ليكون الدعاء مناجاة لله وثناء عليه، وتسليماً بسلطانه في السموات والأرض.

عن ابن عباس قال: حدثني جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اللهم أمرت بالدعاء، وتوكّلْتَ بالإجابة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك، أشهد أنك فرد أحد صَمَد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوًا أحد، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور[1].

من غايات الآية

في الآية مسائل:

الأولى: إبتدأت الآية بحرف العطف الواو(وإذا سألك) لإفادة إتصالها بآيات الصوم التي تقدمتها، وأن الصيام مناسبة كريمة للدعاء، ولبيان حقيقة وهي أن الشكر لله عز وجل باب للمعرفة ونزول الرحمة إذ أن صلة خاتمة الآية السابقة مع أول هذه الآية هو(لعلكم تشكرون)و(وإذا سألك عبادي).

الثانية: إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بان يتفضل الله عز وجل عليه ويخبره بجواب ما يسأله الناس،

(١)تفسير ابن كثير١/٥٠٩.

سواء كانوا من المسلمين أو اليهود أو غيرهم، فلم تقل الآية(وإذا سألك الذي آمنوا) بل وردت بلغة العموم(الناس).

وتفيد الألف واللام الجنس والإستغراق، وفيها نوع تحد للناس وجذبهم لمنازل الإيمان بسؤال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما يدل على صدق نبوته.

الثالثة: دعوة أهل البيت والصحابة للإنتفاع من نعمة النبوة، وحضور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم بالسؤال عن أمور الدين والدنيا، لأن الله عز وجل هو الذي يجيبهم بما فيه خيرهم.

فان قلت القدر المتيقن من الآية هو السؤال عن الله بدليل القيد الظاهر فيها﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾.

والجواب جاءت آيات القرآن بما يفيد تفضل الله عز وجل بالإجابة في أمور الدين، وقد ورد لفظ(يسألونك) خمس عشرة في القرآن، وكلها تتضمن الأحكام والبيان، نعم ورد تنبيه وتأديب للمسلمين بقوله تعالى﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(١).

الرابعة: لقد جعل الله عز وجل الإنسان كائناً محتاجاً، لأن الحاجة ملازمة لعالم الإمكان، وما من مخلوق إلا ويحتاج الله عز وجل، فجاءت هذه الآية ببيان مفتاح هذه الحاجة وهو الدعاء والمسألة وسؤال الله عز وجل لقضاء الحاجات، لتكون بشارة ووعداً كريماً مصاحباً للإنسان.

---

(١)سورة المائدة١٠١.

الخامسة: ترغيب الناس بدخول الإسلام، والإنتفاع الأمثل من الدعاء وسيلة مباركة لمناجاة الله عز وجل والدنو من حضرة القدس، فاذا كان هو سبحانه قريباً فان الدعاء يقرب الإنسان من الله عز وجل، وفيه حجب عن المعصية والفسوق، لأنه باعث على طاعة الله، وسياحة في عالم الملكوت.

السادسة: يمكن تسمية الحياة الدنيا(رحلة الدعاء) إذ يكون فيها العبد منقطعاً إلى الله بالدعاء، راجياً فضله وإحسانه، ومن الآيات أن الآية تتضمن الترغيب بالدعاء، والحق على اللجوء إليه في حال الشدة والرخاء، وعند الرجاء، ودفع البلاء.

السابعة: لقد فتح الله عز وجل باب الدعاء للناس جميعاً وهو من كرمه ولطفه سبحانه بالناس جميعاً، فلذا جاءت الآية بصفة(عبادي) وفي إضافة العباد لله عز وجل تأكيد لرحمة الله عز وجل في الحياة الدنيا بالناس جميعاً، ودعوة لإقتران الدعاء بالإيمان والتسليم بالعبودية لله عز وجل، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [1].

الثامنة: الأمر الإلهي إلى الناس بالإستجابة له، والإمتثال لأوامره، وإتيان الفرائض والواجبات.

التاسعة: يحتمل قوله تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ وجوهاً:

الأول: جعل الإستجابة لله مقدمة لقبول الدعاء.

---

(١)سورة الزمر٣٦.

الثاني: الإستجابة شكراً لله عز وجل على إجابة الدعاء، ما جرى منه وما يأتي من العبد مستقبلاً، لتكون الإستجابة ظرفاً ووسيلة لتفضل الله عز وجل بالإستجابة.

الثالث: الإستجابة لله أمر واجب قائم بذاته.

ولا تعارض بين هذه الوجوه، وكلها من مصاديق الآية الكريمة، قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

ولقد أراد الله عز وجل تنمية ملكة الإيمان عند المسلمين، وإتخاذ الدعاء صديقاً وصاحباً وأنيساً حتى إذا ما تحقق مصداق للإستجابة في موضوع ومسألة إزداد إيمان المسلم وهو من عمومات قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل[2].

العاشرة: جاءت خاتمة الآية برجاء الرشد والهدى للمسلمين والناس جميعاً، ومن الآيات الإطلاق في موضوع الرشد الذي أختتمت به الآية، والذي لم يرد في القرآن إلا في هذه الآية لبيان تعدد مواضيعه وسننه لأنه مستقرأ من الدعاء وما فيه من الرشحات على المسلمين والناس جميعاً، والتي هي من اللامتناهي لأنها من فضل الله عز وجل، ولأن

---

(١)سورة الأنفال٢٤.

(٢)تفسير ابن كثير١/٥٠٨.

باب الدعاء مفتوح للناس جميعاً من غير حاجز أو برزخ وأنّى يكون هناك برزخ والله عز وجل أقرب إلى الناس جميعاً من غيره، ولو توجه الناس جميعاً بالدعاء في وقت واحد أو على مدار الساعة فان الله يسمعهم جميعاً ويجيبهم من غير أن ينقص من خزائنه شئ.

ومن الرشد إجتناب الدعاء بالمعصية والأثم، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال يستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال، قال: يقول: قددعوتُ، وقد دَعَوتُ، فلم أرَ يستجابُ لي، فَيَسْتَحسر عند ذلك، ويترك الدعاء[1].

التفسير

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

مبادئ الإسلام ثورة عقائدية نفذت الى القلوب ودخلت كل بيت وأصبحت الرسالة الإسلامية وآيات القرآن حديث المنتديات والمجالس وجاءت وفود القبائل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتعلن إسلامها أو لتجعل قبله مقدمة وهي ان ترى الآيات لذا كانت تلك الوفود تتكون من رؤساء القبائل ووجهائها ويكثرون من السؤال لا عن تعنت وشقاق بل طلباً للمعرفة .

فجاءت هذه الآية لتجيب عن سؤالهم عن الذات المقدسة باعجاز وصرف الى ما فيه نفعهم، ان السؤال عن الذات المقدسة ذو وجوه متعددة، منها ما لا تحيط به عقول البشر ومنها ما يتعلق ببديع صنعه سبحانه، والسؤال في

(١)تفسير ابن كثير١/٥٠٨.

الأول منهي عنه بخلاف الثاني فانه طريق للإيمان وعن الإمام الباقر عليه السلام: ليس لله على الخلق ان يعرفوا، وللخلق على الله ان يعرّفهم، ولله على الخلق إذا عرفهم ان يقبلوا.

والدعاء اجتياز سريع للمسافات، واتصال مباشر باختراق الحواجز، ومناجاة روحية حتمية الوصول الى الغاية والمبدأ، وكأنه خارج عن قوانين الطبيعة واحكام السببية من غير ان يتعارض مع قوانين العلة والمعلول والقاعدة الفلسفية التي تقول باستحالة تخلف المعلول عن علته، والعلة قد تكون تامة وهي عبارة عن جميع ما يحتاج اليه المعلول سواء كانت مركبة من اشياء متعددة او بسيطة متحدة، واما ان تكون ناقصة وهي التي تكون جزءاً او شطراً مما يحتاج اليه الشيء ويتوقف عليه، فعليه هل الدعاء من الأول ام من الثاني، الجواب انه منهما معاً، فقد يكون الدعاء كل سعي المسلم وعلة تامة لحصول الشيء وتحققه في الخارج، وقد يكون بعض علة فيأتي متمماً، او يستلزم التمام بالسعي والتحصيل سواء لطبيعة القابل وتوقفه على اسباب مادية، او بسبب ذات الدعاء او الداعي نفسه من جهة الأهلية والقصد والاخلاص او مراتب الثواب، او لطفه تعالى بتحقيق الأشياء بالدعاء والعمل معاً لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان ومزرعة للآخرة وعمل الصالحات.

وقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لو عرفتم الله حق معرفته لزالت لدعائكم الجبال، وفيه تظهر الملازمة بين المعرفة وترتب الأثر على الدعاء باعتبار انها من فلسفة الدعاء وسر من اسراره وضرورة ارتكازه على المعرفة التي تترشح على النية والمقاصد الشريفة للدعاء وموضوعه وكيفية التوسل بلباس التضرع.

والدعاء اقرار بالربوبية وخشوع من منازل الذل والعبودية وانقطاع الى الباري عز وجل واستغناء عما في ايدي الناس لذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: اذا اراد احدكم ان لا يسأل ربه شيئاً الا اعطاه فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء الا عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً الا اعطاه[1].

وتعتبر مدرسة الدعاء في السنة واحاديث اهل البيت اكبر موسوعة وقسماً من اقسام الحديث، وتتضمن اسراراً ملكوتية لصيغ الدعاء ومقدماته وسننه وكيفية الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه، وشاهداً على الوثوق من الإستجابة، وحسن الإستعداد للدعاء ومعرفة شرائطه وان الإستجابة لا تدرك الا بآداب وشروط سواء تلك التي تتعلق بتطهير المأكل، واجتناب الحرام والظلم، او بتقديم المدحة والثناء، والإعتراف بالذنب، واظهار المسكنة وشدة الحاجة، والتباكي والصلاة على النبي وآله، وقد ورد عن الصادق عليه السلام انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلاتكم علي اجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم[2].

لقد جعل الله عز وجل القرآن آلة المعرفة وسلاحها فقد اشارت هذه الآية وبلطف الى كيفية التدبر في قدرته تعالى بما يتجلى من فضله تعالى في استجابة الدعوة وتحقيق المطالب ودفع المكاره، فقد يأتي قضاء الحوائج بالدعاء بخلاف نواميس الطبيعة مما يدل على صدق الإستجابة منه تعالى وبقدرته سبحانه، لقد ارادت الآية ان تثبت وجود واجب الوجود وانه تعالى لا يوصف بالعجز، واخبرت عن قربه

(١)البحار ١٠٧/٧٢.

(٢)البحار ٩١/٥٤.

تعالى من العباد وهذا القرب ينبسط وينحل بعدد العباد فهو سبحانه قريب من كل انسان وفي هذا بيان لقدرته وعظيم سلطانه وارادته التي تعني احداثه للشيء من غير تفكر فيه أو هم به، فليس له سبحانه كيف.

والإطلاق في قربه تعالى من العباد ينفي التشبيه عنه تعالى ويدل في مفهومه على منع السؤال عن الذات المقدسة وطلب الحجة والبرهان بالآيات الشخصية والنوعية، قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ فهذه الآية ارادة لنوع كريم من الآيات في الأنفس والذات الإنسانية فقد تأتي الآيات والبراهين الدالة على واجب الوجود بصيغة الإبتلاء والإمتحان أما هذه الآية فالشواهد والبرهان فيها على نحو استجابة الدعاء للمؤمن الذي يسأل الله أي ان الآية تقول بدل ان تسألوا عن ذات الله تعالى اسألوا عن البينة الواقعية النافعة التي تهديكم الى الإيمان وترسخه في قلوبكم.

ولقد جاءت آيات عديدة بلفظ ﴿يسألونك﴾ على نحو التحقيق والتذكير بالنسبة للسائل خمس عشرة مرة، وفيها بالدلالة التضمنية الالتجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحصيل العلم والمعرفة التكوينية والتشريعية لأن السؤال متقوم بطرفين احدهما أعلى رتبة من الآخر، السائل الجاهل، والمسؤول العالم، ولو كان بين متساويين في الجهل لجاء بصيغة التساؤل، ويعرف انتماء السائل بالقرائن او اسباب النزول ولم ترد اداة الشرط في السؤال ﴿اذا سألك﴾ الا في هذه الآية ولا يعني هذا التعليق الشرط وفق الصناعة النحوية، لأمرين الأول الكبرى الكلية وهي ان صفاته عين ذاته وان اجابته للدعاء مستديمة، والثاني قرينة نوع السائل

بقوله تعالى ﴿عِبَادِي﴾ وان السؤال جاء بمضامين العبودية والتسليم وليس اختباراً او تشديداً على النفس بل انه التجاء واستغاثة، فجاءت الآية لإرشادهم الىمفاتيح الإستجابة وكيفية صيغ الإلتجاء وطريق الوصول الى الغايات واتخاذ الدعاء آلة وسبيلاً، فهو سلاح الأنبياء ومن مصاديق الرد بالشكر والثناء على نعمة نفخ الروح في الإنسان.

ويأتي جواب ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في القرآن عادة ب﴿قُلْ﴾ كما في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أما في الآية محل البحث فقد جاء الجواب مباشراً من غير واسطة لوجوه:

الأول: ان الدعاء من افضل الاعمال.

الثاني: ان العبد اقرب ما يكون الى الله تعالى وهو في حال الدعاء.

الثالث: اخبار عن عدم وجود الواسطة بين الداعي وبين الباري عز وجل.

الرابع: تدل الآية بالدلالة التضمنية على البشارة بالاستجابة.

الخامس: الظاهر ان السؤال من منازل الإيمان بقرينة (عِبَادِي).

السادس: ان قربه تعالى مطلق بالنسبة لكل انسان ولكن اجابته للدعاء خاصة بمن يدعوه.

السابع: الآية حث على التوبة والانابة.

الثامن: الآية دعوة للتوجه الى الباري عز وجل وترغيب في المسألة والدعاء.

التاسع: تبعث الآية السكينة والاطمئنان لما تدل عليه

بالدلالة التضمنية من قبول الصالحات وسماع الاستغاثة.

العاشر : الظاهر ان في الآية نهياً عن التفكر في الذات المقدسة، وفيها دعوة لمعرفة عظمته تعالى بعظيم عطائه واحاطته وعلمه بالاشياء جميعاً وحضورها عنده.

وبذا يكون القرب اعم، وفي مفهوم عمومه والنسبة بينه وبين اجابة الدعاء نوع انذار لأولئك الذين لا يؤمنون، لأن قربه تعالى يعني بالضرورة الحسية الوجدانية علمه بافعال العباد، ومقاصد السائلين والقرب هنا يعني حضور الأشياء جميعها عنده تعالى وعلمه بالحوادث والجزئيات وليس القرب المكاني ان قوله تعالى ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ اعم من استجابة الدعاء فاستجابة الدعاء من فروعها المباركة ومصاديق الوعد للقرب، ومنها الرزق الكريم، وقبول التوبة والستر والمغفرة والعفو، ومنع المعصية من الوصول الى ساحة المؤمن، ودفع البلاء والهلكة عن الإنسان، فضلاً منه تعالى.

كما ان البعد واللعنة تعني الوعيد والتخويف والطرد من سواحل الرحمة، لأن بطشه شديد وسريع، وانه تعالى يرى الأعمال ويعلم بتعدي اهل الكفر والضلال على لإسلام وتحريفهم لصفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا القرب ينتفع منه المؤمن، ويتضرر منه الكافر والمنافق وفيه نكتة اخرى وهي توكيد حضور الممكنات عند الصانع المختار، وانه تعالى منزه عن التغيير وانه تعالى يفعل ما يشاء ويمحو ما يشاء بابداع صرف متفرع عن القدرة المطلقة وليس عنده قصور او فتور.

والقربة وقربه تعالى ليس مكانياً او جهتياً بل هو العلم وحضور الأشياء جميعها عنده، فالآية تنفي المسافة والحجب

عن دعوة الداعي ولا نحتاج الى ملك ينقلها، فكما يتلقى سبحانه الصدقة منك على الفقير فمن باب الأولوية انه تعالى يسمع الدعاء من غير فاصل زماني قل او كثر، واخبار الآية عن قربه تعالى يدل بالدلالة الإلتزامية على البشارة بحسن الإستجابة ولا يخيب رجاء من سأله بل هي حث على الدعاء.

وفي الإعتداء في قوله تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] قيل (هو رفع الصوت بالدعاء، والصياح في الدعاء مكروه وبدعة)[2]، ولادليل على هذا التفسير، نعم يكون الصياح بالدعاء مكروهاً بالعنوان الثانوي وما يسببه الصياح من الأذى، وقد يكون الدعاء بصوت عال أمراً راجحاً بلحاظ القرائن والمنافع الحالية.

وقيل بكراهة الإسهاب في الدعاء، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم " سيكون قوم يعتدون في الدعاء ، وحسب المرء أن يقول : اللّهمّ إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل[3].

وهل في قوله (فاني قريب) دعوة للدعاء بإخفات خصوصاً مع قوله تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[4]، الجواب لا، فان المراد من القرب سماع الله عز وجل للدعاء مطلقاً

---

(١)سورة الأعراف ٥٥.

(٢)أنظر الكشاف ٨٣/٢ .

(٣)الكشاف ٨٣/٢ .

(٤)سورة الأعراف٥٥ .

سواء كان علناً أوخفية وأنه سبحانه يتفضل بالإستجابة ، وهو سبحانه ليس بمكان ، لأن المكان عنوان الحاجة ، والله غني ومنزه عن الحاجة.

وعن أبي موسى عن أبيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ثلاثة يدعون الله فلا يُستجاب لهم: رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلّقها، ورجل كان له دين فلم يشهد، ورجل أعطى سفيهاً مالاً، وقد قال الله تعالى: {وَ تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمْ})[1].

وفي الحديث تأديب وإرشاد للمسلمين، وهداية لهم لسبل الصلاح ، وقبل أن تخرج هذه الحالات الثلاثة بالتخصيص من الإستجابة لورودها على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن الحديث جاء ليكون المسلم في حال يقضة وعصمة من الغفلة.

تفسير قوله تعالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

الظاهر ان الجملة استئنافية فمع قربه تعالى فانه يستجيب للدعاء وسؤال الحاجة ، وفي الآية مسائل :

الأولى : في الآية حث على الدعاء.

الثانية : ادراك لزوم الإقرار بالتوحيد وصدق النبوة بالدعاء وما يتفرع عنه من الإجابة.

الثالثة : لتبدو منافع الدعاء المركبة فبالإضافة الى ما فيه من الفيض الإلهي على النفس الإنسانية فانه مسلك لقضاء الحوائج والتخفيف من اعباء الحياة، لتوظيف الفائض من الجهد والوقت في مرضاته تعالى.

(١)الكشف والبيان ١٣٨/٢.

الرابعة : قد يقال ما دام كل شيء حادث هو بعلم الله تعالى وان الأمر قد قضي وابرم فما هي فائدة الدعاء، الجواب: على فرعين:

الأول: ان الله عز وجل يغير ويبدل ويصلح الأحوال ويدل عليه آيات عديدة منها قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

الثاني: ان فضله تعالى واسع عظيم وان الله عز وجل يرزق بالدعاء ما لم يكن مكتوباً، وعن ميسر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يا ميسر ادع ولا تقل، ان الأمر قد فرع منه ان عند الله عز وجل منزلة لا تنال الا بمسألة، ولو ان عبداً سد فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فسل تعط"[2].

الأولى : الآية تثبت عظيم قدرته تعالى لورود الإجابة على نحو مطلق من غير تقييد في كم أو كيفية الإستجابة.

الثانية : تفتح الآية باباً للرحمة الإلهية فهي هبة من هبات القرآن وبه تحقق الرغائب ولكن بالواسطة إذ انه يدل على الدعاء.

الثالثة : تدل وترشد الآية الى سلاح وكنز مدخر وآلة مباركة وهو الدعاء، وتدعو للتوجه الى الله عز وجل في بث الشكوى وطلب الإعانة والنصرة وفضح صيغ التشكيك والتحريف، وعن الرضا عليه السلام: عليكم بسلاح الأنبياء فقيل: ما سلاح الأنبياء قال: الدعاء.

---

(١) سورة الرعد ٣٩.

(٢) الكافي ٢/٤٦٦.

الرابعة : الآية دعوة للإرتقاء في عالم الملكوت والإغتراف من الفيض المطلق.

الخامسة : في الآية اكرام لمن يدعو الله عز وجل ومدح له اثناء تلبسه بالدعاء.

السادسة : جاءت الإجابة في الآية على نحو الجزم والتحقيق ولم ترد بعنوان الإستماع لأنه اعم من الإجابة لذا حملت الآية البشارة بصيغة القطع واليقين، نعم وردت الإستجابة مطلقاً أي وان لم تكن بذات المسألة.

السابعة : ورود الدعاء على نحو الإطلاق سواء كان سراً أو علانية وشخص الداعي متحداً أو متعدداً.

تفسير قوله تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾

الأولى : في الآية التفات موضوعي وانتقال كريم من الإخبار والوعد باجابة الدعاء الى الأمر بالإستجابة وحسن الإمتثال.

الثانية : تقدمت الإستجابة على الإيمان ولا يعني هذا بالضرورة السبق الرتبي والتقدم الزماني بل هو من عطف العام على الخاص، فالإستجابة من اصدق وجوه الإيمان.

بحث بلاغي

اختلف علماء النحو في الواو هل هي تفيد الترتيب ام انها لمطلق الجمع، والأكثر على الثاني، وقال جماعة منهم قطرب والفراء وهشام انها تفيد الترتيب، ولعل النزاع بينهم صغروي وانها احياناً تفيد الترتيب والمعية، واخرى لا تفيد الترتيب ويعرف ذلك بلحاظ القرائن.

والظاهر انها في هذه الآية لا تفيد الترتيب والقدر المتيقن من الآية الملازمة بين حسن الإمتثال والإيمان وانها طريق مبارك لقبول الدعاء، وعن زرارة عن الصادق عليه السلام: "الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر ، وفي الآية مسائل :

الأولى : بينما كانت اجابة دعوة الداع بصيغة المفرد جاء الأمر بالإستجابة بصيغة الجمع لأنه خطاب عام وحث للناس على دخول الإسلام والعمل باحكامه وفيه نكتة عقائدية وهي حث كل مكلف على نحو مستقل على الدعاء وان غفل عنه الآخرون او الشركاء في ذات الموضوع او المسألة والحاجة.

الثانية : ان اجابة الدعاء وقضاء الحوائج مطلقاً يدل على عظيم القدرة واستحقاق العبادة والإيمان بالحق سبحانه.

الثالثة : من صفات المعبود الذاتية انه يجيب الدعاء، ولا يقدر غيره على ذلك لأن ما عداه ممكن، والممكن محتاج، ولا يستطيع الإستغناء عن غيره وقدرته محدودة خلقاً وواقعاً، واجابة الدعوة ينفرد بها الغني عن الغير ومما ينفرد به سبحانه عدم الحاجة للغير ومن اسمائه الحسنى (الغني).

الرابعة : اجابة الدعوة طريق الى الإيمان والهداية وقد ترى انساناً يبتلى بضيق وشدة فتكون آية ايمانه الدعاء لأنه يدرك عندها ان لا منجي له الا الله.

الخامسة : الدعاء استغناء عن الآخرين ومناسبة للتدبر في الخلق وانقطاع الى الله تعالى.

تفسير قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

لعل تفيد التمني والترجي أي ان حسن الطاعة وايمان القلب سبيل للهداية والرشاد والأمن في الدارين، وفي الآية اشارة الى عمل الصالحات وان الرشد يتكون من الإلتزام بالعبادات، ومن أداء حقوق الناس.

وفي الآية نكتة عقائدية وهي ان اجابة الدعاء لطف له منافع متعددة منها انه عون على الرشاد فمتى ما علم العبد انه ضعيف محتاج، وان الله لم يخل بينه وبين الأسباب وازاح كل الوسائط باتخاذ طريق الدعاء فانه يتوجه الى عبادته باخلاص وانقطاع وتسليم، ويهتدي الى سبيل النجاة، وبالإيمان واتيان الفرائض يرتقي في مراتب الكمال وتزداد بصيرته، وبذا تكون استجابة الدعاء وبقاء بابها مفتوحاً في كل زمان ومكان على نحو الإطلاق وطريق سالك الى الرشاد والفلاح في امور الدين والدنيا.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السِفر المبارك

١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.

٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.

٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.

٤- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى/ العراق

٥- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي .

٦- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .

٧- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام .

٨- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.

٩- سيادة رئيس محكمة استئناف بغداد / الكرخ

١٠- سعادة أ.د .رئيس جامعة دمشق .

١١- سعادة أ.د .رئيس جامعة ديالى .

١٢- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية

١٣- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.

١٤- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.

١٥- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.

١٦- عادة أ.د رئيس جامعة واسط / العراق .

١٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.

١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.

١٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.

٢٠- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٢١- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.

٢٢- سعادة أ.د.مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨م

مصطفى عباس

٦/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية مصر العربية
دار الإفتاء
مكتب المفتي

المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ.د/ علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL

OIC/CAB-01/2012 001010 — جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب"معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون-الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

مستشار الأمين العام

جمهورية العراق

مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم(١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ٢٠١٧/١٢/١٧.

تلقينا ببالغ الإعتزاز إهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم(معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/ ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق رئاسة الوزراء مستشارية الأمن القومي		Republic of Iraq Prime Ministers National Security Advisory

العـــدد: ٣٢٥١
التـاريـخ: ٧ / ١١ / ٢٠٢١

مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشداً وفي الآخرة شفيعاً. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي

مستشارية الأمن القومي

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
المحكمة الاتحادية العليا
مكتب رئيس المحكمة

كو٧مارى عيراق
د اد كاي بالآي ئيتتيحادي

العدد : ٥٥ /مكتب/ ٢٠٢١

التاريخ: ١٦/ ٩/ ٢٠٢١

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالغ الاعتزاز اهداءكم القيم (الجزء (٢٢٣) من تفسيركم للقرآن خاصاً بالآية (١٨٨) من سورة آل عمران.
نقدم شكرنا وتقديرنا مع وافر التقدير .

القاضي

جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠٢١/٩/١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق

مجلس القضاء الاعلى

رئاسة الادعاء العام

المكتـــــب

العدد / ٢٢٧

التاريخ / ٢ / ١ / ٢٠١٩

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي

م/شكر

تحية طيبة

كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آملين منكم المزيد من العطاء والتوفيق.

مع التقديـــر.

القاضـــي
موفق محمود محمد صالح
رئيـــــس الادعـــــاء العـــــام
٢٠١٩/١/ ٨

مجلس القضاء الأعلى
رئاسة الادعاء العام
المحكمة
العدد/
التاريخ / / ٢٠١

Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية
التابع لجامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد : ت/٢٨٠
التأريخ : ٢٥ ذو الحجة ١٤٤٢
الموافق : ٤ / ٨ /٢٠٢١

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميعٌ مجيب الدعاء.
عزيزي سماحة الشيخ المحترم :
تسلمت بمزيد من الفخر والاعتزاز الجزء (الواحد والعشرين بعد المائتين) من موسوعة (معالم الإيمان في تفسيرالقرآن) وهو الجزء الخاص بقانون (النزاع المسلح بين القرآن والإرهاب) التي تدلل على ما حباكم الله تعالى به من رعاية ربانية علمية في انجاز هذا العمل العلمي الكبير ، وهو أول عمل علمي في العالم الإسلامي بهذا الحجم وبهذا العمق وبهذا المنهج ، وأسأل الله تعالى أن يديم عليكم نعمة العافية والستر والتوفيق والسداد من

أجل تقديم المزيد من العطاء الفكري والعلمي في هذا التخصص النادر ، والله يحفظكم ويرعاكم بعين حفظه ورعايته إنه سميعٌ مجيب الدعاء.

أكرر شكري وتقديري وامتناني العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة
بغداد

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي

والتراث العلمى للدراسات العليا

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق

مجلس القضاء الأعلى

رئاسة محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية

مكتب رئيس الاستئناف

العدد : مكتب / متفرقة ٢١ / ١٠٤

التاريخ : ٢٣/٩/٢٠٢١

إلى/ مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي المحترم

م/شكر للإهداء

باسمى كلمات الشكر والعرفان والتقدير نظيراً لما قدمتموه من جهود جبارة ملحوظة وملموسة تركت بصمتها جلية على نجاح هذا العمل ولم نجد الا أن نقدم اليكم امتنانا وتقديرا لكي نعبرمن خلاله عن جزء بسيط عن مدى شكرنا واعتزازنا بكم مع تمنياتنا لكم بدوام التقدم والتوفيق.

مع فائق التقدير ...

القاضي

خالـــد طـــه احـــمد

رئيس محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية

٢٠٢١/٩/٢٢

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

رئيس جامعة دمشق

٢٠٠٧/م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب احسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أتقدم اليكم بجزيل الشكر والتقدير لهديتكم القيمة الجزء الحادي عشر بعد المائتين الخاص بقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة).

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية والمزيد من النجاح والتوفيق ، نبارك لكم جهودكم ونقدر لكم هذا الإهداء...

رئيس جامعة دمشق

الأستاذ الدكتور محمد يسار عابدين

٢٥ نيسان ٢٠٢١ ١٢ رمضان ١٤٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

العدد ١٧١
التاريخ ٥ / ١١ / ٢٠٢٠

No.:
Date:

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

استاذ الفقه والاصول والتفسير والاخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

تلقينا بكل تقدير وإمتنان إهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء السادس بعد المائتين ، وتتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، لأدعو الله العلي القدير أن

يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكلل أعمالكم بالنجاح أنه سميع مجيب

ومن الله التوفيق

أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٠/١١/٤

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:.................................

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي الموقر
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب -٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١ وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان في تفسير القرآن " الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.

يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلت قدرته للجميع التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين الساعاتي

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة كردفان

UNIVERSITY OF KORDOFAN

مكتب المدير

Vice Chancellor Office

Our Ref: ....

Date: ....

النمرة: ج ك/م م/١٧ /ح/٣

التاريخ: 2016/8/16م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بإنتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

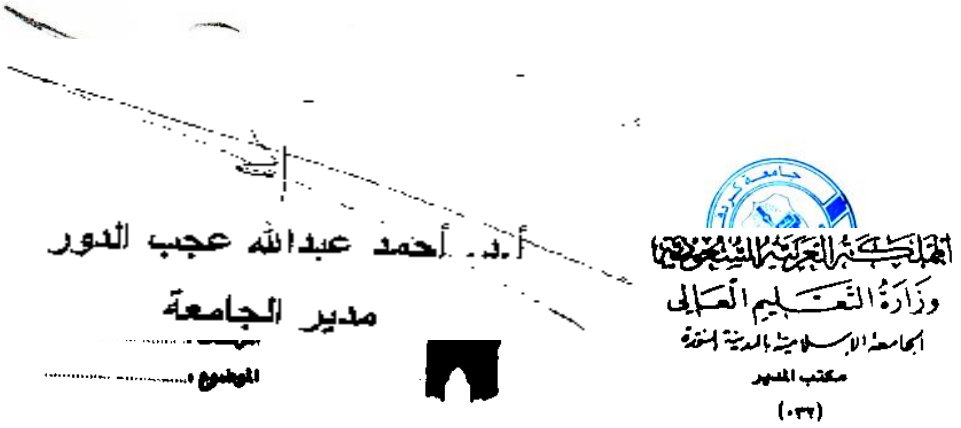

معالي الشيخ/ صالح الطائي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسال الله لمعاليكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من(معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكلل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د/ عبدالرحمن بن عبدالله السند

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY

الجامعة العراقية

العدد : ١/ ٢٩٢
التاريخ : ١٠/ ٤ /٢٠١٦م
/ / ١٤٣ هـ

NO.:
DATE: / / 201

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهدائكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء الثلاثون بعد المائة من(معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.

ومن الله التوفيق...

أ.د.علي صالح حسين
رئيس الجامعة العراقية
١٠/٤/٢٠١٦م

إلى/ المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

قال تعالى ((نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) أنه لفرح كبير وفخر أكبر ان احظى بأجزاء من تفسيركم للقرآن الكريم ، وهو تفسير واسع اضيف الى المكتبة الإسلامية ، وسيكون له اثره الطيب في فهم نصوص القرآن الكريم ولكم به أجر وثواب الآخرة ، ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نقدم لكم شكرنا وتقديرنا على هذا الإهداء الفريد ، متمنين لكم التوفيق والمزيد من العطاء المبارك.

مع فائق الإحترام...

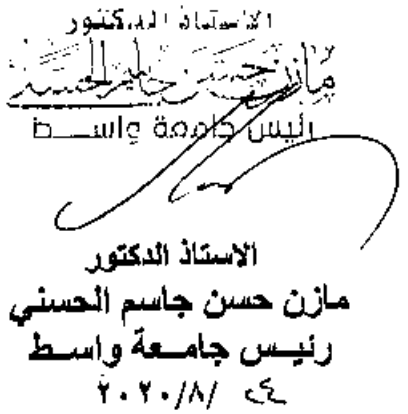

الاستاذ الدكتور
مازن حسن جاسم الحسني
رئيس جامعة واسط
٢٠٢٠/٨/

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Basra University
Dept. of Media & Public Relations

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
قسم الإعلام والعلاقات العامة

العدد: ٧/٣١/٩٦
التاريخ: ١٤/٢/٢٠١٣

الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم

نهديكم أطيب التحيات ...

نتقدم بأجمل عبارات الشكر والتقدير على جهودكم المبذولة في إهدائكم إيانا نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير القرآن/ الجزء الواحد بعد المائة) ..... متمنين لكم المزيد من التقدم والنجاح.

تفضلوا بقبول وافر الاحترام ...

الأستاذ الدكتور
ثامر احمد حمدان
رئيس الجامعة

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة ذي قار
مكتب رئيس الجامعة

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Thi- Qar
Bureau of University President

العدد: ٧/ ٥٤/ ٦١٠٩٢
التاريخ: ٨/ ٦/ ٢٠١٦م

إلى/ مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

باعتزاز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢ ، ١٣٣، ١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد، سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

والله ولي التوفيق

أ.د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٨/٦/٢٠١٦

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret:
Date:

العدد:
التاريخ: ٢٠١٥/٢/٩

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
م/شكر على اهداء

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو القسم الأول من تفسير(أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.

...مع التقدير

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي
رئيس الجامعة
٢٠١٥/٢/

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Jadara University

Office of the President

جامعة جدارا
Jadara University

الرقم .... Ref. ....

التاريخ .... Date ....

الموافق ....

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تأريخ ٢٠١٢/٥/٢٦م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية(١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الأسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ . د محمد الطعامنه

بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ
الموافق ٢٠١٨/١١/٢٤م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها، وتشكركم على الجزء(١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل على أن النبي(ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.

آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلا، شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

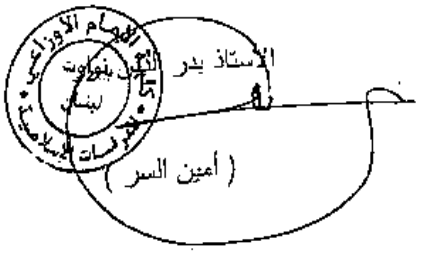

تحريرا في: ٢٥ من ربيع أول ١٤٢٥هـ
١٥ من مـــــايو ٢٠٠٤ م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة
رقم ..498..../ ر.ج/ 2014

رئاسة الجامعة
قسنطينة في: 2015/03/25

إلى السيد المحترم/الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب(معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرية أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الإحترام والتقدير.

مدير الجامعة

مدير الجامعة
أ.د. عبد الله بوخلخال

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٤٥	مفهوم الآية
٥	قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٤٨	إفاضات الآية
٥	الإعراب	٥٠	الآية لطف
٧	اللغة	٥٢	الصلة بين أول وآخر الآية
١١	في سياق الآيات	٦٩	من غايات الآية
١١	الصلة بين بدايتي الآيتين	٧٢	التفسير
١٥	صلة ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ بآية البحث	٧٤	الإستعداد لشهر رمضان
٣٩	إعجاز نظم الآيات	٧٨	السواك
٣٩	إعجاز الآية	٧٩	قوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾
٤٣	الآية سلاح	٨٤	بحث بلاغي

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٥	بحث أصولي	١٥٧	قضاء الصيام
٨٦	سفر لغوي	١٦٠	كيفية قضاء الصيام
٨٧	ببحث فقهي فلسفة الهلال	١٦٣	بحث أصولي
٩٨	قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾	١٦٥	قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾
٩٩	أدلة ثبوت الهلال	١٦٧	قوله تعالى ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾
١٠٦	عدالة الشهود	١٦٨	قوله تعالى ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
١١١	اختبار الشهود	١٧٠	قوله تعالى ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
١١٩	بحث علمي	١٧١	بحث عرفاني
١٣١	اختلاف الآفاق	١٧٢	شهر رمضان في اللغة
١٤٠	دعاء الهلال	١٨٢	بحث عقائدي
١٤٥	حكم المسافر	١٨٥	بحث منطقي
١٤٨	صوم الصبي مدرسة اخلاقية	١٨٦	فريضة الصيام
١٥٠	احكام المريض	١٩١	النية
١٥٢	صيام المرأة ونقاؤها	١٩٢	اقسام الصوم
١٥٤	الكفار ووجوبها	١٩٧	فضل شهر رمضان

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٨	قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾	٢٣٤	الصلة بين أول وآخر الآية
١٩٨	اللغة والإعراب	٢٣٦	من غايات الآية
		٢٤٠	التفسير
١٩٩	في سياق الآيات	٢٤٠	قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾
٢١٦	إعجاز الآية	٢٤٧	قوله تعالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
٢١٩	الآية سلاح	٢٤٩	قوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾
٢٢٠	أسباب النزول	٢٤٩	بحث بلاغي
٢٢٢	مفهوم الآية	٢٥١	قوله تعالى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾
٢٢٦	إفاضات الآية	٢٥٢	ردود كريمة
٢٣٢	الآية لطف	٢٧٦	الفهرس